اکمال الشافی من الباب الاول

۱۶۵

قال الله تعالى ولعذاب الآخرة اشد وابقى

ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك اشد وابقى
من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله
او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها كذا قاله الامام البيضاوي وقال المحشي الفاضل
مولانا سعدي رحمه الله وانما لم يجزم لعدم الدليل وانه يكفي في عدم بقاء الكل عدم بقاء
الجزء وانه يلزم من بقاء الكل بقاء الجزء انتهى

ابو علوم محمد بن محمد

الجزء الثاني من كتاب لباب التاويل في معاني التنزيل

تاليف الامام العلامة الفقير الى الله تعالى ابي محمد علي بن المرحوم محمد بن ابرهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن لطف الله به امين

ك

ش

بكلر كدر

٦١

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر لاتمامه

تفسير سورة الاعراف مكية

روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي
عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسالهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان
ايات في سورة الاعراف مدنية اولها واسالهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك وهي مايتان وست
ايات وثلاثة الاف وثلثمايه وخمس وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص

قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله
به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسماء القرآن وقال الحسن هو اسم
للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه
الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق
وصبور وقيل هي حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف
اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني الحروف المقطعة في اوايل السور في اول سورة البقرة وقوله
كتاب انزل اليك يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القرآن ه فلا يكن في صدرك حرج منه
يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به اي تنذر امتك بانذاره
وذكرى للمؤمنين يعني ولتذكر وتتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره
كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس
لا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل
له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم من
القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا يجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها ونحو هذا قال
الزجاج اي اتبعوا القرآن وما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به
فكان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر
والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل
هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى ولا
تتبعوا من دونه اولياء اي ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء فتتبعوهم يعني ولا
تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع
والاهواء الفاسدة ه قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل
وكم من قرية اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامر امته
باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته وباسه ان لم يتبعوا ما امرهم به فذكر في هذه الاية ما في ترك

المتابعة والاعراض عنها من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من
اهل قرية لان المقصود بالهلاك اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها ه
فجاءها باسنا يعني عذابنا فان قلت مجيء الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال
اهلكناها فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفراء
ان الهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده
وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او احسنت الي فاعطيتني فيكون
احدهما بدلا من الاخر ه بياتا يعني فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا ه او هم قايلون من
القيلولة وهي نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها
باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون او نهارا وهم قايلون وقت الظهيرة وكل ذلك
وقت الغفلة ومقصود الاية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم
على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن
والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة ه فما كان دعواهم يعني فما كان دعوى
اهل القرية التي جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب
اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم ه اذ جاءهم باسنا يعني
عذابنا ه الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم
الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف ه فلنسالن الذين ارسل اليهم يعني لنسالن
الامم الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل يعني لنسالن الامم الذين ه
ولنسالن المرسلين يعني ولنسالن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتم رسالاتي
واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الاية
يسال الله الناس عما اجابوا المرسلين ويسال المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب
يوم القيمة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدي يسال الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسال
الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم
بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم بذلك ه
قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير
والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفايدة في سوال الرسل مع العلم
بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيمة انكر الكفار
تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فيكون سوال الرسل على وجه الاستشهاد
لهم على من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسالة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا
تبليغ الرسل فيزداد بذلك حزنهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن
الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين بما عملوا في الدنيا ه وما كنا غايبين يعني عنهم وعن افعالهم
وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسالن الذين ارسل
اليهم ولنسالن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فاذا كان عالما فما فايدة
هذا السوال قلت فايدة سوال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع

دعاء

للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سوال استرشاد واستثبات فهو منفي عن الله عز وجل
لانه عالم بجميع الاشيا قبل كونها وفي حال كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر
الاشيا كعلمه بباطنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني والوزن يوم سوال الامم والرسل وهو
يوم القيمة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور
المفسرين الي ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان
وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جا في الحديث ان داود عليه السلام سال
ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت
عن عبدي ملاتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن
بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد
له من حسنة فان لم يكن حسنة اخذ من سيات المظلوم فيرد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه
مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم
منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في
الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة
ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ
ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلما
في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيات ويدل
على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
سيخلص رجلا من امتي على روس الخلايق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى افلك عذر فيقال
لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال
ابن عباس يوتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا او توضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور
ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انه توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة
اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكره من وزن الاشخاص في الميزان لان
المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول
من قال ان صحايف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى
فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان
العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انها جمعه لان
الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع

موزون

ومن خفت [illegible] الموضوع صح
وهم الكفار صح

موزون يعني من رجحت اعماله الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون يعني موازين
اعماله وهم الكفار بدليل قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل
ثواب الله وكرامته بما كانوا باياتنا يظلمون يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده
يجحدون ولا يقرون لها روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب
انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان
يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته في الدنيا عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا
قوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين
التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم
وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثاني
ما يتحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنايع وكلا القسمين في الحقيقة انما
تحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش
العالم انما هي من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها
ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى
قليلا ما تشكرون يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان
الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلوا في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة
الشكر تصور النعم واظهارها ونقاده الكفر وهو نسيان النعم وسترها قوله تعالى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون لهذا الخطاب وقت نزوله
في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في ارحام النسا صورا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون
قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم يقتضي ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين
لهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لادم عليه السلام
قبل ذريته قلت عنه ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على المخبر وقيل
في معنى الاية ولقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد
خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر ادم بلفظ الجمع على التعظيم او لانه
ابو البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده
والمعنى ولقد خلقناكم يعني ادم حكينا خلقه ثم صورناكم يعني ادم يعني صورناه من طين ثم قلنا
للملايكة اسجدوا لادم يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود
وانه كان على سبيل التحية والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود
وان المسجود له هو الله تعالى وانما كان ادم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود لادم وكان
ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملايكة او لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره

خلق م

وقوله تعالى فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس يعني فسجد الملائكة لادم الا ابليس لم يكن من الساجدين له
وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس
لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مامورا بالسجود
لادم مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه منهم قوله عز وجل
قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك يعني قال الله عز وجل لابليس اي شي منعك من السجود لادم اذ امرتك به
فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك
ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون
وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا
على اصلها مفيدة وليست بزايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زايدة او لا معنى لها
وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الآية ليست زايدة ولا توكيد الا ان معنى قوله
ما منعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن
الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فاحوجك
ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال
ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب
منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت لم ساله عن المانع من السجود وهو اعلم به قلت للتوبيخ
والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وتحقيره لادم ولذلك لم يتب منه قال يعني
قال ابليس مجيبا لله عما ساله عنه انا خير منه فان قلت قوله انا خير منه ليس بجواب
لما ساله عنه في قوله ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له ان
يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه قلت استانف قصة اخبر عن نفسه بالفضل
على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار
خير من الطين والنور وانما قال انا خير منه وهو لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذكر
لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم فجهل عدو الله ابليس وجه
الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب
وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع الشقا الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على
الاستكبار عن السجود لادم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن
المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحيا والتثبت وهذا كان الداعي لادم
عليه السلام مع السعادة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة
من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك قيل كان الحسن وابن سيرين يقولان اول
من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس
واصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية
والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضل انما يحصل بسبب الطاعة
وقبول الامر فالموس الحبشي خير من الكافر القرشي فان الله تعالى خص صفيه آدم عليه السلام باشيا

نخص

لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وعلمه اسما كل شي واورثه الاجتبا
والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله به آدم عليه السلام للعناية التي سبقت له في القدم قوله تعالى
قال فاهبط منها يعني قال الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما الى الارض والهبوط
الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك ان تتكبر فيها
يعني فليس لك ان تستكبر في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السما متكبر
مخالف لامر الله عز وجل وان غير الجنة قد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون
في الارض فاخرج انك من الصاغرين يعني انك من الاذلا المهانين والصغار الذل والمهانة
قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك
الارض فاخرجه الله منها الى جزاير البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خايفا
كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها قال يعني قال ابليس
عند ذلك انظرني يعني اخرني وامهلني فلا تمتني الى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة
الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لانه سال ربه الامهال وقد
علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله الى البقا في الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب
البقا والخلود فلم يجب الى ما سال بل قال الله له انك من المنظرين يعني من المؤخرين
الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك
من المنظرين وليس احد ينظر سواه قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون
الى ذلك الوقت وانت منهم قال يعني ابليس فبما اغويتني يعني فباي شي اضللتني فعلى هذا
تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن لهم صراطك
المستقيم وقيل هي با القسم تقديره فباغوايك اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي
الغي الذي كان سبب هبوطي الى الارض من السما واضللتني عن الهدى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم يعني لاجلسن على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم
الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين لهم الباطل وما يكسبهم الماثم
وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني امنعهم من الحج وقيل المراد به الحج والقول
الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم
كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم
باطرقه فقعد له في طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبايك وآبا ابيك فعصاه واسلم وقعد
له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول
فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل
فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة
اخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم يعني من قبل الآخرة
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الآخرة
فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن

شمايلهم اشتهي لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم مشتغلون اليها وصايرون اليها
فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين
ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا جنة
ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمايلهم من قبل سياتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا
القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غايبة عنه فهي خلفه وقال
الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاثبطهم
عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمايلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة
اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم
اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمايلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها
اتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد
ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمايلهم حيث لا يبصرون ومعنى
هذا انهم يخطيون ويعلمون انهم يخطيون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطيون ولا يعلمون انهم يخطيون
وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيها طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى
من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون
ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه قال شقيق البلخي ما من صباح
الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من
بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
واما من خلفي فيخوفني من الضيعة على اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فياتيني من الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد بها التاكيد
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم
من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني آدم
شاكرين لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين فان قلت
كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين
القبايح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح
المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله اعلم بمراده قوله عز وجل
قال اخرج منها اي قال الله لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه
اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة مذءوما يعني معيبا والذام اشد
العيب مدحورا يعني مطرودا مبعدا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا
منفيا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني آدم وابليس
وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اي وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك يعني حواء الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا

من حيث

من حيث شئتما يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال
هنا فكلا بالفاء فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع مطلقا والفاء تفيد
الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس
ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم
في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني
فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم
كلاما خفيا مكررا واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما
فان قلت كيف وسوس اليهما وآدم وحواء في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر
الامام فخر الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى
السماء الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصفهاني بل كان آدم
وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس
من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال
آخرون ان آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها
فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت ان آدم عليه السلام قد عرف
ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي آدم مرارا كثيرة
ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها قوله هل ادلك على شجرة الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في آدم
حتى اكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما
وقوله ما ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته يعني سترته والسوءة فرج الرجل
والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات
المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور
عورتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما وقال يعني وقال
ابليس لآدم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة يعني عن الاكل من هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير
والشر او تكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس آدم بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة
والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم واحبه او انه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون
مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك افضل من الانبيا لان
آدم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الآية
ما يدل على ذلك لان آدم عليه السلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف
بالنبوة وكانت الواقعة قبل نبوته فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير ان
تكون هذه الواقعة وقعت في زمان النبوة بعد ان شرف الله آدم انما طلب ان يكون من الملائكة
لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم

او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى وقاسمهما اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة
التي تختص بالواحد اني لكما لمن الناصحين قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن
بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض الحكما من خادعنا العلماء
بالله انخدعنا له فدلاهما بغرور يعني خدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي لفلان بغرور يعني
ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري واصله ان الرجل العطشان يدلي
في البير لياخذ الما فلا يجد فيها ما فوضعت التدليه موضع الطمع فيما لا فايده فيه والغرور
اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعه الى حالة المعصية لان
التدلي لا يكون الا من علو الى اسفل ومعنى الاية ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبه وكان ادم
يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم
انه صادق فاغتر به فلما ذاقا الشجرة يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا
اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير بدت لهما سوآتهما
يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان ازدرداه اخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت
وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه
وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه
عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا
كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوأته وطفقا يعني فاقبلا وجعلا يخصفان
عليهما من ورق الجنة يعني انهما لما بدت سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة
وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا يرقعان على ورقة ليستترا سوآتهما
وفي الاية دليل على ان كشف العورة من ابن ادم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما
تقرر في عقلهما من قبح كشفها روي عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم
رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها
في الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت
لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكني استحييتك ذكره البغوي بغير سند
واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة يعني
ان الله تعالى نادى ادم وحوا وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس
لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حوا امرتني قال فاني قد اعطيتها
ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حوا عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك
وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوا قال لحوا لم اطعمتيه
قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوا فكما
ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ شهر
راسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه ربه

يا ادم

يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملائكتي اما اسكنتك جنتي في جواري
قوله عز وجل قالا ربنا ظلمنا انفسنا وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحوا واعترافهما
على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها
بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي نهيتنا عن
اكلها وان لم تغفر لنا وترحمنا يعني وان انت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا وترحمنا يعني وتتفضل
علينا برحمتك لنكونن من الخاسرين يعني من الهالكين قال قتاده قال ادم يا رب ارايت ان
تبت اليك واستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يساله التوبه وساله النظرة
فاعطي كل واحد منهما ما سال وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي
تلقاها ادم من ربه عز وجل فصل وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبيا
عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل
مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت
منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى
علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي
غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر
القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهي حسنات بالنسبة
الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيات
وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل ادم من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعده
والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى قال اهبطوا قال الامام فخر الدين
ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحوا وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا الثلاثة
وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحوا وابليس والحية اهبطوا يعني من السما الى الارض
قال السدي اهبطوا يعني الى الارض ادم وحوا وابليس والحية بعضكم لبعض عدو يعني ان العداوة
ثابتة بين ادم وابليس والحية وذريته كل واحد من ادم وابليس ولكم في الارض مستقر يعني موضع
قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض مستقر يعني مستقر القبور ومتاع
الى حين يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا او الى انقضاء اجالكم ومعنى الاية
ان الله عز وجل اخبر ادم وحوا وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع
الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيمة والى انقطاع الدنيا
قال فيها تحيون يعني قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون يعني في الارض
تعيشون ايام حياتكم وفيها تموتون يعني وفي الارض يكون وفاتكم وموضع قبوركم ومنها
تخرجون يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيمة قوله عز وجل يا بني ادم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض
وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل

عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر للعورة وسترها
شرط في صحة الصلاه واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان انزل عليهم لباسا
يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني لباسا تستترون به عوراتكم
فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا
لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب نبات
اللباس فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال
كما قال تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته كاللباس
للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم
ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس
وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل
اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو راجع الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب
الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال
عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون ساير المال يقال انه لحسن الثياب وقيل الريش
والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش ولباس التقوى اختلف العلماء في معناه فمنهم
من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس
فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا
ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في
الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف
هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى هو الدروع وسائر الات الحرب التي
يتقى بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب
التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى
على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه
يتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على التقوى
وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية
الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما
خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني ان لباس التقوى خير من
لباس الجمال والزينة وانشد ولقد انك المعنى اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى عريت وان وارى القميص قميص
وقوله تعالى ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده
لعلهم يذكرون يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكروه وقوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا الخطاب للذين يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره
ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم وانما قص الله هنا شدة عداوة ابليس لادم ليحذر بذلك اولاد

الريش اى لحسنه

ذكرهم

ادم فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني ادم وحوا من الجنة والمعنى ان من قدر على
اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل
بني ادم وامرهم بالحذر ان يغترن بوسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال
الرديه في قلوب بني ادم فهذه فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله ينزع عنهما
لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وانه لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة
الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما
الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه
كان لباس ادم وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما
من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس
ليريهما سواتهما يعني ليري ادم عورة حوا وترى حوا عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة
بعض انه يراكم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة
المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله
اي من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابي زيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع
قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبري قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد
يجمع قبلا وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس
هو وولده وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكات
يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة
الوجه في ان الانسان لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للانس كثافة
اجسام الانس والوجه في رؤية بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى
يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي
وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من ابن ادم مجرى الدم وجعل صدور
بني ادم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون
بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من
تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
المؤنة الا من عصمه الله تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء يعني اعوانا وقرناء للذين لا يؤمنون
قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال
ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة
اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكباير فيمكن حملها على الاطلاق وان كان
السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية
يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها
فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله
امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل

الجن

آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل
وقد اجاب الله عنه بقوله ان الله لا يامر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها
هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم قال
تعالى ردا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة
ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه
لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل
يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي
وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الآية مشتمل على معرفة الله سبحانه وتعالى بذاته
وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي
بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت
فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف وقال لدلالة
الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة
وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي
في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له
الدين اي واعبدوه مخلصين له العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره كما بدأكم تعودون
قال ابن عباس ان الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا ويصح هذا القول قوله في
سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما
روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي
في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار
الى ما ابتدأ عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة
ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاء كما ان
السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاء ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم
له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل
الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم
ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هدى يعني هداهم
الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة يعني وخذل فريقا
حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقياء وفيه دليل على ان
الهدى والضلال من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن
اخطاه ضل اخرجه الترمذي قوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان الفريق الذي
حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي ان الداعي الذي
دعاهم الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين يقدرون
على اضلال احد وقوله ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه في
دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها
وتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد
اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء
بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان
حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيت
فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا
زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش
واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمسي فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان
لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثيابه القاها اذا قضى
طوافه وحرمها فجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة
لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري عورتك ولو عباءة وقال الكلبي الزينة
ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب
ففيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وكلوا
واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا
واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايامهم يعني اللحم والدسم ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه
الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه
الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت
تحريمه بدليل منفصل انه لا يحب المسرفين يعني ان الله لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب
والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه الاشياء لان محبة الله عبارة عن
رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راضيا عنه فدلت الآية
على الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل
يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها
لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما

وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ان المراد من
الزينة ذكر الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس
والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريم
ذلك على الرجال دون النساء «والطيبات من الرزق» يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي
اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات
اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة ان
المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا
يحرمون اشياء احلها الله من الزرع وغيرها وهو قوله تعالى قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا
ما ورد نص بتحريمه «قل هي للذين امنوا» يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين
امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة «خالصة» لهم لانه يشركهم فيها المشركون «خالصة لهم يوم
القيامة» يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل
معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا
في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك
كله «كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون» يعني كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت
لقوم يعلمون اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل «قل انما
حرم ربي الفواحش» جمع فاحشة وهي ما تفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله
لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال
«ما ظهر منها وما بطن» يعني علانيته وسره «ق» عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد
احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب وهيجان الحفيظة
بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل
واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يغضب عند ما يغضب من غيره
واما الغيرة في وصف الله تعالى فمعناه منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن
غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل ان يكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقابه والله اعلم
وقوله عز وجل «والاثم» يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش
الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى
الاية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم
اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل

اللغة

اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب
سواء كان كبيرا او صغيرا والفائدة فيه انه لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش
اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة
وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا
بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا
واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل
عليه بقول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وقال ابن سيده صاحب المحكم
وعندي ان تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا اسلام ولكن قد يكون
الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير وقوله تعالى «والبغي» اي وحرم البغي «بغير الحق» اي هو الظلم
والكبر والاستطالة على الناس وفي ذلك وزجر الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس
له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من ان يكون بغيا «وان تشركوا بالله» اي وحرم ان تشركوا بالله
«ما لم ينزل به سلطانا» يعني حجة وبرهانا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك
به غيره لان الاقرار بشيء ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على
صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان قلت البغي والاشراك داخلان
تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي ايضا من الفواحش
والاثم قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة
البغي والشرك فكانه بين جملة ثم تفصيله وقوله «وان تقولوا على الله ما لا تعلمون» تقدم
تفسيره قوله تعالى «ولكل امة اجل» الاجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم في
هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها
وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت «فاذا جاء اجلهم» يعني فاذا حل وقت
عذابهم «لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة
ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء للاوقات في العرف وهذا حين سألوا انزال
العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يؤخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا
انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون
لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم
كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول
قطع عليه اجله قوله عز وجل «يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم» هي ان الشرطية ضمت
اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله
فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحد وهو النبي صلى
الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا

فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لان الرسول
اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم
بما لا يليق بقوته او بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتاه معجزة له وحجة على من خالفه يقصون
عليكم اياتي يعني يقرؤون عليكم كتابي وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن
اتقى الشرك وكذب الرسل واصلح يعني العمل الذي امره رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما
نهيته عنه فلا خوف عليهم يعني حين يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما
فاتهم من دنياهم التي تركوها والذين كذبوا باياتنا يعني محمدا باياتنا وكذب رسلنا واستكبروا
عنها يعني واستكبر عن الايمان بها وبما جاءت به رسلنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني
لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اعظم ظلما ممن يقول على
الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد او كذب باياته يعني او كذب
بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني
ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذكر النصيب على قولين احدهما ان المراد
به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب
وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري
على الله الكذب ان وجهه اسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله
اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني
ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في
رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية يقوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا
هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس من ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه
من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك
ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قال مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس
ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله
ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم
وقال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض
المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا الى الكفر ذلك المبلغ العظيم
فانه لا ينبغي ان يظن انه يمنع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا
او يتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون
على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم
وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار
اين ما كنتم تدعون من دون الله وهذا سوال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سوال استعلام
والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا

يكون

يكون في الاخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم
عند حشرهم الى النار قالوا اين ما كنتم تدعون يعني تعبدون وتتخذون اولياء من دون الله
فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا ضلوا عنا يعني قال الكفار مجيبين للرسل
ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا
جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت
من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة لمن افترى عليه الكذب وجعل له
شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جماعة امم قد خلت يعني مضت وسلفت وانما قال
قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من
قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم وماواكم وانما يعني
بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني
كلما دخلت جماعة النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل
ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على
ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون
الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى حتى اذا اداركوا يعني تداركوا وتلاحقوا
فيها جميعا يعني اجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا في النار قالت
اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قالت اخر كل امة لاولها وقال السدي قالت اخراهم
الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال اخرهم
دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار اولا
ربنا هؤلاء اضلونا يعني يقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء اضلونا عن الهدى وزينوا
لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين
من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة
فلما كان يوم القيمة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم
فاتهم عذابا ضعفا من النار اي ضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشيء
مرة واحدة قال الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما
كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم
ما زاد وليس بمقصور على مثلين فجائز ان يقول الرجل في كلام العرب هذا ضعفه اي مثلاه
وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به ان يجعل عشرة
امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه
الاية فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر
ان يكون في معنى تضعيف الشيء اي زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف يعني للاولى ضعف وللاخرى
ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا يعلمون

من النار

يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب وفريق بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب
للفريق الآخر قوله تعالى وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم يعني الاتباع فما كان لكم علينا
من فضل يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل امة سلفت في الدنيا
لاخراها الذين جاءوا من بعدهم وسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما
حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالكم
وكفركم فذوقوا العذاب ويحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والاولى للاخرى التي بعدها
ويحتمل ان يكون من قول الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما انتم تكسبون
من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي وتكبروا عن الايمان
بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب
السماء يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول
ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل يرفعه
قال ابن عباس لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المومنين وفي رواية عن ابن عباس
قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السماء لارواحهم ولا لاعمالهم روى
الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر
فانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما
هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها
الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا ينزل عليهم البركة والخير لان
ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شيء
وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثقب الابرة قال اهل الخياط
والمخيط ما خيط به والمراد به الابرة في هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات
لانه اكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير
وصف من هجاه بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب
الابرة من اضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك
دخول الكفار الجنة محال ولما وقف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا
الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأيوس
منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو
خرت الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه
بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا افعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه
قول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقوله تعالى
وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من
صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين

على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما
اعد لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد الممهد الذي يفترش عليه
كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهو الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة
بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواش
اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ونثيب المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها
قوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكفار
وما اعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم
به من وحي الله اليه وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا
نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق
قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال في هذه معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض
عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر
اصحاب المعاني ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا
والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل
السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعائد
محذوف كانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل يعني وقلعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم
في الدنيا ومعنى الآية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على
سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل
تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها عن ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله
اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عنه ايضا انه قال اني
لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل
وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الآية
ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا
من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو
والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم
ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل بان الانسان

يري الدرجات العالية والنعيم العظيم وهو محبوس عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب
حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة الحقد
والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى لنفسه الا كمال وزيادة من النعيم
الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتهم
الانهار لما اخبر الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات
والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا
وارشدنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحساننا فلله الحمد على ذلك وصرف عنا
عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا لنرشد لذلك العمل الذي هذا
ثوابه لولا ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه
الله ومن لم يهده الله فليس بمهتدٍ لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما
اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان
تلكم الجنة يعني ونادى مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا
في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة
م عن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان
تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا
فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله عز وجل اورثتموها
بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر
فانه يرث الكافر منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون
قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء وسمى المومن حيا بقوله لتنذر من كان حيا وفي
ان الاحياء يورثون الاموات فقال اورثتموها يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم
الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان الميراث يؤول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة
التي عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لن يدخل الجنة احدا عمله وانما يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات
والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المومن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل
الصالح بسببه الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة
التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادى اهل الجنة اهل
النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار يقول اهل الجنة يا اهل النار ان
قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني بما وعدنا في الدنيا على السن رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة
نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت
ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل
فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار

في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات
والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم ان اصل الاذان
في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل
صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين
ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول
في دين الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده
ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظم الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله
بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظم فاخطأوا الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالاخرة كافرون
يعني وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل وبينهما حجاب يعني وبين الجنة والنار
وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي
وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع
من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه
صار اعرف وابين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال
ابن عباس الاعراف الشيء المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين
الجنة والنار يحبس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال
الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن
حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم
عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم
انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار
لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود
يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر بواحدة
دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب
الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى اهل النار قالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال
ابن مسعود ان العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها عشرا واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من
غلب وحدانه اعشاره وقال ابن عباس الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم
استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له
الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو
في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما
شئتم فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون
الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره

وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير اذن اباهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن شبل
مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم
قتلوا عصاة لاباهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصية اباهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم
آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضي اباوهم دون امهاتهم او امهاتهم دون اباهم ورواه عن ابرهيم وذكر
عن ابي صالح مولى التوءمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر الكلام
امر اصحاب الاعراف الجنة وهولاء الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وهو متولي امرهم وقيل انهم اولاد المشركين
الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على ان
اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد اصحاب الاعراف
قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة او ليرى غيرهم شرفهم
وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على ساير اهل
القيمة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب
اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملايكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة
واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملايكة فقال ان الملايكة ذكور
ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني ادم
دون اناثهم ودون ساير الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى
منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم
بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك
بياض وجوههم من نضرة النعيم عليها ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة عيونهم
والسيما العلامة الدالة على الشي واصله من السمة قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذا راوا اصحاب النار
عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف
ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى
لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها
بهم وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقاء اصحاب
النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا
الى اهل النار عرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل
النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني
بسيما اهل النار قالوا يعني اصحاب الاعراف لهولاء الذين عرفوهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون
من الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يعني وما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال
الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة
فيرون فيها الفقراء الضعفاء ممن كانوا يستهزءون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول

اصحاب

اصحاب الاعراف لاوليك الكفار اهولاء الذين اقسمتم لعظا استفهام يعني هولاء الضعفاء الذين اقسمتم بالله
لا ينالهم الله برحمة يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوها ثم يقول الله لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار
ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم
لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملايكة اهولاء يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال ابن عباس لما صار اصحاب
الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم
فياذن لهم فينظروا الى قراباتهم من اهل النار ولم يعرفوهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل
الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمايهم
فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله
حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقر وافيها وذلك عند
نزول البلا باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم
في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني
صبوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما يعني واطعمونا مما رزقكم الله واوسعوا
علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب يفيد الحرمان
قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الاخرة بشدة الجوع
والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما
على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه وتهمه
يقال لهوت بكذا او لهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزءون وذلك انهم كانوا اذا
دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزءوا به اغترارا بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان
من تحريم البحيرة والسايبة والمكاء والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها
في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه وغرتهم الحياة الدنيا
يعني وغرتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله
ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرور غفلة في اليقظة وهو
طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك
صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا ملتذ بما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله
بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيمة ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا يعني فاليوم
نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد
والسدي قال ابن عباس ننسيهم من الخير ولم ننسهم من الشر وقيل نعاملهم معاملة من نسي
فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزا نسيانهم بالنسيان على المجازاة

الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب
دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل نتركهم في النار كما تركوا كانوا بدلايل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى ولقد وما كانوا باياتنا يجحدون
جئناهم بكتاب يعني ولقد جئنا هولاء الكفار بالقرآن الذي انزلناه عليك يا محمد فصلناه على علم اي بيناه
على علم منا بما نفصله وبيناه هدى ورحمة لقوم يومنون اي جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة لقوم
يومنون هل ينظرون الا تاويله يعني هل ينتظر هولاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وجحدوها ولم يومنوا بها
الا تاويله يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار
والتاويل ما يول اليه الشيء يوم ياتي تاويله يعني يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما يول اليه امورهم يقول
الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يومنوا به يوم القيمة عند معاينة
العذاب قد جاءت رسل ربنا بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى
ان الكفار اقروا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيمة والثواب
والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا
انفسهم في العذاب قالوا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس
لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر
بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابة قد خسروا انفسهم يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين
خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني بطل
وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك
عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل ان ربكم الله يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم
والذي يوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكاره هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اصل الله
الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق
السموات والارض يعني ابدعهما وانشا خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان
قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال
في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء في اليوم الذي
ابتدا الله عز وجل بخلق الاشياء فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا
القول ما روي مسلم في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق
الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم
الثلثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعه
في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعه فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح
مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق
السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
فدل هذين النصين على ان جميع الخلق كان في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام
وذلك

وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي
الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت
وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك
يوم الاحد والاثنين والثلثا والاربعا والخميس والجمعه وروي بسنده عن مجاهد قال بدو الخلق العرش
والما والهوا وخلقت الارض من الما وبدو الخلق يوم الاحد والاثنين والثلثا والاربعا والخميس وجمع
الخلق في يوم الجمعه وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد
هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق
كان من يوم الاحد الى يوم الجمعه ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله
عز وجل خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن
سبع سموات في يومين وهي الثلثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماها ومرعاها
وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعه وخلق ادم في يوم الجمعة اخر
الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها
وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم الجمعه
واسكنه الجنه هو وزوجته حوا ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله
القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق الى يوم القيمة ثم خلق الظلمة والنور
ثم خلق العرش ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس
وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك
ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعه وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في
ستة ايام كل يوم مقداره الف سنة وهذا قول جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا
فان قلت ان الله عز وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت
ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل
شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم
عباده التثبت والتاني في الامور قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات
والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التاني والتثبت في الامور كما في الحديث
التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة فلعله ان
يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيئا بعد شي على
سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في الحكمة في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد
ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملايكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل
في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بالتثبت
كما اظهر قدرته في خلق الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة

السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمى مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه ويكنى عن العز والسلطان
والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب
في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه
اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملاً له تعالى من ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي
فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن
جماعة من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا
يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن انس
فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه قال فاطرق مالك واخذته
الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه
مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرجوا الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا
عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه فاطرق
مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب
والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعاً فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة
قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن
السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل
والحسين بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون
الاستوا على العرش صفة لله تعالى وبلا كيف يجب الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل عليه
وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي سأله عن الاستوا وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري
والاوزاعي وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله
بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الايات التي جاءت في الصفات المتشابهة امروها
كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه
لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز
وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان
والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررنا
في تفسير قوله ولا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو
الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه
قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك
ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه
واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي
قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبير العالم على الوجه
الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه
والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى

على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش واورد على هذا القول بان
الله تعالى لم يكن مستولياً على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
عنه بان الله تعالى لم يكن مستوياً كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال
شبع زيد الا بعد اكله الطعام واذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق
السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا امر مذهب المعتزلة وجماعة
المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا
القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم
ملكه واستولى عليه والله تعالى منزه لم يزل مالكاً للاشيا كلها ومستولياً عليها فاي تخصيص
للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل
في العرش فعلاً سماه استوى كما فعل في غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة او غيرها من افعاله ثم لم يكيف الاستوا الا انه جعله من صفات الافعال
لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال
وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن
بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز
والكون في المكان متمكناً فيه ولكن يريد معنى نفي الحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به
قطر ووصف الله تعالى بذلك بطريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه
الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستوا قال وقد اشار ابو
الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال
وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشيا باين منها انه
لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول
والمماسة علواً كبيراً وقد قال بعض اصحابنا ان الاستوا صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروي
ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه مستو
على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك العرب
لا تقول استولى على الشي فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى
عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله تعالى يغشي الليل
النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب نوره وفيه حذف
تقديره ويغشي النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه يطلبه حثيثاً يعني سريعاً
وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال
ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوايه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق
مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات
قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب

الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان
في اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركة ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ
ولهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره يعني التسخير التذليل وقال
الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات في مجاريها بامره وقال المفسرون يعني بتسخير هن تذليلهن لما يراد منهن
من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن في متصرفها تجري على
ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبير هن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره نفاذ ارادته
لان الغرض من هذه الاية تبيين عظم قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى
هذه الاجرام بالسير الدايم والحركة المستمرة الى انقضا الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر
من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على ساير
الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور ولسيرهما في المنازل تعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملايكته
وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملايكة وان كانا من الملايكة لبيان شرفهما وفضلهما على
غيرهما من الملايكة وقوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامر فيهم بما اراد
وله ان يحكم فيهم بما شا وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج سفين بن عيينة من
هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد
كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله
وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضايه وقدره
فهو مجريها ومنشيها فلا ينبغي بعد هذا لاحد شي وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض
من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس
والقمر والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب
وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض
لاحد من خلقه عليه تبارك الله يعني تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من
البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله رب العالمين يعني انه هو
الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وذكر اشيا من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الاية بالثنا
عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثنا والتعظيم وقال ابن عباس معناه جا بكل بركة وقيل
تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شي وقال المحققون
معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة والثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال
متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل ادعوا ربكم قيل معناه اعبدوا ربكم لان
الدعا طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العباد ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا
وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح
لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله

وان

وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الدعاء فعند ذلك
يعرف العبد لنفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى تضرعا يعني ادعوا
ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل
له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا وحقيقته ان يدعوه خاضعين خاشعين متعبدين
بالدعاء له وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء ان يكون خفيا
لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا
خفيا ق عن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا
انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى
وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز
الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم
يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعاء وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعاء
وقال ابو مجلز هم الذين يسالون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني
اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من
النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في
الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والندا بالصياح
في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شي فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ويدخل
تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية هل الافضل اظهار العبادات والطاعات افضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل
عمله وتوسط الشيخ ابو محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا فالاولى
اخفا العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين الى التمكين
حيث صار مباينا عن شايبة الريا كان الاولى في حقه الاظهار ليحصل فايدة الاقتدا
به وقد ذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفايها فصلاة المكتوبة في
المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاته في المسجد وكذا اظهار
الزكاة افضل من اخفايها واخفا صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا ساير
العبادات قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس
في الارض بالمعاصي والكفر والدعا الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثه الرسل وبيان
الشرايع والدعا الى طاعة الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي
وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون
معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا

في الارض شيئا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او افسادها بقطع
بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان
بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول
بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال
الفساد في ماهيتها وقوله وادعوه خوفا وطمعا اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من
المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيها تجدد الطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا
منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل
معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في الدعاء وطمعا في الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه
ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا
وطمعا ان فايدة الدعاء احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء والاية الثانية
في بيان فايدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين الخوف والرجا في اعمالكم
كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيها ٥ ان رحمة الله اصل
الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد
عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل
عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال
الخير والنعم الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني
تكون من صفات الذات قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة هاهنا الثواب فرجع
النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التانيث والتذكير
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة في ادبار
عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين الرحمة
التي هي الثواب في الاخرة الا الموت فانه قريب من الانسان قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح عطف هدام
على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح بشرا قرئ
نشرا قرئ بشرا بالنون اراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الريح الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل
هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال ابو النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشئ
السحاب وقال ابن الانباري النشر المتفرقة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل
انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشير وهي التي تبشر
بالمطر والريح هو الهوا المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية
والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان الرياح ثمان
اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات ٥ بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمة وانما سماه
رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على

معنى التقدمة تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها
وتمثيلا اذ كانت يد الانسان تتقدمه فكذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا
اليه شيئا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس
فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من
روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها واستعيذوا
بالله من شرها رواه الشافعي بطوله واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار لو حبس
الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض وقوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يقال اقل
فلان الشي اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة
وهو الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما وسمي سحابا لانسحابه في الهوا والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا
ثقالا بما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين
الخافقين وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السما كيف
يشا ثم تفتح له ابواب السما فيسيل الما على السحاب ثم تمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى
دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل
الماء فتسوقه الى حيث يشا الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه لبلد ميت يعني الى بلد فتكون اللام
بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان
جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جايزا نظرا الى اللفظ قال الازهري قال الليث
البلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره
والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن للوحش والجن قال الاعشى وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن بالليل في حافاتها زجل ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الما لم ينزل فيه
غيث ولم تنبت خضرة ٥ فانزلنا به الماء اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج
وابن الانباري جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الماء وجايز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء
لان السحاب آلة لانزال الماء ٥ فاخرجنا به اي بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات
وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت ٥ من كل الثمرات يعني فاخرجنا بذلك البلد
بعد موته وجدوبه من اصناف الثمار والزروع ٥ كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك
نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس اثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان
الله تعالى كما خلق النبات بواسطة انزال المطر ابعث قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا
ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون
كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم
واعينهم كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى
امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر
كاحيائه الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد خرابه

وموته فانبتت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا
امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم
من قبورهم الى حشرهم ونشورهم لعلكم تذكرون الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي
مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار
ثم انه تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما
وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو
الذي يعيد ويحيي قوله تعالى والبلد الطيب يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة يخرج نباته
باذن ربه يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل ومكره والذي خبث لا يخرج الا نكدا
يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر يذم انسانا لا تنجز الوعد ان وعدت وان اعطيت
اعطيت تافها نكدا يعني بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت القليل بعسر
ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فشبه المومن بالارض الطيبة
وشبه نزول القران على قلب المومن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا انزل المطر عليها
اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المومن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهرت منه
الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة
التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده
الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال
ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمومن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره
طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله
خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما
بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت
الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا
وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه
دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى
الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون يعني كما ضربنا
هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون
الله على انعامه عليهم بالهداية وتجنيبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين
ينتفعون بسماع القران قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه اعلم ان الله تبارك وتعالى
لما ذكر في الايات المتقدمة دلايل اثار قدرته وغرايب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته
واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم السلام وما
جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط
بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان اولئك الى الخسار والهلاك
في الدنيا وفي الاخرة العذاب الاليم فمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته الى مثل ذلك

حاشية

الذين

الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من علما زمانه وغدا ياتي بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون
الماضية والامم الخالية مما لم ينكر عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحي
اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى
لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا
وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا
نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى
حمله رسالة ليوديها الى قومه فعلى هذا التقرير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا
ويكون البعث كالتابع له لا انه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة
وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مايتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مايه سنة
قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على
على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له
اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب فقال يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود
سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امركم من
عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه
او يوم القيمة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يومنوا لانه
لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيمة قال الملا وهم
الجماعة الاشراف من قومه انا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطا وزوال عن الحق
بين قال يعني نوحا يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما بي ما تظنون من الضلال ولكني رسول
من رب العالمين يعني هو ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تومنوا به وهو قوله ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تومنوا به وانصح لكم يقال نصحته ونصحت
له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري
قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من
شوايب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم
وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة
هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها الله عليهم
واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان
عصوه واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا
ويعذبكم في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل
لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال اعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم الالف استفهام والواو
للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم ان

ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لانهم كانوا منهم بقول التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع رجل منكم قاله الزجاج على هذا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا فانجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه يعني من آمن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانشدوا قول زهير واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد اي وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة مسبوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا افلا تتقون يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا له انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها شيء من الماء واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني في ادعائك انك رسول من رب العالمين قال يعني قال هود لهؤلاء الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تدعون انا في سفاهة ولكني رسول من رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اؤدي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما اؤتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان لنفسه في موضع الضرورة الى مدحها او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم في الخلق بسطة يعني طولا وقوة قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا آلاء الله يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعم الله واعلموا انه لا يليق بتلك النعم وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا يعني من الاصنام فائتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في قولك انك رسول الله قال يعني هود مجيبا لهم قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يعني وضعتم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما هو من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا يعني العذاب اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالآيات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فاهلكهم الله جميعا ولم يبق منهم احدا وما كانوا مؤمنين يعني انهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا

وافضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهاً غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر
فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن امن
واتبعه رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا
في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية وآتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك
الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون
الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم
وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان
مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد
العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد
فكانت عاد اخوال معوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة
ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعتيل بن صند بن عاد الاكبر
ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق
ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هولاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما
قدموا مكة نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعوية بن بكر فلما راى معوية بن بكر طول
مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري
وهولاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما
بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا
قال وشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله
لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يمنحنا غماما فيسقي ارض عاد
ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما من العطش الشديد فليس نرجوا به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساوهم بخير فقد امست نساوهم عياما وان الوحش تاتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما
فلما قال معوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم
انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم
سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا عطاشا ما تبلهم السماء، لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء،
فبصرنا الرسول سبيل رشد فابصرنا الهدى وجلى العماء، وان اله هود هو الهي على الله التوكل والرجاء،
زاد في رواية لقد حكم الاله وليس جور وحكم الله اذ غلب الهواء، على عاد وعاد شر قوم فقد هلكوا وليس لهم بقاء،
واني لن افارق دين هود طوال الدهر او ياتي الفناء، ه قال جلهمة بن الخيبري يجيب لمرثد بن سعد حين
فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع دين هود وآمن به يا سعد فانك من قبيل ذوي كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا ولسنا فاعلين لما تريد اتامرنا لنترك دين رفد ورمل والصدا والعبود ه

وانما لتقوى مفصل [illegible]

ونترك دين اباء كرام ذوي راي ونتبع دين هود ثم قال جلهمة لمعوية بن بكر واسه بكرا احبسا عنا مرثدا
فلا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة ليستسقون بها لعاد فلما ولوا
الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشي مما خرجوا اليه
فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سولي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك
به وفد عاد وقام قيل بن عنز راس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط قيلا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سولنا
مع سوله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال
اللهم اني جيتك وحدي في حاجتي فاعطني سولي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين
دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحايب ثلاث بيضا وحمرا وسودا
ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحايب فقال قيل قد اخترت
السحابة السودا فانها اكثر السحايب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من ال عاد احدا
وساق الله السحابة السودا التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد
لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي بامر ربها يعني كل شي مرت عليه بامر ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف
انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم
صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال
يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الا اهلكته
واعتزل هود ومن معه من المومنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين على الجلود
وتلذ بها الانفس وانها في قولها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة
وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعوية بن بكر فنزلوا عليه فبينا هم عنده اذ اقبل اليه رجل
على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت
هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق
ورب الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم
فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله تعالى عليهم طيرا اسودا فنقلتهم
الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في
البحر ولم يخرج ريح قط الا بمكيال الا يوميذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها
وفي الحديث انها خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل قد اعطيتم منا كما اخترتم الا انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم
اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة
وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع
وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه

وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا قيل لهم

واما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه
الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم
جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له
الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب ان قبر هود
عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين
نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل في تلك البقعة ويروى ان النبي من الانبياء اذا هلك قومه
جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا
يعني ارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن
ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة
قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي
ينتسبوا اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد
ابن خادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم
يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله غيره يستحق ان يعبد سواه قد جاءتكم بينة من
ربكم يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى صدقي
باني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية يعني انها علامة على صدقي
قال العلماء ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة خرجت من صخرة
في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة
وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجز ايضا لان ناقة تشرب ما يشربه
قبيلة معجز وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا معجز ايضا
وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء
في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجز وانما اضافها الى الله في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف
كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل
لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تأكل في ارض الله يعني فذروا الناقة تأكل العشب من ارض الله
فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب ولا تمسوها
بسوء يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من انواع الاذى والعقر فيأخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها ولا تعقروها
واذاها واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها
وبوأكم يعني واسكنكم وانزلكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا يعني تبنون القصور من سهولة الارض
لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين وتنحتون من الجبال بيوتا يعني وتنقبون
بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين
مترفهين فاذكروا آلاء الله اي فاذكروا نعم الله عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة
معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعيث اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة

وقيل

وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني
قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح للذين استضعفوا منهم يعني المساكين لمن آمن منهم
يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومهم اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون يعني قال الضعفاء
انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون قال الذين استكبروا يعني عن امر الله
والايمان به وبرسوله صالح انا بالذي آمنتم به كافرون اي جاحدون منكرون فعقروا الناقة يعني
فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا
عن امر ربهم ان تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا
الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني
من العذاب ان كنت من المرسلين يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدائه
وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى فاخذتهم
الرجفة قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة
ويحتمل انه اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله فاصبحوا في دارهم
جاثمين يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب
ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في آية اخرى فقال ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من
الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم
الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على
وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما
انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء
للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم
احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديم وتأخير
تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا
وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في
الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا
يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا
عليها وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب
السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا
فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك عبدوا غير الله
فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه
الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما
الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال

صالح ابي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيهم اصنامهم وذلك يوم
معلوم من السنة قالوا تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب
لصالح في شي مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا
من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة
ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني
ولتؤمنن لي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج لولدها
ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه
واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا
صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة
قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود
ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد الما غبا فاذا كان يوم وردها وضعت راسها في بئر في الحجر
يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفشج
حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر
الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد
كان يوم ثمود فيشربون ما شا الله من الما ويدخرون ما شاوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة
ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر
والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتا فتشتو الناقة في
بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي
يريده الله بهم والبلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امرهم وحملهم ذلك على عقر الناقة
فاجمعوا على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم
ابن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امراة ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان
وذات مال من ابل وبقر وغنم والمراة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات
مواش كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت
بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت
عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها
على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم
قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه
ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار
عزيزا منيعا في قومه وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم خطب وذكر الناقة
والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه

مثل

مثل ابي زمعة قوله انبعث اشقاها انبعث لها يعني قام لها بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة
الشدة والقوة والشراسة والمنيع المتمنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف
ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع
واصحابهم فرصدوا الناقة حين صدرت عن الما وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع
في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم
وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني
حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت
رغاة واحدة تحذر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا
لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قارة واتى صالح
فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه و
يقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه
فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه فاوحى الله الى الجبل
ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا
ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل دعوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد
غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم
مصدع بن مهرج واخوه ذواب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جره فانزله والقوا
لحمه مع لحمها وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤون به ومتى
ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلثا
دبار والاربعا جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم
الاربعا فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول
فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه
قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ليلا
فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم
هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد
ثلاث فان كان صادقا فلم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ذلك ما
تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق
صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال
فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه
نفيل ويكنى ابا هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فعدوا الى اصحاب صالح ليعذبوهم
عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك أ
فندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل

فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم
فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت
بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل
وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد
حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة
فلسطين فلما اصبحوا اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم
الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم
صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلق وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح
فاطلق الله تعالى رجليها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى
فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي اصاب ثمود ثم استسقت ما فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر
السدي في عقر الناقة فقال اوحى الله عز وجل الى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال
لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال الا انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه صالح
فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم
ثم ولد للعاشر فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق
فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناونا احيا لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا
نخرج فيرى الناس انا خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا جا الليل وخرج صالح الى مسجده
اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا
لصادقون فيصدقونا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في
مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه
قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط الغار عليهم فقتلهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع
على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فاذا هم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضي صالح بقتل اولادهم
حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت
صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولده سماه قدار فكان يشب سريعا فلما كبر جلس
مع اناس يشربون الخمر فارادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا
الما قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن الناقة ولو كنا ناخذ هذا الما
الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال العاشر هل لكم ان اعقرها
لكم قالوا نعم فعقرها ق عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاز الوادي
وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هولا المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا

ما استقو

ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا
منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الما وفي بعض الاحاديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هولا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة
فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من
القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السما منهم في مشارق الارض ومغاربها
الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال هو ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر
ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت
الفرقة المومنة من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت
ثم بنى الاربعة الاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن
ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة قوله تعالى ولوطا يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه
واذكر يا محمد لوطا وهو لوط ابن هاران بن تارخ وهو ابن اخي ابرهيم وابرهيم عمه اذ قال لقومه يعني
اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابرهيم عليه السلام
الى الشام فنزل ابرهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله
وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله اتاتون الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية
في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين من الاولى
زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها القوم لهذه
الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة
قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط انكم لتاتون الرجال يعني في ادبارهم
شهوة من دون النسا يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النسا بل انتم ايها القوم قوم
مسرفون اي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله
تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقا النسل وعمران الدنيا وجعل النسا
محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما
قد اسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشي في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس
محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما
ذكره ابن اسحق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات ثمار وزروع
لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال
لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم وقصدوهم واصابوا غلمانا
صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغربا وقيل استحكم ذلك
الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك ان بلادهم
اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول
من نكح في دبره فامر الله تعالى السما ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وقوله تعالى وما كان جواب قومه

يعني وما جواب قوم لوط للوط اذ وعظهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث ٥
الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض ٥ اخرجوهم من قريتكم يعني اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلادكم ٥ انهم
اناس يتطهرون يعني انهم يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل
ان التنزه عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قالوا انهم اناس يتطهرون
يعني عن فعل المعاصي والاثام ٥ فانجيناه واهله يعني فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل
باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه ٥ الا امراته يعني زوجته ٥ كانت من
الغابرين يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين في الكذاب
المعمرين فذاتى عليها دهرا طويلا ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من
الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين ٥ وامطرنا عليهم مطرا
يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة
يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر ٥ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان
عاقبة هولاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل
جبريل فادخل جناحه تحت مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها
اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن
الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا يعني وارسلنا الى مدين
اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن ابرهيم الخليل عليه السلام فعلى
هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد
وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا
الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو
ابن توبة بن مدين ابن ابرهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن
يشجر بن مدين بن ابرهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن ثيرون
ابن توبة بن مدين بن ابرهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان ٥ قال يعني شعيبا ٥
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يعني قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة
ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي معجزة تدل على صدق نبوته
جاء من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القران وليست كل ايات
الانبياء مذكورة في القران وقيل اراد بالبينة مجيء شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة
الموعظة وهو قوله فاوفوا الكيل والميزان يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي
يبعث الى قومه فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل
والميزان وترك الظلم والبخس ٥ خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر والظلم للناس ٥ ان كنتم مومنين يعني
مصدقين بما اقول ٥ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا
تقعدوا بكل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك
انهم كانوا يجلسون على الطرقات فيخوفون الناس من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله
وتصدون عن سبيل الله من امن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا
كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم
ان شعيبا الذي تريدون كذاب فلا يفتننكم عن دينكم ٥ وتبغونها عوجا يعني وتريدون
اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ والضلال
ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشد ٥ واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام
ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر
وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم
بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به ٥ وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين يعني وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون
الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم
لوط فانظروا كيف ارسل الله عليهم حجارة من السماء بما عصوا وكذبوا رسله ٥ وان كان
طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين
فرقة امنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي ٥ فاصبروا فيه وعيد
وتهديد ٥ حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله بيننا ويفصل بيننا فينصر المومنين المصدقين
ويظهرهم ويهلك الكذبين الجاحدين ويعذبهم ٥ وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن
الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل
المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين ٥ قال الملا الذين استكبروا
من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن
اتباع شعيب ٥ لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني
ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد الامرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك
من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا
عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى قوله او لتعودن في ملتنا
واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة اولئك الكفار
فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه
لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد علي من فلان مكروه
بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه وهو كما قال الشاعر
فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب اراد فقد صارت لهن ذنوب
لم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله قال اولو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن امن الى العود الى ملتهم بالدخول

ان عدنا في ملتكم

فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى
ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا
ادخلنا فيه من الاشكال مثل الاول وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان يقول ان الله نجا قومه الذين
امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى
على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها وقوله وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها فحينئذ يمضي
قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي
عليه اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا
على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن
قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام
للمشيئة ولم يزل الانبيا والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابرهيم صلى الله عليه وسلم
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيته
ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله وسع ربنا كل شي علما يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون
وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله
على الله توكلنا يعني على الله اعتمدنا واليه تستند امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى
على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق لما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم
بيننا وبين قومنا بالحق اي بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني
خير الحاكمين قال الفرا ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة
هو لغة مراد وانشد لبعضهم الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحكم غني اراد انه عن
حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة
والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق
الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح بيننا
وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون
شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقوله تعالى وقال الملا الذين
كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعني قال جماعة من اشراف قوم شعيب من
كفرته للاخرين منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون
يعني انكم لمغبونون في فعلكم فاخذتهم الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين
قال ابن عباس وغيره فتح الله عز وجل عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ
بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ما فدخلوا في الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا

هربا

هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما
فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساوهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا
ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى
حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب
الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح
بهم جبريل صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلي كان ابو جاد وهوز وكلمن وسعفص وقرشيات
ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه
به كلمن هد ركني هلكه وسط المحله سيد القوم اتاه هلكه نار تحت ظله جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله
وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر
يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمغاني المنازل التي لها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد اراد بها اقاموا وقيل في معنى الاية كان
لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يعني خسروا انفسهم باهلاكهم فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب
شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه
قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على
قولين سبقا في قصة هود عليه السلام وقوله فكيف اسى يعني احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن
وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الايمان به ولا ياس فلما نزل بهم ما نزل
من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على
الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم
تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني انكم لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل
لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالى وما ارسلنا في قرية
من نبي فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا قال ابن مسعود الباسا
الفقر والضرا المرض وهذا معنى قول الزجاج فانه قال الباسا الشدة وضيق العيش والضرا الضر وسو
الحال لعلهم يضرعون يعني انا فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله
عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبيا مع
اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا
اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر وفيه تخويف وتحذير
لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره
في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد
للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه
الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخا والمعنى انه تعالى بدل مكان الباسا والضرا

النعم والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الآية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة
وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا
كثر وطال فالمعنى حتى كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة قد
مس اباءنا الضراء والسراء يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن ما مسنا من
الشدة والضر عقوبة لنا من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا
دينهم لما اصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجاة امن ما كانوا ليكون
ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من
سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالى في هذه
الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الآية انهم لو امنوا يعني بالله وبرسله واطاعوه وتمردوا
فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض فبركات
السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة
من الافات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشي وسمي المطر
بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السماء وهي المطر وقال
البغوي اصل البركة المواظبة على الشي اي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم
القحط والجدب ولكن كذبوا يعني الرسل فعلنا بهم ذلك ليومنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم
يعني بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى افامن
اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو
عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا ان ياتيهم باسنا ضحى يعني نهارا والضحى صدر النهار وهم
يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب
وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان
التشاغل فيه بامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه لا
ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان ياتيهم عذابه من
حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون المعنى الغدر وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله بهم وهم في غفلة عنه
لا يشعرون به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ان يكون ما اعطاهم من النعم مع
كفرهم استدراجا الا من خسر في اخرته وهلك مع الهالكين اولم يهد يعني اولم يبين للذين يرثون
الارض من بعد اهلها يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على
قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن
نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا لطبعنا
على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود
وقوم صالح ولوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر
رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا ننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من

اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان
يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلنا بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين
الدالة على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان
هولاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليومنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو
ميثاقهم يوم اخذ الميثاق حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس
والسدي قال السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم
العذاب ليومنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليومنوا عند مجي الرسل بما سبق لهم في علم الله
انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق
انهم لا يومنون وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدي لهم وان لا ينازعوا اعلم
علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم انهم المطيع
من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب
والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يومن به فلا يومن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن
هلك من الامم الذين قص الله خبرهم في هذه السورة انهم لا يومنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا
ليومنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجي الرسل عند مجيهم اليهم كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يومنون من قومك وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا
لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه
اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا
حفظوا ما وصيناهم به يعني وان وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل
ثم بعثنا من بعدهم يعني ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعني بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا
ونحو ذلك من الايات التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وملايه قيل ان كل من ملك مصر
كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي ارسل الله موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن
الريان وكان ملك القبط والملا الاشراف من قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن الاشراف امن
الاتباع فظلموا بها يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولما كانت هذه الايات
معجزات ظاهرات قاهرات ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين يعني ان موسى لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان
به وقال له اني رسول يعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق
الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك والى قومك حقيق على اي واجب
على ان لا اقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم

ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينة معجزة وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالة ربه رتب على ذلك الحكم فقال فارسل معي بني اسرائيل يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة قال فرعون ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فائتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان الذكر من الحيات ووصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في اية اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبين وجوه الاول انه تميز وبيان ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا اذ انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كان ابانة صدق قول موسى انه رسول من رب العالمين وقوله تعالى ونزع يده النزع في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه فاذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى بيضاء من غير سوء من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجائز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل فقد جاءت الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت على صدقهم موجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة

لان الخلق

لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فتعجيزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما عجزوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع ونحو ذلك من المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله اعلم وقوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا يعني موسى لساحر عليم يعنون انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل اليهم ان العصا صارت حية ويري الشيء بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضاء وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما راوا ما يعجزون عنه قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا من قوم فرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا منه ومن خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر فماذا تامرون يعني فاي شيء تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فماذا ترى ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى قالوا ارجه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فيفسد عليك ملكك والارجاء التاخير في اللغة وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعدما راى من امر العصا ما راى وارسل في المداين حاشرين جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اذا اقام به يعني مداين صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ياتوك يعني الشرط بكل ساحر وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر ولا يعلم والسحار هو الذي تعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت عليم يعني ماهرا بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نقابل موسى الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها

يتعلم

السحر ما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاءوا ومعهم
معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا
من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا في عدد
السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط وهما رئيسا القوم
وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا
سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا
وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين
الفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاءوا
الى فرعون قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطاء تكرمنا به ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الامام فخر الدين
ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل
سال ما قالوا اذا جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم يعني قال لهم فرعون
لكم الاجر والعطاء وانكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر العظيم ان فرعون قال للسحرة
اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون
اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي يعني عصاك واما
ان نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى
عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء لا جرم ان الله عز وجل عوضهم حيث
تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل على
رغبتهم في ذلك قال يعني قال لهم موسى القوا يعني انتم فقدمهم على نفسه في الالقاء فان قلت كيف جاز
لموسى ان يامرهم بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر قلت ذكر العلماء عنه اجوبة احدها ان معناه ان
كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الثاني انما امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانه اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم
لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع
التخيير في التقديم والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له
غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم بالالقاء اولا فلما القوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس
يعني صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر
الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء التي هي فعل الله وذلك ان السحر قلب الاعيان وصرفها عن ادراك
ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته كقلب عصى موسى عليه السلام حية تسعى واسترهبوهم يعني
ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى وجاءوا يعني السحرة بسحر عظيم وذلك انهم
القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها
بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض فلما
اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض
كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه
خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم لن

يعني

يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتمويه والتخييل
وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه السلام لاجل فزع الناس
واختلاط امرهم لما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس
في نفسه خيفة موسى قوله تعالى واوحينا الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها فاذا هي تلقف تبتلع
ما يافكون يعني ما يكذبون فيه من السحر لان اصل الافك قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه
يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا تخف والق
عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية
فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شيء اتوا به
من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك
المجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت
في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من
قدرة البشر وقولهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك هو قوله تعالى فوقع الحق
يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما
صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من امر الله
وقدرته فغلبوا هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا صاغرين يعني
ورجعوا ذليلين مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله
ما عاينوا وليس في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته ولهذا
قال فقالوا امنا برب العالمين فقال فرعون اياي تعنون فقالوا بل رب موسى وهرون قال مقاتل
قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وقيل
ان الحبال والعصي التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم
لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السماء فامنوا وصدقوا فان قلت كان يجب ان
يانوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله في قلوبهم الايمان
والمعرفة خروا سجدا لله شكرا على ما هداهم اليه والهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا
بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصى وانه ليس يقدر على ذلك احد
من البشر زالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشانه لما راوا من عظيم قدرته
ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس لما رات السحرة ما رات عرفت ان ذلك من امر السماء وليس
بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قوله عز وجل قال فرعون امنتم به
قبل ان اذن لكم يعني قال فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم بذلك واذن لكم
فيه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان هذا الصنع صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر قبل
خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير
السحرة قد تواطوا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها اهلها لتستولوا عليها انتم فسوف تعلمون
فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم

عز اصل

من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين مخالفا بينهما في القطع ثم لاصلبنكم اجمعين يعني
على شاطي نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون ٥ قالوا
يعني يحيى لفرعون حين وعدهم بالقتل ٥ وانا الى ربنا منقلبون يعني انا الى ربنا راجعون واليه صايرون
في الاخرة ٥ وما تنقم منا يعني وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطا معناه ٥ وما لنا عندك من
ذنب تعذبنا عليه ٥ الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ثم فزعوا الى الله وسالوه الصبر على تعذيب
فرعون اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ
التنكير يعني صبرا اي صبر عظيم ٥ وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك
ابرهيم عليه السلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار شهدا قال الكلبي ان فرعون
قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا انتما
ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه يعني وقالت جماعة
من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرايل ٥ ليفسدوا في الارض يعني ارض
مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله ويذرك والهتك فلا يعبدوك ولا
يعبدها وكان اذا راي بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي
كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك
قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال ان فرعون كان دهريا منكر الوجود الصانع وكان يقول مدبر
هذا العالم السفلي الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان
يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس
والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون
كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر
تروّدنا من الكعبا قصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا اراد بالالهة الشمس ٥ قال يعني فرعون
مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه ٥ سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك
ان قوم فرعون لما ارادوا حمل فرعون على قتل موسى وقومه او حبس موسى وازال العذاب بقومه
ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا مما ارادوا لقوة موسى بما معه من المعجز عدل الى
قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرايل
بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل
فاعادوا القتل على بني اسرايل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد
قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة
والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرايل ما نزل لشكوا الى موسى ما نزل بهم ٥ قال موسى لقومه لما شكوا اليه
استعينوا بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو
الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم ٥ ان الارض لله يعني ارض مصر وان
كانت الارض كلها لله تعالى ٥ يورثها من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرايل ان
يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرايل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين

يعني

الى
يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة ٥ قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس
لما امنت السحرة تبع موسى ستماية الف من بني اسرايل والمعنى ان بني اسرايل لما سمعوا ما قال فرعون وتوعدهم به من
القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرايل كانوا مستضعفين
في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له ما جرى
شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما
جئتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم بان بني اسرايل كرهوا مجي موسى عليه السلام لانه كان قد وعدهم
بزوال ما كانوا عليه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة
عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن
فيه فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه ٥ ويستخلفكم في الارض
يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم ٥ فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من
بعدهم قال الزجاج فيري ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم انما يجازيهم
على ما يقع من العمل منهم قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط
تقول العرب مستهم السنة يعني اخذهم الجدب في السنة ويقال اسنتوا كما يقال اجدبوا قال
الشاعر ورجال مكة مسنتون عجاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ونقص
من الثمرات يعني وتلاف الغلات بالافات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص
الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر
والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله
تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة يعني العيش والخصب والسعة والعافية والسلامة من الافات ٥ قالوا لنا هذه اي نحن
مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك
من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه ٥ وان تصبهم سيئة يعني القحط والجدب والمرض والبلا
وراوا ما يكرهون في انفسهم ٥ يطيروا يعني يتشاموا واصله يتطيروا والتطير التشاوم في
قول جميع المفسرين بموسى ومن معه يعني انهم قالوا ما اصابنا بلاء الا حين رايناهم وما ذاك الا بشوم
موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعماية سنة وعاش ستماية
سنة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع
ساعة لما ادعى الربوبية قط ٥ الا انما طايرهم عند الله يعني ان نصيبهم من الخير والجدب والخير والشر
كله من الله قال ابن عباس طايرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شومهم
عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب
النار ٥ ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ان ما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق
يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضا والقدر قوله تعالى وقالوا يعني قوم فرعون ومع
القبط لموسى عليه السلام ٥ مهما تاتنا به من اية يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قوله ٥ لتسحرنا بها
يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين ٥ فما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب

الزعوة فدعا عليهم فاستجاب الله دعاه فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة ورجع فرعون ابى فرعون
وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين
وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يومنوا فدعا عليهم موسى
وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغا وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة
تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما فارسل الله
عليهم المطر من السما وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت
القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرايل
شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على الحرث ولا يعملوا شيا ودام ذلك الما عليهم سبعة ايام من
السبت الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال
ابو قلابة الطوفان الجدري وهم اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الما طغا فوق
حروثهم وفي رواية ابن عباس ان الطوفان امر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا لموسى ادع
لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نومن بك ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه
فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة شيا لم ينبته قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر
واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الما الا نعمة علينا فلم يومنوا واقاموا شهرا في عافية
فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت
والخشب والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد
بالجوع فكان لا يشبع وامتلات دور القبط ولم يصب بني اسرايل من ذلك شي فعجوا وضجوا وقالوا
يا موسى ادع لنا ربك لين كشفت عنا هذا الرجز لنومنن لك واعطوه عهد الله وميثاقهم بذلك
فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت
الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج
الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جا وكان قد بقي من زرعهم
وثمارهم فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عاهدوا
عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا
فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد
وقتادة والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة
هو الحمنان وهو ضرب من القراد وقال عطا الخراساني هو القمل وكان الحسن يقرا
بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى
كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه
فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم لقما ما دخل طعامه امتلا قملا قال سعيد
ابن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا
يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يبتلوا ببلا كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم

وحواجبهم

وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا الى موسى انا نتوب فادع
لنا ربك يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر
منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع
فامتلات منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع
وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه
وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع
حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقته الى فيه ولا
يعجن احدهم عجينا الا امتلا منها ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا
وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على ال فرعون سمعت
واطاعت وجعلت تقذف بنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله تعالى
بحسن طاعتها برد الما فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقون من الضفادع وقالوا هذه المرة
نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع
بعدما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى
كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم
كلها دما وكل ما يستقون من الابار والانهار وجدوه دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا
ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين يسحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الما الا دما
عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرايلي على انا واحد فيكون ما يلي الاسرايلي ماء وما يلي
القبطي دما ويقومان الى الجرة فيها الما فيخرج للقبطي دما وللاسرايلي ماء حتى ان المراة من ال فرعون
تاتي الى المراة من بني اسرايل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مايك فتصب لها من قربتها فيصير
في الانا دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دما وان فرعون اعتراه
العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماوها دما فمكثوا على ذلك سبعة
ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم كان الرعاف
فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نومن بك ونرسل
معك بني اسرايل فدعا موسى ربه فكشف ذلك فلم يومنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب
كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا يعني عن الايمان فلم يومنوا وكانوا
قوما مجرمين يعني ال فرعون قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في
الاية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب
السادس بعد الايات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون
الفا فامسوا وهم لا يتدافنون ق عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون
رجز ارسل على طايفة من بني اسرايل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا
وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل

الضفدع

بما نباك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك ه لين كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنومنن لك
ولنرسلن معك بني اسرايل يعني لنصدقن بما جيت به ولنخلين بني اسرايل حتى تذهبوا حيث شاوا ه فلما كشفنا عنهم
الرجز يعني بدعوة موسى ه الى اجل هم بالغوه يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم ه اذا هم ينكثون
يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به واعلم ان مما ذكر الله تعالى من هذه الايات هي معجزات في
الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بال فرعون دون بني اسرايل
فاختصاصه بالقبطي دون الاسرايلي معجز وكون بني اسرايل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة
وعذاب وبلا مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال ال فرعون انهم
لا يومنون بتلك المعجزات فما الفايدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من
قوم فرعون ان بعضهم كان يومن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده قوله عز وجل
فانتقمنا منهم يعني كافيناهم عقوبة لهم على سو صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب ه فاغرقناهم
في اليم والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يومنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم
منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر
ومعظم مايه قال الازهري اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل
على ذلك قوله فاقذفيه في اليم والمراد نيل مصر وهو عذب ه بانهم كذبوا باياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق
نبينا ه وكانوا عنها يعني عن اياتنا ه غافلين يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان
الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل
الانسان قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني وملكنا القوم الذين كانوا يقهرون
ويغلبون على انفسهم وهم ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرايل فقتلوا ابناهم واستخدموهم
فصاروا مستضعفين تحت ايديهم ه مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر واراد بمشارقها
ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد المشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس
وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان كانا من بني اسرايل وقد
ملكا الارض ه قوله التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل يعني وفت كلمة الله وهي وعده اياهم بالنصر على عدوهم وتمكينهم في الارض من بعدهم
وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث
الاحسن وانما تمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم ه بما صبروا يعني انما حصل لهم ذلك
التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم ه ودمرنا يعني واهلكنا
والدمار الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض مصر من العمارات والبنيان ه وما كانوا يعرشون
يعني يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن ما
كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرايل البحر يعني وقطعنا ببني اسرايل البحر
بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراه وقال الكلبي عبر
موسى البحر يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه صامه شكرا لله عز وجل ه فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني
فمر بنو اسرايل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون يعني يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها

من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة
يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم ه قالوا يعني قال بنو اسرايل
لموسى لما راوا ذلك التماثيل ه يا موسى اجعل لنا الها يعني تمثالا نعظمه ونعبده ه كما لهم الهة يعني كما لهم اصنام يعبدونها ويعظمونها
ما جعل لنا تمثالا نعبده ونعظمه قال البغوي ولم يكن ذلك شكا من بني اسرايل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا
شيا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذه تدل على
غاية جهل بني اسرايل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال
قدرته وهي الايات التي توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا
لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة فرد موسى عليه السلام بقوله انكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وانه
لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذي نجاكم من فرعون وقومه واغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات
انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والذي نفسي بيده
لتركبن سنن من قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان هولا متبر ما هم فيه اي مهلك والتتبير الهلاك ه
وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة عن عدم الشي اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان
عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه ه قال اغير الله
ابغيكم الها لما قال بنو اسرايل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حمل عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل
التعجب والانكار عليهم اغير الله ابغيكم الها يعني اطلب واتخذ لكم الها ه وهو فضلكم على العالمين والمعنى ان
الاله ليس هو شيا يطلب ويلتمس ويتخذ بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال
فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني عالمي زمانكم وقيل فضلهم
بما خصهم به من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم قوله تعالى واذ انجيناكم من
ال فرعون يسومونكم سو العذاب يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم هذه الاية تقدم تفسيرها
في سورة البقرة والفايدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال
بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله عز وجل ه وواعدنا موسى ثلثين ليلة يعني وواعدنا موسى
لمناجاتنا ثلثين ليلة وهي ذو القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقال المفسرون
ان موسى عليه السلام اذ اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما
يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرايل فامره ان
يصوم ثلثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل اكل من ورق الشجر فقالت
الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال الله اما علمت
ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك وكانت فتنة بني اسرايل في تلك العشر التي زادها الله لموسى وقيل
ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر
الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمل في سورة
البقرة وهو قوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله
تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين ليلة لا اياما

هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عملاً من الأعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدي حتى أرجع إليك وأصلح يعني وأصلح أمور بني إسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الأرض ولا تطعهم والمقصود من هذا الأمر التأكيد لأن هارون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما أنت عليه من القعود قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتنا له أن يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفي الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لأن الشجرة أو ذلك الجرم لا تقول إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة وحشو أتباعهم إلى أن كلام الله حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا إن موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الأزلية الحقيقية قالوا كما أنه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسماً ولا عرضاً كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف أن الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال أهل التفسير والأخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء وفي القصة أن الله تعالى أنزل ظلة تغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه وأسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه وحن واشتاق إلى رؤيته فقال رب أرني أنظر إليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك وقال ابن عباس معناه أعطني النظر إليك وإنما سأل موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بأن الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من أنوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل إنما سأل الرؤية ظناً منه بأنه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى له لن تراني يعني أنه ليس لبشر أن يراني في الدنيا ولا يطيق النظر إلي في الدنيا ومن نظر إلي في الدنيا مات فقال موسى عليه السلام إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاص عدو الله إبليس الخبيث في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس إليه أن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني فصل وقد تمسك من نفى الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا ولن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوا في أن لن للتأبيد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه أبداً مع أنهم يتمنون الموت

القلم

يوم القيامة في الدار الآخرة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فإن قالوا إن لن معناها تأكيد النفي كلا التي تنفي في المستقبل قلنا إن صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولاً على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان عارفاً بالله وبما يجوز وما يمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على أنه سأل الرؤية ولو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى وحيث سألها علمنا أن الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضاً فإن الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وإنما قلنا ذلك لأنه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني أمر جائز الوجود في نفسه وإذا كان كذلك ثبت أن رؤيته جائزة الوجود لأن استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي إذ جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن إسحق لما سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله أهل السموات أن يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب إني كنت عن هذا غنياً ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم لجب كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا بهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهيب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبداً لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أأنفلت مما أنا فيه أم لا إن خرجت احترقت وإن أقمت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت

ثم امر الله ان يحملوا عرشه في ملائكة السموات بعد قليل بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت

الملائكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك كل شجرة

كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته

وقلب عليه الحجر وقلب الذي كان عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى واقامت الروح عليه حليمرم

مثل الام فلما افاق موسى قام يسبح ويقول امنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه

فما اعظمك واعظم ملائكتك انت رب الارباب وملك الملوك والاله العظيم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب

تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله

دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور

الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط

حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا

بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل

جعله دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى

صعقا قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد

الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال

ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا

هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل

فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحرا وقوله تعالى وخر موسى صعقا

قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما افاق والميت

لا افاقة له انما يقال افاق من غشيه قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي التورية

يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال

الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه فلما افاق يعني

من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له قال سبحانك يعني تنزيها لك من

النقايص كلها تبت اليك يعني من مسالتي الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل

لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني فاني سالت ما ليس لي

وقيل لما سال الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابرار سيئات المقربين

وانا اول المؤمنين يعني من بني اسرائيل وفي الاية سؤالات الاول الرؤية عين النظر فكيف قال ارني انظر اليك

وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى انظر

اليك واراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك

والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه

السؤال الثالث كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود

منه تعظيم امر الرؤية وان احدا لا يقوى على رؤية الله تعالى الا من قواه الله بمعونته وتاييده الا ترى

[illegible]

انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذه الاية يدل على تعظيم امر الرؤية والله اعلم

بمراده قوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي يعني قال الله تعالى لموسى

اني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفا استخلاص الصفوة والاجتبا والمعنى اني فضلتك واجتبيتك

على الناس وفي هذا التسلية لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه

التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعتك من الرؤية التي طلبت فقد اعطيتك

من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى ساير انواع النعم التي خصصتك

بها وهي الاصطفا على الناس برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيرك من الرسل سمع كلام الله

تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد

ساووه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين احدهما ذكره البغوي قال لما لم تكن

الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره

كما تقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون

مستقيما وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو

افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الامام فخر الدين

الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا

المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص هاهنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان

الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه

كان اعلى واشرف ممن سمعه بواسطة الحاجب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى

الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بما

يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد

الفضل والشرف على موسى وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب

عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه

وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلى منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت

التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم

وقوله تعالى فخذ ما اتيتك يعني ما فضلتك واكرمتك به وكن من الشاكرين يعني على انعامي عليك

وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه

من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لم ارك منذ كلمك ربك فكشف لها

عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان

يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها قوله تعالى وكتبنا

له في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الواح التورية قال البغوي وفي

الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب

التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجد

خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل حتى جاء بها من جنة عدن
وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب
امر الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات
العشر وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى
خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي
عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب
اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت
التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون
وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة
وقال الحسن هذه الآية في التوراة بالف آية يعني قوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يعني يحتاج اليه موسى
من امر دينه موعظة يعني نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا
لكل شيء يعني وتبيينا لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في
امور الدين روى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي
شيئا من اهل السماء ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا
ووقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال
اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول
والكتاب الآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد
يا موسى فقال يا رب اني اجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم
المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون والمشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال يا رب اني اجد امة
اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا
يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة
محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت
بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء
يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا
منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون
الوان ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا
يدخل النار احد منهم الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فلما عجب موسى من الخير الذي
اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له
في الالواح من كل شيء بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة وعزيمة ونية صادقة

لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور وامر قومك ياخذوا باحسنها قال ابن عباس يحلوا حلالها
ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة
من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان من التكاليف
ثم قال البيكوني في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له
ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس باحسن
وذلك لا يليق باحد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكاليف كلها حسن وبعضها احسن
كالقصاص حسن والعفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا
بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها
حسن وقوله تعالى سأريكم دار الفاسقين وقال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء
يريد جهنم يحذركم ان تكونوا امثالهم وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين
خالفوا الله لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال الكلبي هي
منازل الكفار وقال السدي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليهم
اذا سافروا قوله عز وجل ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد
الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي ساصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي
عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القرآن وقيل
معناه ساصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات والعبر وقيل حكم الآية
لاهل مصر خاصة واراد بالآيات الآيات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الآية عامة
وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته
وقبول الحق من يشاء ويوفق للتفكر في آياته وقبول الحق من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه
الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر
في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل
التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر
لا من التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك يتكبرون في الارض بغير
الحق بل بالباطل وان يروا سبيل الرشد يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه
سبيلا يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية وان يروا سبيل الغي يعني طريق الضلال
يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد
واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني
عن التفكر فيها والاتعاظ بها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة يعني ولقاء الدار الآخرة التي
فيها الثواب والعقاب حبطت اعمالهم يعني بطلت وصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الدنيا
يكونون بامات الله من فعل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع

كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يعني هل يجزون في
العقبى الا جزاء اعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا قوله تعالى ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ يعني من بعد انطلاق
موسى الى الجبل لمناجاة ربه ﴿من حليهم﴾ يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان
لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل
ملكا لهم فلذلك اضافه الله تعالى اليهم فقال من حليهم فلما ابطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل
فلذلك قال الله تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا
صائغا فصاغ لهم ﴿عجلا جسدا﴾ من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول
﴿عجلا جسدا﴾ لحما ودما ﴿له خوار﴾ وهو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل
اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان حفيف الريح وذلك
انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت
كصوت البقر والقول الاول اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا
له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي ﴿الم يروا انه﴾ يعني الذين
عبدوا العجل قيل ان بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هرون عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم
وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا
انه يعني العجل الذي عبدوه ﴿لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي
الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان
يعبد ﴿اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة
العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل ﴿ولما سقط في ايديهم﴾ يعني ولما ندموا على
عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان
يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده مسقوطا فيها لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل ﴿ورأوا انهم قد
ضلوا﴾ يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ يعني يتب علينا
ويتجاوز عنا ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام
من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم
على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ويرحمهم وهذا كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك
لما رجع موسى عليه السلام الى قومه ﴿غضبان اسفا﴾ يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل
ورجع غضبان اسفا لان الله تعالى كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى حال
رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزين
والاسيف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك
ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا
فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى
كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾ اي بئس الفعل فعلتم بعد
فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى

[illegible]

المعنى

المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رايتم مني الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة له
ونفي الشرك عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم ﴿وقوله اعجلتم امر ربكم﴾
معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل
الشيء في اول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب
لترضى ومعنى الآية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين
وذلك انهم قدروا انه ان لم يات على راس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل
وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه
غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى ﴿والقى الالواح﴾ يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاها
من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح
وتكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه
المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما
اخبره الله به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده
القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة ﴿واخذ براس اخيه يجره اليه﴾ قيل انه اخذ بشعر راسه
ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك
واستعظمه فاقبل على اخيه هرون يلومه ومد يده الى راسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق
به فيخبره خبر بني اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون انه انما اقام بينهم خوفا على نفسه من
القتل وهو قوله تعالى ﴿قال﴾ يعني هرون ﴿ابن ام﴾ انما قال هرون لموسى ابن ام وان كان لاب وام ليرققه
وليستعطفه عليه ﴿ان القوم استضعفوني﴾ اي استذلوني وقهروني ﴿وكادوا يقتلونني﴾ اي وقاربوا
او هموا ان يقتلوني ﴿فلا تشمت بي الاعداء﴾ اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت
فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾
يعني الذين عبدوا العجل ﴿قال رب اغفر لي﴾ يعني ان موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هرون
قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هرون ان كان وقع منه تقصير مما طلبت من الوجدة عليه في وقت
الغضب ﴿ولاخي﴾ يعني واغفر لهرون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبدة العجل ﴿وادخلنا﴾
يعني جميعنا ﴿في رحمتك﴾ يعني في سعة رحمتك ﴿وانت ارحم الراحمين﴾ وهذا فيه دليل على الترغيب
في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين يتوسل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي لان من هو ارحم الراحمين
نجح طلبته ﴿ان الذين اتخذوا العجل﴾ يعني الها عبدوه من دون الله ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة
في الحياة الدنيا﴾ يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة
الدنيا ثم للمفسرين في هذه الآية قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا
القول ففي الآية سؤال وهو ان اولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله
فتاب عليهم فكيف يتناولهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم في
الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم
للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال

فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم
العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي
امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن
فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جمهور المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين
اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم
واباؤهم هم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي
سينال اولاد الذين عبدوا العجل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب
بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تفسير الآية وجهان الاول ان العرب تعير الابناء
بقبائح الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من ابائهم فكذلك هاهنا اتفاقهم
وصف اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم
حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني
ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم
ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا
العجل الها كذلك نجزي المفترين كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره قال ابو قلابة هي والله جزاء كل مفتر
الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن انس ما من
مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله والذين عملوا السيئات
يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل فيه كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من بعدها يعني ثم
رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة وامنوا يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب
ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التائب من بعدها يعني من بعد توبتهم لغفور رحيم يعني انه تعالى يغفر الذنوب
ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى
يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقرير الآية ان من عمل جميع السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله
يغفرها ويقبل توبته وهذا من اعظم البشائر للمذنبين التائبين قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب يعني سكن واصل
السكون اصل الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكوت الغضب لان الغضب لا يتكلم
لكنه لما كان يتقوده الى ما في نفس الغضبان كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكن عن
ما كان متكلما به وقيل معناه لما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة
في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير اخذ الالواح
يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة
شيء وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو
نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتوبة
من الالواح التي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب وعن
ابن يسار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه فتكون نسختها
وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعد القائها يعني وفي نسختها المكتوب فيها هدى يكون

ورحمة قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يعني للذين يخافون من ربهم قوله عز وجل
واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره
وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من لان ذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه
قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم اجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب
ابن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا اشياخا
فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذكر
الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ
معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل
كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات
ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم
الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير
فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا
وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم وقال السبعون
فيما ذكر لي حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان
موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه
بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا
تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار
سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه
احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى انه قتل هرون قال علي بن ابي طالب انطلق
موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت
حسدته على خلقه ولينه وكان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من
شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني
فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي الآية قال

فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا انهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجفة الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير والهلاك ولهذا قال اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معها موت ام لا فظاهر الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال يعني قال موسى رب اي يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل يعني من قبل عبادتهم العجل واياي وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم ولم يكونوا معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهموني اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال المفسرون ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسالتهم الرؤية وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال الواحدي وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر انت ولينا يعني انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر ان لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت فاغفر لنا سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سال موسى الغفران له ولقومه وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء وانت خير الغافرين يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الآخرة اي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم

سمعت

سمعت اليهود وكان اسمهم مدحا قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسمهم ذما وهو لازم لهم قال يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شيء يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون فايس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم فقال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله تعالى الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهاهم عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها والاتقاء لها واليه الاشارة بقوله الذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية اما البدنية فاليه الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن تختص البدنية باخراجها والاعمال القلبية فالايمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ذكر الامام فخر الدين في معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق قال وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لانه من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين لهؤلاء ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالايات في زمن موسى ومن كانت هذه صفته في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من لحق من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كان من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بكونه رسولا لانه

لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا
ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع الدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي فقال ابن عباس
هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على
صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى
بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم
كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق فصاحة
وبلاغة وكان يقراه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك وهو قوله تعالى
سنقريك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله
عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والآخرين والغيبات دل ذلك على كونه معجزة
له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة
الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد دل ذلك
على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى امه كانه لم يخرج تبعد عن ما ولدته وقيل
سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني
يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفونها علما وعرفوا احبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه
حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا
في الذل والهوان خ عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه الفظ السيء الخلق والغليظ لعله بيد
الجافي القاسي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والصاد وهو الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة
واراد بالملة العوجا الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شي ينفعه شبه بالاغلف كانه في غلاف وروى البغوي
بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا
يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على
انصافهم ويوضون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جوف السماء لهم
في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله يامرهم بالمعروف
يعني بالايمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة
والسنة والمنكر يعني الشرك بالله وقد ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد
ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ويحل
لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر
وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحيرة والسوائب والوصايل والحامي وقيل
هي المستلذات التي تستطيبها الانفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم

ولحم الخنزير وقيل هو كل ما تستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل
منفصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم والاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد اصل
بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرايل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة والاغلال
التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال والشدايد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل
قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين
القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع
العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني اسرايل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع
من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك
لا تمتد الى الحرام التي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شرع موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم
نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا به يعني بمحمد
صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني ووقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم
تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه وهو قوله ونصروه يعني على اعدايه واتبعوا النور الذي انزل معه يعني
القرآن سمي القرآن نورا لانه به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضيا اليقين
والعلم اولئك هم المفلحون يعني هم الناجون الفايزون بالهداية قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون
بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام
يدخل فيه جميع الناس ثم امر الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى
جميع الناس ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد
قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل
لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان
ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل
احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى
هذا يكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة
وختم بي النبيون وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله صلى
الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه
يعني ان الذي له ملك السموات والارض وجميع ما فيهما وما له الامر هو الذي ارسلني اليكم وامرني
ان اقول لكم اني رسوله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيها

وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه فآمنوا بالله ورسوله
لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان وبرسوله
وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا ابدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال
تعالى النبي الامي وتقدم معناه الذي يؤمن بالله وكلماته قال قتادة يعني اياته وهي القرآن وقال
مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن
بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على
قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما يامره
المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع
افعاله واداب الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصائصه فلا متابعة
فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم
اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة اي جماعة يهدون بالحق يعني يهتدون
بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني وبالحق يحكمون وبالعدل ياخذون
ويعطون وينصفون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا
بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق
لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى
عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة من
المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه
حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال
ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع
قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري بالرمل يسمى نهر اردن ليس لاحد منهم مال
دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق
وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من
تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك
منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقرأهم
عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا
يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان
احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن الذي اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان
جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه
احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم
بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السماء السادسة

وايضا

وايضا قولهم اقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها
قبل فرضيتها فاذا ثبت ما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان
تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك
واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام
واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا
يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثنى عشر ولدا امما يعني
جماعات وقبائل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست يعني انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني
لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا
عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبين والسلوى
جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام
عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوا
غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما
ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسالتهم ما سالوا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط الكلام على تفسير هذه الاية في سورة البقرة
وقوله تعالى واذ قيل لهم اي واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه
القرية يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل
ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها
وحبوبها وبقولها حيث شئتم يعني واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما
ان الدخول حالة منقضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت
السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو وعقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاءوا
وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل واما الاكل
مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا
حطة يعني حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة البقرة عكس هذا
اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع
له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم خطيئاتكم يعني نغفر ذنوبكم ولا
نواخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت
قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد
بالواو ومعناه انه وعد لشيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو
لا يخل بذلك المعنى لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد
المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بما امروا

من بني اسرائيل فبدلوا غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك
تبديلهم وتغييرهم ۝ فارسلنا عليهم رجزا من السماء يعني بعثنا عليهم من السماء عذابا اهلكهم والفا فيه بين
قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة انزلنا لان الانزال لا يكون الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان
الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا ۝
بما كانوا يظلمون يعني ان ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا
يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد
تقدمت هذه القصة ايضا في بني اسرائيل في سورة البقرة قوله عز وجل واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة
البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هولاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السوال
سوال توبيخ وتقريع لا سوال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه
واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السوال تقرير اعتداء اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما
وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس بشيء قد حدث الان في زمانه بل اصرارهم
على الكفر كان حاصلا في اسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
كان اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب
مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي ايلة بين مصر
والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقيل
هي مقنا بين مدين وعينونا ۝ التي كانت حاضرة البحر يعني القرية التي كانت على ساحل
البحر وقريبة منه ۝ اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه في تركهم الصيد
وصادوا فيه السمك ۝ اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك متتابعة
متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ۝ ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم يعني الحيتان ۝ كذلك نبلوهم يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم ۝
بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى فيما
امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وامروا الله
امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان
تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل
بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله نهاكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا
وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا في ساحل البحر يسوقون اليها الحيتان يوم السبت
فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرأوا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل
لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار اهل القرية اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا
عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم
وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا واكلوا وباعوا ولما لم ينتهوا عما هم فيه
من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون
ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات

على

ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا الجدار الذي بينهم
فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا عليهم فصارت القردة يعرفون انسابهم من الناس
ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابهم من الناس فتشم ثيابهم وتبكي فيقولون لهم الم
ننهكم فتقول القردة برؤوسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا يعني انه لا موجب على موعظتهم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال
بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك
الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا يعني انه لا موجب على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين
ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موجب على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين
قالوا معذرة الى ربكم يعني انما موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب
علينا فموعظتنا لهولاء عذر لنا عند الله ۝ ولعلهم يتقون اي وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا
الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت
عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة
المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا
ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا والمعنى فلم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم
لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به اي فلما تركوا ما وعظوا به ۝ انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية ۝ واخذنا
الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية ۝ بعذاب بئيس اي شديد وجيع من الباس وهو الشدة ۝
بما كانوا يفسقون يعني انا اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا
روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة فجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك
الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم
يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة
وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين
اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه
اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا
عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا
في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت
واكله ۝ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا
مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة
والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير فبقوا ثلاثة

ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى واذ تاذن ربك يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل
حكم ربك وقيل تالى ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار
مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع
فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن
قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الزام
وقيل بان المراد ساير اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله
على اليهود هو بخت نصر وسنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم
اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لا ذمة لليهود الى يوم القيمة واورد على هذا بان في
اخر الزمان يكون لهم عز وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه
بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الالهية للدجال فيزدادون كفرا
الى كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا بذلك هو الذلة والصغار المستمر الى بقوله ليبعثن
عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وهذا نص في ان هذا العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا
عليهم الى يوم القيمة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة
كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب يعني لمن اقام على الكفر فيه دليل
على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية
بقوله تعالى وانه لغفور رحيم يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام
قوله عز وجل وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقنا بني اسرايل في الارض جماعات متفرقة فلا تكاد
بلدا الا وفيه من اليهود طايفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض يدخلها قوم من اليهود منهم
الصالحون يعني من هولاء الذين وصفهم الله من بني اسرايل صالحون وهم من امن بالله ورسوله وثبت
على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره
الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين
الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعده
فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هولاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرايل وقوله ومنهم
دون ذلك يعني الذين كفروا من بني اسرايل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميعا الصالح منهم والطالح
اختبرناهم وامتحناهم بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيات يعني الجدب والشدة لعلهم
يرجعون يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيات
اذا فسرناها بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى اما النعم فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة
واما الشدة فيخاف من سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف يعني من بعد
هولاء الذين وصفناهم خلف يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وبدل منهم بدل سوء يقال
منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم
بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح لنا القدم الاولى اليك

وخلفنا

وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب فسكن اللام وهو يريد الذم واصله
من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردي من القول خلف وخلف
الشي تغير ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جاء من بعد هولاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن
الذي يجي بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب التوراة
ياخذون عرض هذا الادنى العرض بفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر
والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام
وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشي التافه الخسيس الحقير
لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا
العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم
عليه يقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان
يحاسب يوم القيمة وموضع الاستشهاد من الاية والحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا
يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان ياتهم عرض
مثله ياخذوه وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شي
من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه
قال السدي كانت بنو اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي
فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان
يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان يات الاخرين عرض الدنيا ياخذوه الم يوخذ
عليهم ميثاق الكتاب يعني الم يوخذ على هولاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو
التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل
وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعايهم على الله الباطل
قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها
ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم
دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به والدار الاخرة يعني وما في الدار الاخرة مما اعد الله
لاوليايه واهل طاعته للعاملين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام
خير للذين يتقون يعني يتقون الله ويخافون عقابه افلا يعقلون يعني افلا يعقل هولاء الذين يرضون
بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت
بالشي وتمسكت به واستمسكت والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة
حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو الى م

القرآن ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني وداوموا على إقامتها في مواقيتها وإنما أفردها بالذكر وإن كانت الصلاة داخلة في
التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وأنها من أعظم العبادات بعد الإيمان بالله وبرسوله ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾
قوله عز وجل ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ يعني واذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل كأنه ظلة
يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا الإنسان كالسقف ونحوه ﴿وظنوا أنه﴾ يعني وعلموا وأيقنوا أنه ﴿واقع بهم﴾
يعني الجبل ﴿خذوا﴾ يعني وقلنا لهم خذوا وإضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب ﴿ما آتيناكم﴾ يعني التوراة ﴿بقوة﴾
يعني بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ يعني واعملوا بما فيه من الأحكام ﴿لعلكم تتقون﴾ قال أصحاب الأخبار إن بني إسرائيل
لما أبوا أن يقبلوا الأحكام التي في التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤوسهم
كالظلة فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على حاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه
اليمنى إلى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا يسجد اليهود إلا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى ﴿وإذ أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ الآية عن مسلم بن يسار الجهني
أن عمر بن الخطاب سئل عن قوله ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ الآية فقال سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تبارك خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة
وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون
فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل
أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار
حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي
وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين
مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار
عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل
إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه
وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي
رب زده من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت
فقال آدم أولم يبق من عمري أربعون قال أولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم
فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
فأما تفسير الآية فقوله تعالى ﴿وإذ أخذ ربك﴾ يعني واذكر يا محمد إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
يعني من ظهور بني آدم وإنما لم يذكر ظهر آدم وإن كان الله أخرج جميع الذرية من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية
آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء فلذلك قال تعالى من بني آدم من ظهورهم
فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء
في تفسير هذه الآية مذهبان أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت به الروايات
عن السلف فيه روي عن ابن عباس من طرق كثيرة روايات كثيرة بروايات مختلفة رواها عنه الطبري
بأسانيده فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق

من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك
ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم
قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال إن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض أهبطه بدهنا أرض الهند
فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه قال لما خلق آدم أخذ ميثاقه
أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم وفي
رواية عنه قال إن الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم
الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادها في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد
كل من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق
الآخر فلم يف به لم ينفعه الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول
على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا
من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا
يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم
فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه فليس أحد من الخلق إلا وقد تكلم فقال ربي الله وإن
القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه
من السماء ثم إنه مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح
صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة
كارهين على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها
وقال محمد بن كعب القرظي أقرت له بالإيمان والمعرفة الأرواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح الله
صفحة ظهر آدم باليمين فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج
منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألست بربكم
قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم
أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروي
أن الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا أنه لا إله لكم غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فإني سأنتقم
ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا
وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم
فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت
بينهم فقال إني أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه
فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق قال الزجاج وجائز أن يكون الله تعالى جعل
لأمثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النمل فقالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا

معه داود الجبال مسبحة والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور كالذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك للشجر حتى سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية وفي قوله شهدنا قولان احدهما انه لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية قد انقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا فيه قراءتان على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا ايها الذرية انا كنا عن هذا يعني الميثاق غافلين وقرئ لئلا يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الآباء وهم اولاد بني آدم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم ورازقهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي به يوخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ ياخذ ربك من بني آدم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيمة فان قلت فالمختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر آدم واخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ الآية من ان الله اخرج ذرية آدم من ظهورهم على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم

ك

من ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة بهذا الفصل انه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السود وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه شيء اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاءوا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن الميثاق غافلين او لئلا يقول اخلافهم انما اشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذكر الميثاق لا يذكره احد حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتركوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ لو ادام تكليف وامتحان ولولا نسيانه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك الميثاق قد تمن انكاره لكان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وهو قوله تعالى او تقولوا يعني الذرية انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا يعني افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيمة انما اشرك آباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيمة واما الذين حملوا معنى الآية على ان المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لآبائنا لان نصب الدلائل ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء في الشرك وقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل واللهو وهو المراد من قوله ولعلهم يرجعون يعني من الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل واتل عليهم يعني اقرا على قومك يا محمد نبا يعني خبر الذي آتيناه آياتنا اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعام وكان عنده الاسم الاعظم فقالوا

ان موسى رجل حديد وان معه جنوداً كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانت رجل
مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يرده عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا
عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي واخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى
اوامر ربي وكان لا يدعوا حتى يؤمر به في المنام فآمر في المنام فقيل له لا تدعوا عليهم فقال لقومه اني قد وامرت
ربي فيها اني ان ادعوا عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى او امر ربي فوامر فلم يوح اليه فيه شي
فقال قد وامرت ربي فلم يحي شي فقالوا لو كره ربك ان تدعوا عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون
اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال لذلك الجبل
جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى
ربضت فضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله عز وجل لها في الكلام
وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اين تذهب الى نبي الله الا ترى الملائكة امامي
يردوني عن وجهي هذا ويحك اتذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعوا عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان
فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعوا عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف
الله به لسانه الى قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال فهذا ما لا املكه هذا
شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق
لي الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال جملوا النساء واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر
بني اسرائيل يبيعنها عليهم ومروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنا رجل منهم بواحدة
منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كسبى بنت صور
على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة
واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك تقول هذه
حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها
فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وهو
صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غايبا حين صنع
زمري بن شلوم ما صنع فجا والطاعون يحوش بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد
كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السما
وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل
يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك
الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في
ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها
القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته
ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار ففي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من
اهل ديني ولا ادعوا عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعوا

اليحينه

على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي
قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعوا عليه اولاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم
ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعا بلعام عليه فقال
موسى يا رب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعائي عليه فدعا
موسى عليه ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة
بيضا فذلك قوله تعالى اتيناه اياتنا فانسلخ منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها
ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فان قلت كيف يجوز لموسى عليه السلام مع
علو منصبه في النبوة ان يدعوا على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب من وجوه
احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا خالف
الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى عليه السلام
اجعل لنا الها كما لهم الهة فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليه الوجه الثالث على تقدير صحة
هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان
ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحطام الدنيا فدعا عليه
مقابلة لدعائه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما
ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته
انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما
ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكفر به وكان امية صاحب شعر وحكمة
ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد
فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت
ونزلا فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى
قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خيرا ريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته
قال كل عيش وان تطاول دهرا صاير مرة الى ان يزولا ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني
من شعر اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه
فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها
نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة
له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني
من اجمل امراة في بني اسرائيل فصارت اجمل النساء فلما علمت انه ليس في بني اسرائيل مثلها رغبت عنه
فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجا بنوها اليه وقالوا ليس على هذا
الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله
فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعها والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في

منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم ثم انكروه وقال
قتادة هذا مثل ضربه لمن اعرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال قتادة وابن عباس
كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاكبر وقال
ابن زيد كان الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وادلة وهي الآيات
وهي الآيات التي اوتيها فانسلخ منها يعني خرج من الآيات التي كان الله آتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها
وقال ابن عباس نزع منه العلم فاتبعه الشيطان يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان وهواه فكان من
الغاوين يعني من الهالكين الضالين لما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها يعني
رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التي اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه
ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات ولكنه اخلد الى الارض يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها واصل
الاخلاد من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن العقار والرباع
والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي
الارض واتبع هواه يعني انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته وهوى
في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من اشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات
النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه
مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة نزع عنه ما كان اعطيه
وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه
الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي
ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة
الحر وعند الاعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه
كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا في الآخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان
حملت عليه او تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهو مواظبته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله
العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب
اللاهث وقيل ان العالم اذا توسل به الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند اهلها ويدلع لسانه في
تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه
من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة وقيل معنى
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي ان شددت عليه واجهدته لهث او تركته على حاله لهث لان اللهث
طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته
ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة
للكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها ووجه التمثيل بينهم
وبين الكلب اللاهث انهم جاءهم الرسل ليهدوهم فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم في ضلالة

كل حال ثم قال تعالى فاقصص القصص يا محمد وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص
يا محمد على قومك اخبار من كفر بآيات الله لعلهم يتفكرون فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا
يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم
يعرفونه ويعرفون صدقه فكذبوه ولم يؤمنوا به ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى ساء مثلا القوم الذين
كذبوا بآياتنا يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون يعني بتكذيبهم بآياتنا
قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من
يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدي ومن يضلل يعني ومن يتولى اضلاله فاولئك هم الخاسرون
يعني في الآخرة وفي الآية دليل على ان الله تعالى هو الهادي المضل ولقد ذرأنا يعني خلقنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل
بما روي عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله
طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق
للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم اخرجه مسلم
قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين
فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا واجاب العلماء
عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن التسرع الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع
كما انكر على سعد بن ابي وقاص في قوله اعطه اني لاراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال
هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة
مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي
ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم
حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد
المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه
على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الآية
دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خالق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله
بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار
لنفسه دخول النار فلما عمل ما يوجب عليه دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول
النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم لام العاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم
العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فقها اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون
بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله ولهم اعين لا يبصرون بها
طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيده ولهم آذان لا يسمعون بها يعني لا يسمعون آيات
القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين
يبصرون بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا شك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون

ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الواركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا
الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال
بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر وعوراء الكلام صممت عنها واني ان اشاء لها سميع
فانه اثبت له صمما مع وجود السمع فقال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الآخرة ولهم اعين لا يبصرون بها
الهدى ولهم آذان لا يسمعون الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى اولئك كالانعام يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين
حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وساير الحيوانات مشترك
في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير الحيوان بالعقل والادراك والفهم
المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك
شيئا ثم قال تعالى بل هم اضل يعني بل ان الكفار اضل من الانعام وان الانعام لم تعط القوى العقلية والانسان
قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل
والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى اولئك هم الغافلون يعني عن ضرب
هذه الامثال ثم قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال
بعض مشركي قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال
هذا يدعو اثنين فانزل هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الآية ان اسماء الله
المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ
يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك
وتعالى الا ذكر الصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني
افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي
رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض
الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم
العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب
المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي
المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر
المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف
مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي
البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح
ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من
غير وجه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي
في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما

المؤخر

كما رواه

الحديث قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس
معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من
احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث
اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي
عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة
تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن
المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معناه احصاها
احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا معظما لها ولمسماها ومقدسا
لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر
الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان
اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف
والكريم واللطيف من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظ الله
هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره
لكانت الاسماء لغيره كقوله ولله الاسماء الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الآية على ان الاسم غير
المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها فثبت
ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء
الحسنى تقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن
اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان
المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم
عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب
تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني ادعوا الله باسمائه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله
ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على هذا القول ويؤكده انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي
يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل
والتقديس لله تعالى ويعزم المسألة مع رجاء الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه
بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له اثر عظيم وقوله تعالى وذروا الذين
يلحدون في اسمائه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت
الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد في الدين ولحد اذا عدل عنه ومال الى غيره
قال المحققون الالحاد يقع في اسماء الله على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك
ان المشركين سموا اصنامهم بالآلهة واشتقوا لها اسماء من اسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى
ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس
ومن هذا الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله تعالى هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد

فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسما الله تعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعو الله
باسمايه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعا فلا يجوز
ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا مانع يا خالق الخلق
الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه
وتعالى ولا يجوز ان يسمي به لما فيه من الغواية وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة ففيه وعيد وتهديد
لمن الحد في اسما الله عز وجل قوله عز وجل وممن خلقنا امة يعني جماعة وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال
ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ق عن معوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة
قايمة بامر الله وهم على ذلك وفي الاية دليل على انه لا يخلو زمان من قايم بالحق ويعمل به ويهدي اليه والذين
كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم
تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الازهري سناخذهم
قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون
اليه ثم ناخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا
يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا الجرم او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فازدادوا
بذلك تماديا في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم الله اخذة واحدة اغفل
ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم
ثم نهلكهم بها وقال الثوري نسبغ عليهم النعم ثم ننسيهم الشكر روي ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز
كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال اهل المعاني الاستدراج ان يتدرج الشي الى الشي في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي
اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيا بعد شي وامل لهم يعني وامهلهم
واطيل مدة اعمارهم والاملا في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا
في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة ان كيدي متين يعني ان اخذي
شديد قال المفسرون نزلت هذه الاية في المستهزين من قريش وذلك ان الله امهلهم ثم قتلهم
في ليلة واحدة وفي هذه الاية دليل على مسلة القضا والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم من جنة يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على
الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم
باس الله ووقايعه فقال قايلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال
لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو
بري منه لامور لانه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها
مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعا الى الله عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير

ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون وقال تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم
حثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شي والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع
القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شي خلقه الله وبراه ففيه دليل على وحدانية
الله تعالى واثار قدرته كما قال الشاعر وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجالهم تكون قد اقتربت فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا
الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي الى
الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث بعده يعني بعد القران يومنون يعني يصدقون والمعنى فباي
كتاب بعد الكتاب الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب
لانه خاتم الانبيا وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم
عن الايمان فقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له يعني ان اعراض هولا عن الايمان لاضلال الله
اياهم ولو هداهم لامنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر
يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها
قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا
متى الساعة فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما
من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم
متى هي فانزل الله عز وجل يسالونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم
في ساعة غفلة وبغتة ولان حساب الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سوال استفهام
عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها
قال والساعة الوقت الذي يموت الخلايق فيه واصل الارسا الثبات يقال رسا يرسو اذا
ثبت قل اي قل لهم يا محمد انما علمها عند ربي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر
الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا ومنه حديث الايمان والاسلام والاحسان وسوال جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسول عنها باعلم من السايل قال
المحققون وسبب اخفا علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم
اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى
لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو
وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشي بعد خفايه والمعنى لا يظهرها لوقتها
المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموات والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها
على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب
لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاة على حين غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة

الى ضده المعهود بالنتاج قوله يليط حوضه بليط ويلوطه اذا طينه واصلحه من اللصوق والاكلة بضم الهمزة
اللقمة وقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها يعني يسألك قومك عن الساعة كأنك حفي لهم بمعنى بار بهم
شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس
يقول كأن بينك وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم
عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه
انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسألونك عنها كأنك حفي
بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسألة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها قل انما علمها عند الله اى عالم يا محمد
يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها
وقوله ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام
الساعة والسؤال الثاني سؤال عن احوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت
عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله علمها عند الله
فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا
عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال
الثاني بقوله قل انما علمها عند الله فيه علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا
عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله لانه اعظم الاسماء ولكن اكثر
الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون
السبب الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها الغيب عن الخلق قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن عباس
ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه عند الغلاء وبالارض التي
تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا
اي اجتلاب نفع بان اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى
الارض الخصبة عما تنزل الجدبة الا ما شاء الله يعني ان املكه واقدر عليه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير يعني ولو كنت اعلم الوقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال وما مسني السوء يعني الضر والفقر
والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب يريد
وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الساعة انزل الله الاية الاولى وهذه الاية معناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام
الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب وقد جاءت احاديث
في الصحيح بذكر ما هو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الا
ان يطلعني الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشياء من المغيبات
فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون
وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت
عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة

حتى تومنوا

حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة ان انا الا نذير يعني ما انا الا
رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا وبشير يعني وابشركم بثوابه لقوم يؤمنون يعني يصدقون
قوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق منها زوجها
حواء وقد تقدم كيفية خلق آدم حواء من ضلع آدم في اول سورة النساء ليسكن اليها يعني ليأنس بها ويأوي
اليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة
وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة
وهي خفيفة عليها فمرت به يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها فلما
اثقلت اي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها دعوا الله ربهما يعني ان آدم وحواء
دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يعني لئن اعطيتنا بشرا سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لك على انعامك
علينا قال المفسرون لما اهبط آدم وحواء الى الارض القيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء فحملت من
ساعتها فلما اثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون
بهيمة او كلبا او خنزيرا او ما يرى في الارض من الانعام او نحوها قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين
تخرج امن دبرك او من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا في غم من ذلك
ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل
عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم فقال لعله صاحبنا
الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت
حواء تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش
لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان
وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد
رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني من وسوسته وتحويشه كما جاء انه خدعهما
مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال سانصح لك في
شان ولدك هذا سمه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحرث فقال آدم اعوذ بالله من اني اطعتك في اكل طاعتكم
الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال اطعني والا مات كما مات
الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث
فذلك قوله عز وجل فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير
عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة
ما اشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه
عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركا فيما آتاهما قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة
وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس
عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك
شركا في العبادة ولا ان الحرث ربهما لان آدم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن
قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد

يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر واني لعبد الضيف ما دام ثاويا اخبر عن نفسه انه
عبد الضيف ما اقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب
حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله لقول يوسف
عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن
آدم بقوله جعلا له شركا فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب
واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه
قال العلماء فعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم استأنف الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله
عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عما يشركون عنى اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم
ولو اراد آدم وحوا لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به
ما سبق من معنى الاية فيستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى لهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في
التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الاية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين
من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد واقامهما
مقامهم كما اضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين كانوا موجودين
زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو
الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها
زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار
سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى ايشركون قرئ بالتاء على
خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون
اي وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع
على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتملة للجمع بحسب المعنى
فوحد قوله ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف
جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد
هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها
وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا
على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى
ولا انفسهم ينصرون يعني ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه
وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين وان تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين
الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية سواء عليكم يعني ادعوتموهم الى
الدين والهدى الهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله تعالى
لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام [illegible] في هذه الاية لانه لا علم لها بشيء والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها
المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم

ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم يكن
لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم
وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب
مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب
ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على
وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها آلهة
وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام
التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم
آلهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح
الاربعة فانها آلات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شيء
فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك
اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين البصيرة افضل من العين العاجزة عن الادراك
والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل
من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها جماد وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك
فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل
له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اي قل
يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني انتم
وشركاءكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فزعوا الى عبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا
قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري
لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
تنظرون اي لا تمهلوني واعجلوا في كيدكم انتم وشركاءكم ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري
عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القرآن والمعنى كما ايدني بانزال الكتاب علي كذلك يتولى حفظي
ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم
ممن ارادهم بسوء او كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه
وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها ان الاية الاولى
مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو
الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه
وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم

ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات
الاصنام لانها جماد لا تنظر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى
اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فيتولد منه العداوة والبغضاء
وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم
وترك البحث عن الاشياء والعفو المساهلة في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا
في اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع
الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس
او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به من شي فخذه وكان هذا قبل ان ينزل براءة
بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها
اية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف
يعني وامر بكل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشرع وقال عطاء وامر بقول
لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان
يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول
هذه الاية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة
والامر بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال وروي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام
مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما
نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب
فانزل الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة
عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله
الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى
حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة
او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجأ اليه في دفعه عنك انه سميع يعني لدعائك عليم بحالك وقيل ان
الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجاء اليه والتعوذ به في
تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الاية فقالوا
لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب
عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل لك البته
فهو كقوله لئن اشركت وهو بري من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان

لكن الله

لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وتاثيرها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان
الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ محيي الدين النووي يروى فاسلم بفتح الميم وضمها فمن
رفع قال معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام يعني صار
مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو
المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه
اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات
القران فاستعذ بالله قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف وقرئ طيف من الشيطان وهما لغتان
ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة
وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الطيف في كلام العرب الجنون
وقيل للغضب لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من
الشيطان يشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف من الطيف المذكور في هذه الاية لان
حالة الشيطان مع الانبياء اضعف من حاله مع غيرهم تذكروا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان
وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل
يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه فاذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطا بالتذكر والتفكر
وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه
معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل واخوانهم يعني واخوان الشياطين من المشركين
يمدونهم يعني يمدهم الشياطين في الغي قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم
الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يمسكون عن الضلالة ولا
يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف
ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس لا الانس
لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون
على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل واذا لم تاتهم باية يعني واذا لم تات المشركين يا محمد
باية ومعجزة باهرة قالوا يعني قال المشركون لولا اجتبيتها يعني افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك
واختلقتها تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة
يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها
وانشاتها من عندك قل اي قل يا محمد لهولاء المشركين الذين سالوا الايات انما اتبع ما يوحى الي من ربي يعني
القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات هذا بصائر من ربكم يعني هذا القران
فيه حجج وبرهان واصل البصائر الابصار وهو ظهور الشي حتى يبصره الانسان ولما كان القران سببا

لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصاير فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب
وهدى يعني وهو هدى ورحمة يعني وهو رحمة من الله لقوم يومنون وههنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب الثلاث
وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد
وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم
وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم
الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة قوله تعالى واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر الله تعالى عظم شان القرآن بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة
لقوم يومنون اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قرئ القرآن اي اذا قرئ عليكم ايها المومنون القرآن
فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراته والانصات
السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلما في الحال التي امر الله عز وجل
بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرئ لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب
فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلما في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن
واهل الظاهر ان تجري هذه الآية على العموم ففي اي وقت واي موضع قرئ القرآن فيجب على كل
احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة
انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراة القرآن وقال عبد الله كنا
يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجا القرآن واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراة خلف الامام روي عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار
القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير وروي هذا عن عطا
ومجاهد قال هذا الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرا القران
وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت
بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف
العلما في القراة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراة او اسر يروى ذلك عن
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرا
فيما اسر الامام فيه القراة ولا يقرا اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقسم بن محمد وبه قال
الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحق وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر الامام او جهر يروى ذلك
عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي حجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الآية ومن
قال يقرا في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراة القران ودلت السنة

الانصات

على

على وجوب القراة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية
جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا
واذا قرا الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه في القراة ولا يجهر بالقراة خلفه ويدل عليه
ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراة فلما انصرف
قال اني اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلاة لمن
لم يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرا
بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا باتباعكم ما امركم به من اوامره ونواهيه
قوله عز وجل واذكر ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر المكلفين
قال ابن عباس يعني بالذكر القراة في الصلاة يريد تقرا سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الريا وقيل المراد بالذكر
في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم
الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب واستشعار عظمة المذكور تعالى تضرعا يقال تضرع الرجل
يتضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره وخيفة يعني وخوفا والمعنى تتضرع الي وتخاف من عذابي
وقال مجاهد وابن جريج امر ان تذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة
وهو ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب
مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا ذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك
يقوى مقام الرجا اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف
والرجا قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قرب الموت ودنا
آخر اجله فيستحب ان يغلب رجاوه على خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب
وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه ما يرجو وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي
وقوله تعالى بالغدو جمع غدوة والآصال جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر
بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو
الموت فاستحب له ان يستقبل حالة الانتباه من وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول
اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي
هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة
فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين يعني عما يقربك الى الله عز وجل
وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر
الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتدا عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت
الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون
في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة او ذكر قوله عز وجل ان الذين عند ربك يعني الملائكة
المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمومنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم

قارب

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب

وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته لانهم عبيد له خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل ويسبحونه يعني وينزهونه
عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وله يسجدون لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله
لا يستكبرون عن عبادته لانها من جملة العبادة فكيف افردها بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم
خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى
قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه
وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القرآن فيستحب للقارئ والمستمع
ان يسجد عند قوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القرآن ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم ق
عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا القرآن فيقرا سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما
يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم
السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة
السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم باسرار كتابه ٥

تفسير سورة الانفال مدنية كلها الا سبع ايات منها

نزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت
الواقعة مكية وهي خمس وسبعون اية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة الاف ومايتون حرفا ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسالونك عن الانفال
ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير
في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا
وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشبان وبقيت الشيوخ تحت
الرايات فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا ولا تستاثرون
به علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم لثبتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسالونك عن الانفال الاية
قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل
قتيلا فله سلبه وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان
نطلب ما طلب هولاء زهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف
عليه خيل من المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان
الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هولاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كثير شي فنزلت هذه
الاية يسالونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون
فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون
العدو لولا نحن ما اصبتم وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا
خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فانتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول عن
ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت
حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات كذا

البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جيت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من
المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي
بلايي فجاءني الرسول فقال انك سالتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسالونك عن الانفال الاية اخرجه
ابو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن
فضايل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته
فانطلقت حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد علي
صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسالونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شي وما اصاب سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن
حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسالونك عن الانفال استفتاء لا
سوال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سوال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى من وقيل
عن صلة اي يسالونك الانفال والانفال هي الغنايم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله
الزيادة سميت الغنايم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على
انها نزلت في غنايم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة
او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء قل الانفال لله والرسول اي قل لهم يا محمد ان الانفال
حكمها لله ولرسوله يقسمانها كيف شاءا واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي
هذه الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنايم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الاية
ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنايم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا ثم نسخت
باية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية
على هذا القول قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امر الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما
غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين
فعلى هذا تكون الاية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس ٥ فاتقوا
الله يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنايم ٥ واصلحوا
ذات بينكم اي اصلحوا فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنايم الى الله ورسوله ٥ واطيعوا
الله ورسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه ٥ ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده
قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله بطاعته وطاعة رسوله في الاية
المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الاية صفات
المومنين واحوالهم فقال تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين
يخالفون الله ورسوله انما المومنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت
وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا وخافوا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف الحال

على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل
فيخافونه اشد خوفا واما العصاة فيخافون عقابه فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر
الله عز وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم يعني خافت وقال في اية اخرى وتطمئن قلوبهم
بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان
انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجا وقد جمعهما في اية واحدة
وهي قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم
من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا حاصل في قلب المومن ثم
قال تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يعني واذا قري عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قال ابن عباس
والمعنى انه كلما جاهم شي من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق
وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل
عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لانه عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
فيكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله
ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون
بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيين كان اكثر ممن يصدقه في شي
واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار
جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم اختلف الناس في الايمان هل يقبل الزيادة
والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع
اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة
ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح
والاركان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في
ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل
الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال
المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في
مسمى الايمان ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه
في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان للايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك كان قابلا
للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته
قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى
عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان
ومن لم يستكملها فقد لم يستكمل الايمان وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون معناه يفوضون جميع امورهم اليه
ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه
لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شي من اموره الا

على الله

على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة
القران والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين
من اعمال الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة
المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق في انواع
البر والقربات ثم قال تعالى اوليك يعني من هذه صفته هم المومنون حقا يعني يقينا لا شك في
ايمانهم قال ابن عباس بريوا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه
دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما
مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق
بمسالة اصولية وهي ان العلما اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له
ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه
الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسالة يجب
فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله الوجه الثاني انه تعالى قال
اوليك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي قوله انا مومن ان شا الله تشكيك فيما
قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله واحتجوا
لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان
اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية يوجب الشك في الماهية
فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده وافراره صحيحين وعند اصحاب ابي حنيفة
ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك الوجه الثاني
ان قولنا انا مومن ان شا الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد
مدح نفسه باعظم المدايح وربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شا الله زال ذلك العجب وحصل
له الانكسار روي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم
عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطييتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله
اولم تومن قال بلى فما نطق قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله
بلى ولكن ليطمين قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول
الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك
اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص له والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله
وايتا الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا يعني من اجتمع فيه هذه الاوصاف
كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن
ان شا الله قال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني
عن الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن
وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا
منهم ام لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن المومنون حقا

فلم يدروا ما يجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال
هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المؤمنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد
انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قلنا قولنا انا مؤمن ان شاء الله للتبرك
لا للشك مقصود كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه
الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت
فلهذا السبب حسن ان يقال انا مؤمن ان شاء الله فلم لا يجوز هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب
اصحاب هذا القول وهم اصحاب ابي حنيفة عن استدلال اصحاب الشافعي بقولهم ان المتحرك لا يجوز
ان يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان
الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو
قولهم انه تعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية
بكونهم مؤمنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف
على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك
احد والله اعلم وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت
احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال
عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر
سبعين سنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين
اجتمعوا في احداهن لوسعتهم ومغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه
بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في
الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك
خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى
قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض
على الذي اخرجك ربك من بيتك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك ربك من بيتك
بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق
وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج
هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين
وان فريقا من المؤمنين لكارهون يعني للقتال وانما كرهوا لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم
وكثرة سلاحهم يجادلونك في الحق وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا

انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم بعد ما تبين لهم يعني تبين لهم انك لا تصنع
شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد كانما يساقون الى الموت يعني لشدة كراهيتهم القتال
وهم ينظرون يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر
اليه ويعلم انه اتيه قوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني احدى الفرقتين فرقة ابي سفيان
مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير انها لكم يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد
ابن اسحق والسدي حتى اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش
منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد اللطيمة الجمال
التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب
اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها
لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله
يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه
الى مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا
الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلث ليال افزعتها
فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا افظعتني
وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فقال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل
على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا ال غدر لمصارعكم في ثلاث فارى
الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على
ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته الا انفروا يا ال غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس
ابي قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل
الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخل منها فلقة فقال العباس
والله ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان
صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا
الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في
نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت اطوف فلما راني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا
فرغت من طوافك اقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست
معهم فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال
الرؤيا التي رات عاتكة قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبا رجالكم
حتى تتنبا نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه
الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم
كتابا بانكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني
جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رات شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد
المطلب الا اتتني فقلن اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع

ولم تكن عندكم غير لشيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شيء وايم الله لاتعرضن له فان عاد
لكفيته قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني شيء احب ان ادركه منه قال
فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد
الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا
فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره
وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابي سفيان
وقد عرض لها محمد في اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز
الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما
اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان ياتونا من خلفنا
فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من ان
ياتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت من شهر رمضان
حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا
كان بالروحاء اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى
اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب
العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله
امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة
الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة
قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا
ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه
وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ
والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا وانا لصبر عند الحرب
صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم م عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء
الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما
اخطاوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني
قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول
منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا فذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني
طائفة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النفير وتودون اي وتريدون وتتمنون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم والمعنى وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة وقيل
السلاح ويريد الله ان يحق الحق اي يظهر الحق ويعليه بكلماته يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته
التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه ويقطع دابر الكافرين اي ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم احد ليحق الحق يعني
ليثبت الاسلام ويبطل الباطل يعني ويفني الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركين وفي الاية سؤال وهو ان قوله ويريد
الله ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد
في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القران والدين واظهار منار الشريعة لان الذي
وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب
قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد
من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال
الباطل كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقطع رؤوس الباطل وقمعهم قوله عز وجل
اذ تستغيثون ربكم اي واذكروا يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين
قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له م عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم
بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن
منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة قال سماك
فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة
بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه
فاذا قد خطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وقوله تعالى
فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاءكم اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردءا لكم بالف من الملائكة مردفين
يعني يردف بعضهم بعضا يعني يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام
في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو
في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان

سيما الملايكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر ولم تقاتل الملايكة في يوم سوى بدر من الايام وكانوا يكونون فيما
سواه عددًا او مددًا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرًا انه قال بعدما ذهب بصره لو كنت معكم
اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملايكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت
الملايكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه
وكانوا فيما سوى يوم بدر مددًا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى
وما جعله الله الا بشرى يعني وما جعل الله الارسال بالملايكة الا بشرى ولتطمين به قلوبكم وهذا الحق انهم انما نزلوا
لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى وما النصر الا من
عند الله يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على
ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر
والاعانة ﴿ان الله عزيز﴾ يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه
حكيم يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله تعالى ﴿اذ يغشيكم النعاس امنة
منه﴾ اي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم
قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله ان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم
وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم
وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القي عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال
عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم
العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة من الله انه وقع عليهم
النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد
امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجز لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى
﴿وينزل عليكم من السما ما﴾ يعني المطر ﴿ليطهركم به﴾ وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ
فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ما
وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم
نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجوا ان تظهروا
على عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملاوا
الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت
انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى ﴿وينزل
عليكم من السما ما ليطهركم به﴾ يعني من الاحداث والجنابة ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ يعني وسوسته
التي القاها في قلوبكم ﴿وليربط على قلوبكم﴾ يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط
نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من لبيت
اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلا فيكون المعنى ان القلوب امتلات من ذلك
الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ﴿ويثبت به الاقدام﴾ يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل
حتى ثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان

من يكون ضعيف القلب لا تثبت قدمه بل يفر وقت الحرب عند اللقا وقوله تعالى ﴿اذ يوحي ربك الى الملايكة
اني معكم﴾ يعني ان الله تعالى اوحى الى الملايكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين اني معكم بالنصر
والمعونة ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان للشيطان
قوة في القا الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة في القا الالهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى
ما يلقيه الشيطان وسوسة وما يلقيه الملك الهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم
مع القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان
الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم ﴿سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾
يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين ﴿فاضربوا فوق
الاعناق﴾ قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملايكة فيكون متصلا
بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملايكة تعرف تقاتل بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق
قال عكرمة يعني الروس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه
فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ يعني كل مفصل وقال ابن عباس
يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن
الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون ساير الاطراف لاجل
ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلى الجسد وهو الراس
وهو اشرف الاعضا وبضرب البنان وهو اضعف الاعضا فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم
بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان
يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روي عن ابي داود
المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي
فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك
فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام
قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم
اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن
هشام بن المغيرة فلما جا الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال
ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي
ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري
فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي
اخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شي والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا
كيف شاوا وايم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما تليق شيا
ولا يقوم لها شي قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملايكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة
شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل

ايم

بعمود من عمد الحجر فضربته به ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده
فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته وروى مقسم عن ابن عباس
قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا
جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل
ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم كانت وقعة بدر
في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك يعني الذي
وقع من القتل والاسر يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة
واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا
اولياء الله وهم المومنون او شاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني
ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شي قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى
ومن يشاقق الله ذلكم اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك
يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله وان للكافرين عذاب النار يعني في
الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شي قال فناداه
العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك الله ما وعدك قال صدقت اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا يعني مجتمعين
متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث
الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطايفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه تمشي كل طايفة الى صاحبتها
مشيا رويدا وذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشي فلا تولوهم
الادبار يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره
يعني ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال الا متحرفا لقتال يعني الا مستطردا الى القتال يري عدوه
من نفسه الانهزام وقصده طلب الكر على العدو والعود اليه وهذا احد ابواب الحرب وخدعها
او متحيزا الى فية يعني او منضما وصايرا الى جماعة من المومنين يريدون العود الى القتال فقد باء بغضب
من الله يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فية من
المسلمين فقد رجع بغضب من الله وماواه جهنم وبيس المصير فصل في حكم هذه الاية اختلف
العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فية يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا لانحازوا الى المشركين
ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه
عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فية لبعض فيكون الفار متحيزا الى فية
فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار
لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا
الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس

حيصة

حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل
ابو عبيد جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت له فية انا فية كل مسلم وقال بعضهم حكم
الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله يا ايها الذين امنوا وهذا خطاب عام
فيتناول جميع الصور وان كانت الاية نازلة في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وجاء في الحديث من الكباير الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله
الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الاية هذه العدة وعلى هذا
اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم او يولوهم ظهورهم وان
كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين
فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال مجاهد بسبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا
عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية
ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن
الله قتلهم بامداده اياكم بالملايكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره
وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال اهل التفسير
والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش
وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة
القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا
ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرا ويوما تسعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
ما بين التسعماية الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وابو جهل
بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء الى الوادي قال اللهم هذه قريش
قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام
وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء
عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل
في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شي فانهزموا وتبعهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم وقال قتادة
وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة
القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك
قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي
كفا من حصى في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا وقد دخلها من ذلك شي فصورة
الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح

النفوذ والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في
قلوبهم حين القرشوه ٥ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا يعني وليُنعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين ان البلاء هنا بمعنى النعمة ٥ ان الله سميع يعني لدعائكم ٥ عليم باحوالكم
وقوله تعالى ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم
فعلنا ذلك الذي فعلنا ٥ وان الله يعني واعلموا ان الله مع ذلك ٥ موهن اي مضعف ٥ كيد الكافرين
يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا خطاب مع المشركين الذين
قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر وذلك ان ابا جهل
قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم ايّنا كان افجر يعني لنفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم واقطعنا للرحم
فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم
الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصر المظلوم على الظالم والمحق
على المبطل والمقطوع على القاطع ق عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف يوم بدر فنظرت عن يميني
وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما
فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال
وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما
الذي تسألاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلبه
لمعاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ
بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قاله انس فقال وهل فوق رجل
قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود
قال مررت فاذا ابو جهل صريع فضربت رجله فقلت يا عدو الله ان ابا جهل فقد اخزى الله الا
قال ولا هابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا
حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال اتى ابا جهل
يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء
به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا
فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه
نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر لاهدى الفئتين وهم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح
لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك

فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة
على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها
خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه
حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته وبه رمق فعرفته فوضعت رجلي على
عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت
لله ولرسوله روي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقى صعبا ثم احتززت
راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل فقال آلله الذي لا اله
غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب هذا
خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح
اي النصر خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة
فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى
بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك
عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب
على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسره ابي بن كعب الآية وفيه
نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية
والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين
والح في الدعاء والمسألة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر
وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة
دعائكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا
الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما
قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله
عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل
لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر
وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم
ونصره عليكم ٥ ولن تغني عنكم فئتكم يعني جماعتكم ٥ شيئا يعني لا تغني عنكم شيئا ٥ ولو كثرت
يعني جماعتكم ٥ وان الله مع المؤمنين يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد وانفاق المال والنفس ٥ ولا تولوا عنه يعني
عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى
لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد ٥ وانتم تسمعون يعني القرآن يتلى عليكم ٥ ولا تكونوا كالذين
قالوا بالسنتهم ٥ سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون لما سمعوا من القرآن والمواعظ
وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله
الصم البكم عن النطق به فلا يقولونه ٥ الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه وانما

عن سماع الحق

كتبهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم وقال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم
عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب
ابن عمير وسويبط بن حرملة ٥ ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى
ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم
عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم
خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ٥ ولو اسمعهم يعني بعد ان علم ان لا خير فيهم لم ينتفعوا لتولواه
بما يسمعون من المواعظ والدلايل لقوله تعالى ٥ وهم معرضون يعني ولتولوا عن سماع الحق وهم معرضون
عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله تعالى ولو احيي لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا
عنه وهم معرضون ٥ قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة
والانقياد لامرهما ٥ اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة
الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء
بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه
وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى
قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني
كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي
فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في
الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان
شاء الله تعالى وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل هذه الاجابة مختصة
بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد اخر وقيل لو دعاه احد لامر
مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال
السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لان فيه حياة القلوب وفيه
النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله اعز به بعد
الذل وقيل هي الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون ٥ واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
قال ابن عباس يحول بين المومن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا
قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان
يومن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي
وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى
فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد

يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن
مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول
الله قد امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف شاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المسلم ان يمره على ما
جا مع الاعتقاد بالجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول
بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا
في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة ٥ وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في الاخرة فيجزي
كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم
لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء
والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن
نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها
فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا
في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله
عز وجل المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي
بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه
فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عرس
ابن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب
عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه ابو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم
يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود قال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة
ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد
فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به
فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ليشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم
تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك
الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون فيحسن
ذلك منه على سبيل التاكيد او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده
وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها
قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض لما امر الله المومنين بطاعة الله وطاعة
رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المومنين المهاجرين

اذ انتم قليل مستضعفون في الارض لما امر الله المومنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم الفتنه ذكرهم
نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض
يعني في ارض مكة في ابتدا الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب
وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم فآواكم يعني الى المدينه وايدكم بنصره يعني وقواكم بالانصار
وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملايكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنايم احلها لكم ولم يحلها لاحد
قبلكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في ابي لبابه هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف ا ى هـ
بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من
ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابه ابن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابه ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابه بيده
الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابه والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت
الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبره قال اما لو جاني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث
سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابه قد تيب عليك
فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاه فحله بيده ثم قال ابو لبابه
ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون
الشي من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآيه وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان
خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا
قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم ومعنى الآيه لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون انها امانه وقيل معناه وانتم
تعلمون ان ما فعلتم من الاساة الى الخلق خيانه واصل الخيانه من الخون وهو النقص لان من خان شيا
فقد انقصه والخيانه ضد الامانه وقيل في معنى الآيه لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم
اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم
قال ابن عباس هي ما يخفى على اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ايتمن عليها العباد وقال قتاده
اعلموا ان دين الله امانه فادوا الى الله ما ايتمنكم عليه من فرايضه وحدوده ومن كانت عليه امانه فليودها
الى من ايتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك
ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنه قيل هذا فيما نزل في ابي لبابه وذلك لان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال

ما قال

ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانه في الامانه لهوى حب المال والولد
نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنه على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولده من حب
المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولا وهذا من اعظم الفتن روى البغوي
بسنده عن عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخله مجبنه وانهم لمن ريحان الله
واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم
لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله
والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى وان الله عنده اجر عظيم يعني لمن ادى الامانه ولم يخن وفيه تنبيه
على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به
بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل
والحجة والشبه قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين
ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل
يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ودين الكفار بان
يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ويكفر عنكم سياتكم يعني ويمحوا عنكم ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم
ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة والله ذو الفضل العظيم لانه هو الذي يفعل ذلك بكم
فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشي وفى به وقيل
انه يتفضل على الطايعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيات وقيل
معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما
اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في
دار الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رووسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وابو البختري ابن هشام وزمعة بن الاسود
وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة
شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا
وتحبسوه في بيت مقيدا او تشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه
وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله الشعرا فصرخ عدو الله ابليس وهو
الشيخ النجدي وقال بيس الراي رايتم لين حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم
دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقال صدق الشيخ النجدي
فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين
اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براي

يجيئون الى رجل فلا انسد سفهاكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ
القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهب وليستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم
من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي ما ارى غيره اني ارى ان تاخذوا
من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد
فاذا قتلوه تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فانهم اذا
ارادوا ذلك قالوا العقل فتودي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول ما قال لا
ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجتمعين عليه فاتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب ان يبيت في مضجعه وقال له تسجّ ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر
تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر
التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو
وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبله وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته
قال وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما
اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما
بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا
ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال في خفية ه ليثبتوك اي ليحبسوك ويوثقوك
لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة ه او يقتلوك يعني كما اشار عليهم ابو جهل ه
او يخرجوك يعني من مكة ه ويمكرون يعني ويحتالون ويدبرون في امرك ه ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم
فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو تدبير وهو من الله التدبير
بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم
وظهر فعل الله وتدبيره ه والله خير الماكرين فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت
يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل
الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلته والله خير الماكرين وقيل
ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشا لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس
والحيرة فيسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى
فيراهم يقراون التورية والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جا مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم
قد اوحي اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جا به محمد لو نشا لقلنا
مثل هذا فقد سفههم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعايهم الباطل بقولهم لو نشا لقلنا هذا بعد
التحدي اياهم وعجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك
كذبهم في قولهم لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين يعني اخبار الماضين قوله تعالى واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم نزلت في النضر

بن الحرث ايضا لو شيت قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شيت
لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله
عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
يعني القران الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعا
النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم يعني مثل
ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سال سايل بعذاب واقع قال عطا لقد نزل في النضر بضع عشرة
اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثة
من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث وروى انس بن مالك ان الذي قال ذلك
ابو جهل ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما
الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه اختلفوا في معنى هذه الاية
فقال محمد بن اسحق هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا
ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم
واستفتاحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم
وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا الكلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا
عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها
وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم
بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما
خرج اوليك المسلمين من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم قال ابن عباس
لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله
وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك
غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا
ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مومنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام
والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال
مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس فيهم من سبق له
من الله العناية انه يومن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل
في معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السما فاخبر الله ان

محتجا بحق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدايه ومنكري نبوته حجارة من السماء ما دام بين اظهرهم وذكر تعظيما
له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه
الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد من عذاب الثاني
وهو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعاني
دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيمة اخرجه الترمذي وقوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله يعني
واي شي يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني بعد خروجك من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم
فيهم وبين في هذه الاية انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به
عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بالعذاب الثاني في هذه الاية عذاب
الاخرة وقال الحسن الاية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وفيه
بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم ما لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم
يمنعون المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام
الحديبية وما كانوا اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم
بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اولياء المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون يعني ولكن اكثرهم يعني المشركين لا
يعلمون ذلك قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا
باولياء البيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة
الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكاء اسم طاير ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طاير يالف الريف
سمي بذلك لكثرة مكايه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى
وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شي الثاني قال ابو عبيدة اصله
تصدد فابدلت الدال الواحدة يا قال الازهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا
مكان الصلاة التي امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكاء قال ابن عباس
كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون
النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزءون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكاء جعل
الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن
قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته
وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى
للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سماها ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك
من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ان ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم
وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكاء قال ابن عباس
كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار

يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزءون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكاء
جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت ابا سلمة صلاة فلا صلاة
له فهو كقول العرب من كان الشي عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المومنين عن
المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية صدهم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين
والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل
والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية
ذكر عقيبه عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم
بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش
في كل يوم عشر جزر واسلم من هولاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام
وقال الحكم بن عتيبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية
كل اوقية اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن قتل الحبيب سوى من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش
من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان
بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش
قد اصيب اباوهم وابناوهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير
من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه
لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففعلوا فنزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من
المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها يعني اموالهم
في ذلك الوجه ثم تكون عليهم حسرة يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيمة
لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون والذين كفروا يعني منهم لان منهم من اسلم
فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم الى جهنم يحشرون يعني يساقون الى النار
ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق
المومنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة من اهل
الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل
الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل
الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض يعني بعضه فوق بعض فيركمه جميعا يعني فيجمعه جميعا
ويضم بعضه الى بعض حتى تراكم فيجعله في جهنم يعني الخبيث اولئك اشارة الى المنفقين
في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم الخاسرون يعني انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم

عقاب الاخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف
يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين يعني في
اهلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الاية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام
والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد
مضت سنة الاولين باهلاك اعدائه ونصر انبيائه واوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا
اسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه
يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجو
ان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس يعني حتى لا يكون
شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة
دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن
اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون
التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركاء فان انتهوا يعني عن
الشرك وافتتان المؤمنين وايذائهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من
اعمال العباد دونيا لهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان واصروا
على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايذائهم فاعلموا يعني ايها المؤمنون ان الله مولاكم يعني
ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم النصير يعني ان الله هو نعم المولى ونعم النصير
قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم
غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد ام يختلفان في التسمية
فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة واما
الارض فهي فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه
الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو
لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه
بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفيء والغنيمة معناهما واحد
وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان فالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا
ركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل وركاب فذكر في هذه الاية
حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء يعني من اي شيء كان حتى الخيط والمخيط فان لله
خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه
الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا
والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابرهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم لرسوله
واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماس لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة
اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال
ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول

اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو
لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروى الاعمش عن ابرهيم قال كان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو
للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على
اربعة اصناف المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله
تعالى ولذي القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد
وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني
عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت
انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن
وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد وفي
رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم
لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جاء هو
وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب
فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي
قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب
وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم
فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك به منهم فما بال اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب
لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف
اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى
فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب
ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود
في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى
فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة
يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون
ذوي القربى ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة
ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انه
يعطى القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله
تعالى واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير
المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل

وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة
اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم
له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم
في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية
ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه
وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد
واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان
اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة
يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل
على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس
الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه
اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من
ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة
عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهام الغنيمة
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش
عن حبيب بن مسلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة
اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير
فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي
وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحق وذهب
قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون الفيء
من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما اخذ
من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله
فيء والذي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته قال عمر ان الله قد خص لرسول الله صلى مال
الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرأ عمر ما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت هذه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال
ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت
اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني
انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس خمسه لاهل الخمس من الغنيمة

على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه
مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق
بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسم رسوله صلى الله
عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج
البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق
الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف
الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم
امنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وما انزلنا على عبدنا يعني وامنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
يسالونك عن الانفال الاية يوم الفرقان يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق فيه
الله عز وجل بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم
بدر قال عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا
يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة مضت من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل
منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المؤمنون
مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله تعالى اذ انتم اي واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم
بالعدوة الدنيا يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا تانيث الادنى وهم
يعني المشركين بالعدوة القصوى يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى
تانيث الاقصى والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها
وكانوا في موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو
تواعدتم يعني انتم والمشركون لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير
وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار
على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد
ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه ليهلك
من هلك عن بينة يعني ليموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه
ويحيى من حي يعني ويعيش من عاش على بينة رآها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال
محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من امن على مثل ذلك
لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي
من اهتدى على بينة وان الله سميع عليم يعني لسميع دعائكم ويعلم نياتكم ولا يخفى عليه خافية
قوله عز وجل اذ يريكهم الله يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين في منامك يعني
في نومك قليلا قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك
فكان تثبيتا لهم وقال محمد بن اسحق فكان ما اراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على

عدوهم فكيف نفا عنهم ما يكون يخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما اري الله النبي صلى الله
عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك
سبب لجراتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراة كانت يعني لجبنتم والفشل ضعف
مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ولتنازعتم في الامر يعني اختلفتم
في امر الاقدام عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنا التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون معه
مخاصمة ومجادلة ومي ذهب كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت كلمتكم ولكن الله سلم يعني
ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل
انه عليم بذات الصدور يعني ان الله تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراة والجبن والصبر والجزع وقال
ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا يعني ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم بدر لما التقوا في القتال لتتاكد
اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ويخبر به اصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم ماية فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا
ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المومنين في اعين المشركين قال السدي قال ناس من
المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى
تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله
من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المومنين تصديق رويا النبي صلى الله عليه وسلم
وتقوى بذلك قلوب المومنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المومنين
في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب لقتالهم
فيكون ذلك سبب لظهور المومنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت
ذلك ممكن في القدرة والالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني امرا كائنا
من اعلا كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال في الاية المتقدمة
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت
المقصود من ذكره في هذه الاية المتقدمة ليحصل استيلاء المومنين على المشركين على وجه القهر
والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الاية
لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها الله تعالى فلذلك قال ليقضي
الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجزي كل عامل على قدر عمله فالمحسن
باحسانه والمسيء باساءته او يعفو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية يعني جماعة كافرة
فاثبتوا يعني لقتالهم وهو ان يوطنوا انفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي
واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده
المومنين واوليائه الصالحين بان يذكروه في اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه
تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر
هو الدعاء بالنصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح

[illegible]

والنصر والظفر فان قلت ظاهر الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحرف
والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز
لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز
ثم قال تعالى موكدا لذلك واطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا
فتفشلوا يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن
وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم
وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد
تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح
النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان ابن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان اذا لم يقاتل اول النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه
ابو داود وقوله تعالى واصبروا يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين
يعني بالنصر والمعونة ق عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي
فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب وانصرنا
عليهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو
فاذا لقيتموهم فاصبروا قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني فخرا
واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان
صرفها في التفاخر على الاقران وكاثر بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك
هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول
الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس الرياء اظهار الجميل ليراه
الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان
الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون
الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم بغي وفخر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك
وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان لما راى انه
قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها
الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب
تجتمع لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور
وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا الى دعيهم

لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محماة
بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك
بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ﴿ذلك﴾ يعني الذي
نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿بما قدمت أيديكم﴾ يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت
أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر
اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك
ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة وقوله ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ يعني
أنه تعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه لأنه لا يظلم أحدا من خلقه وإنما نفى الله
الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لأنه متصرف في ملكه كيف
شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه
عليه ظلم فلهذا قال تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد لأنهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف
فيهم كيف شاء قوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون﴾ يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة
آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالإغراق
وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا داوم عليه وتعب
نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها
قال ابن عباس معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي من الله فكذبوه فكذلك
هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون
﴿والذين من قبلهم﴾ يعني من قبل آل فرعون ﴿كفروا بآيات الله﴾ يعني أن عادة الأمم السالفة
هو كفرهم بآيات الله ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ﴿إن الله قوي﴾ يعني
في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله ﴿شديد العقاب﴾ يعني لمن كفر به وكذب
رسله ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يعني أن
الله تعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمدا
صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعم بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله تعالى النعم وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمة
الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله إلى الأنصار ﴿و
أن الله سميع﴾ يعني لأقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم ﴿عليم﴾ يعني بما في صدورهم من خير
أو شر فيجازي كل واحد على عمله ﴿كدأب آل فرعون﴾ يعني أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر
غيروا نعم الله عليهم كصنيع آل فرعون ﴿والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
بذنوبهم﴾ يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم
بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف ﴿وأغرقنا آل فرعون وكل
كانوا ظالمين﴾ يعني الأولين والآخرين فإن قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت
فيها فوائد منها أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول لأن الآية الأولى فيها

ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر إغراقهم فذلك تفسير للأول وفي الآية الثانية أنهم كذبوا بآيات
ربهم ففي الآية الأولى إشارة إلى أنهم أنكروا آيات الله وجحدوها وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها
مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة أن تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله
كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب
قوله تعالى ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ يعني في علمه وحكمه ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ والمعنى
إن شر الدواب من الإنس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الأشرف
﴿الذين عاهدت منهم﴾ قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هو للتبعيض لأن المعاهدة
مع بعض القوم وهم الرؤساء والأشراف ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ قال المفسرون
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه
فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالؤوا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على
مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وهم لا يتقون﴾ يعني أنهم لا يخافون الله في نقض العهد لأن
عادة من يرجع إلى دين وعقل وحزم أن يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس إلى قوله
ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل أن من جمع بين الكفر ونقض العهد أنه من شر الدواب
﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ يعني فإما تأخذن هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب
﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن
جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية
أنك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا تفرق به جمع كل ناقض
للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير ﴿فانبذ إليهم﴾ أي فاطرح
إليهم يعني عهدهم وارم به إليهم ﴿على سواء﴾ يعني على طريق ظاهر مستو يعني أعلمهم قبل
حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض
العهد أولا بنصب الحرب معهم ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ يعني في نقض العهد عن سليم بن
عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب
حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله
أكبر وفاء لا غدر فإذا هو عمرو بن عبسة فأرسل إليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي
أمدها أو ينبذ إليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن
سليم بن عامر نفسه بلا زيادة ورجل من حمير وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على
دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الإمام
من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب وإن
ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ

فقال فلا وانوا بدرا وسقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان
فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا تكونوا ايها المؤمنون رياء وسمعة
ولا التماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم
وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله والله بما يعملون محيط فيه وعيد
وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي
المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المؤمنون
نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم قال بعضهم كان تزيينه ووسوسته القاها في قلوبهم من
غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر
ابن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه
فخرجوا سراعا قال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة
رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة
من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس
لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا
وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة
فلما تراءت الفئتان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له الفئتان اي التقى م
بهم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه
وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو اخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحرث
افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله
ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا ما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا
علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل
عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب
وقال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به
مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن
اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل
خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه

وقيل

وقيل معناه اني اخاف الله اعلم صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من امره وقيل لما راى
الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة والله شديد العقاب فقيل معناه
اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند
قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب
لمن خالف الله وكذبه عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤي الشيطان
يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من
تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما اري يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع
الملائكة اخرجه مالك في الموطأ قوله ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو
الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم
على بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس
على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل
اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر
لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل اذ يقول
المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض اي شك وارتياب وهم قوم من
اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقوى الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا
وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء تغر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام
على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال
مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث
ابن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا
مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق
بفضله ويعول على احسانه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يعني
فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى اعدائه قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى
الذين كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند
الموت لرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم
وادبارهم واختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه
الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت
الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم
الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم
وقال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول

اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان
ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر
به وباصحابه فهاهنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض
العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بان يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ
بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا
واهربوا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا
من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام
منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلم الله انهم لا يعجزونه قوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع
الاسلحة والالات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها الحصون والمعاقل
الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي اسيد قال قال يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم
وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان
يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت
شيخ كبير ويشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه
قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح
السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ
عشر اسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو
عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة اخرجه ابو داود
ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم
الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله
فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمودا الا ثلاثة
تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن
ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي
مختصرا الى ومنبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون
بالسوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني
فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي

وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع
ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو الة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة
المامور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي
ليس من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي
اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود واجله فكذا هاهنا
يحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات
كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من
فروض الكفايات وقوله تعالى ومن رباط الخيل يعني اقتناءها وربطها للغزو في سبيل
الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص اقامة حفظة
فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم ما
يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله للحصون فقال
ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط
الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروي
ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال
كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات
وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة
عليها اولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك
ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله ق عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة خ عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر
فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها
في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو
انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت ابارها واروائها
منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا
وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا
ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي يشد به الفرس وقت الرعي والاستنان
الجري والشرف الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما

في ابدى الناس اما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل
اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل
الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات الرجل مناواه اذا عاديته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله
وعدوكم يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال
ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبين للجهاد
مستعدين له مستكملين لجميع الاسلحة والات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم
فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل
الجزية للمسلمين وقوله تعالى واخرين من دونهم يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء
فيهم فقال هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمهم
لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله الله يعلمهم يعني انهم منافقون واورد على هذا القول
ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف تخوفون باعداد القوة ورباط الخيل واجيب
عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك
مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن ورجح هذا القول الطبري قال
لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم
مشركون وانهم حرب للمؤمنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم حتى يعلم احوالهم واماكنهم دونكم
ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في دار
فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناده وقال الحسن صهيل
الخيل يرهب الجن وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله قيل اراد به نفقة الجهاد
والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيرها يوف
اليكم اعمالكم اجره يعني في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا
تنقصون من ثواب اعمالكم شيء قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لما امر الله عباده
المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح يعني
ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم
الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني الى المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان
هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح
اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداه من الكفار وفيه قوة
فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين
ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة
عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى وتوكل على الله يعني
فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك انه هو السميع يعني لاقوالهم
العليم باحوالهم قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة
والمعنى وان ارادوا ان يخدعوك يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا

باظهار

باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فان حسبك الله يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته هو
الذي ايدك بنصره يعني قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك وبالمؤمنين يعني وايدك
بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين
حتى يقول وبالمؤمنين قلت التاييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب
باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد
بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما الذي يكون
بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله تعالى
هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى والف بين
قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وذلك ان العرب كان فيهم
من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة
في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا
ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه
انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت
تلك الضغائن وصاروا انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوا اخوانا يتحابون في الله وهم الاوس
والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب
وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار
الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية
دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة
انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه بقوله
انه عزيز حكيم يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة
الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه
الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون
الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء
في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني
الى غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدينة
وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله ومتبعوك
من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على قتال
عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في
الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ان يكن منكم عشرون يعني رجلا صابرون يعني

عند اللقاء محتسبين انفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه
قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على
ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل
على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولاً على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا
التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء
وان يكن منكم مائة يعني صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا وحاصله وجوب ثبات الواحد
من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون
لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون
معكم الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله خ عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين وفي
رواية ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه
قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن
خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنكم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف
عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر ان هذا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لما
تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال
عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الآن خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان
فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون
على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين
فقد فر والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة
وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له
اسرى م عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستان
بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله
كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فان هؤلاء ائمة الكفر
وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم
اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس
ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللبن وليشد رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل
ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال

ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء
او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة من السماء
من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال
عمر بن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ
منهم الفدا فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين
يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت
وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك
من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية اخرج
هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها
البغوي واخرج مسلم زيادة من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله
هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم
الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله
ما ارى الذي راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل
فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديدها فهوي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت
وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان
يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة
لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير
الآية فقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعني ما كان ولا ينبغي لنبي وقال
ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحتبس
كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع
الجمع حتى يثخن في الارض الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا
اشتدت قوته عليه وكذلك حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل
ذلك فله ان يقدم على الاسر فيأسر الاسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب لاصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم يعني يريدون ايها المومنون عرض الدنيا باخذكم الفدا من المشركين وانما سمي
منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دايمة
لا انقطاع لها وقوله تعالى والله يريد الاخرة يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين
ونصركم الدين لانها دايمة بلا زوال ولا انقطاع والله عزيز لا يقهر ولا يغلب حكيم يعني في تدبير
مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يوميذ قليل فلما كثروا واشتد
سلطانهم انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين
بالخيار ان شاوا قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا اعتقوهم قال
الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء يزيل حكم الاية التي
نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتي الايتين متوافقتان وكلاهما يدلان على انه لا بد من
تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا قال العلماء كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية والاوقية
اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وستماية درهم وقال قتادة كان الفدا يوميذ لكل اسير اربعة
الاف اربعة الاف فصل قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبيا وبيانه
من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد
وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم
بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي
صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه
الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه كان له
الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين
رجلا من عظما المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض
قتل جميع الناس فدلت هذه الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب
عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يوم بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان انا م
الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما
واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف لمن رغب
اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا اذ لو كان حراما
في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر قعدا يبكيان نحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل
واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا
من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله اعلم قوله عز وجل
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال ابن عباس كانت الغنايم محرمة

على الانبيا

على الانبيا والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السما فتاكله فلما كان
يوم بدر اسرع المومنون في اخذ الغنايم والفدا فانزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضا من الله سبق في اللوح
المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من
الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا شيا بجهالة لعذبكم يعني
لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المومنين احد
ممن حضر بدرا الا احب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد
ابن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقا الرجال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا يعني فقد احللت لكم الغنايم واخذ الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يعني فقد احللت لكم الغنايم واخذ
الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم
عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنايم لهذه الاية لهذه الامة
وكانت قبل ذلك حراما على ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا
فاحلها لنا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله غفور رحيم يعني وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا
شيا من قبل انفسكم قبل ان تومروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب
ورحمكم وقيل في قوله فاتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة في
الى الحالة الماضية قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم نزلت في العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة
الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذ جات نوبته فكان يوم
الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون
الاوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية
من فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت به لتستعين به علينا فلا اتركه
لك وكلف فدا ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفنته ام الفضل
وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث
فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن
اخي قال اخبرني به ربي قال العباس اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسلما ففي ذلك نزل قوله تعالى يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا ان يعلم الله في ما اخذتم
قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا يوتكم خيرا مما اخذ منكم يعني من الفدا ويغفر لكم يعني ما
سلف منكم قبل الايمان والله غفور يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل

طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا منها لان لي الآن عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف
درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي
عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك يعني ان يكفروا بك فقد خانوا الله يعني فقد كفروا
من قبل وقيل معناه وان ينقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك فامكن منهم يعني فامكن المومنين
منهم يوم بدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن
من كل احد يخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق او خيانة ونقض
عهد حكيم يعني حكم بان يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء مرضاته وهم المهاجرون
الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه والذين
اووا ونصروا يعني اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اولئك يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض يعني في العون
والنصرة دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار
يتوارثون دون ذوي قراباتهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح
مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء
يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الذين
امنوا ولم يهاجروا فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصر
والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه
جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في
الارض وفساد كبير قال ابن عباس الا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا
وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولايته في الدين دون من سواهم وجعل
الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المومن الكافر دون المومنين تكن
فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا
يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم
مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار
لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم
من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم
اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه
الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المومنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا

يفيد

يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي
نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة
يدل على انهم مغفرة واي مغفرة لا منتهى لها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم
النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم فكل شيء شرف وعظم في بابه فيقال له كريم والمعنى ان لهم
في الجنة رزقا لا يلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من
هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب
الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاية الاولى اصحاب الهجرة الاولى
وذكر في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل
من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد
الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن
هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على
اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى فاولئك
منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة
المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم
منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق
وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة
والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين هذه الاية ان
سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله
يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وهي ان قسمة المواريث
مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القران وتمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في
توريث اولي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي
بينه في سورة النساء فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء
من قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى
ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التوبة وهي مدنية

باجماعهم قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت
بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف وثمان وسبعون
كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمانية وثمانون حرفا ولهذه السورة اسماء عشرة سورة التوبة
وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش
من النفاق اي تبرئ منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها

والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها
خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت
جموع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت
استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول
ومنهم ومنهم حتى ظنوا انه لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في يوم بدر قال
قلت سورة الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين فصل في بيان سبب ترك كتابة
التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها
في السبع الطول ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو
ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا انزل عليه شي دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا
هولا الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الاية يقول ضعوا هذه الاية في السورة
التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القران نزولا
وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا
انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت
لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف
وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسيل سفين بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة
والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة
ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود
فلذلك لم يفتتح بالتسمية وسيل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القران وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك فضمت الى الانفال
لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة
ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلت في القتال ومجموعهما معا مايتان وخمس
ايات فكانت هي السورة التي بعد من السبع الطول وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف
بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
تنبيها على قول من يقول انهما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى براءة من الله ورسوله يعني
هذه براءة واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال بريت من فلان ابرا براءة اي انقطعت
بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون
ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم
وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ

اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطايهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا الى الذين
عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
عاهدهم وعاقدهم الا انه هو عاقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا وقوله تعالى
فسيحوا في الارض اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين امنين غير خايفين احدا من المسلمين
واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانباري
قوله فسيحوا فيه مضمر اي قل لهم سيحوا ليس هذا باب الامر بل المقصود منه الاباحة
والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من
القتل والقتال اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التاجيل
وفي هولا الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة
اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر ومن كان عهده بغير
اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر
الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم
ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول
في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم
الحج الاكبر وانقضاوه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهري الاشهر
الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب
وعليه الاكثرون وقال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتمها
الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداوها في العاشر من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار
في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان
قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقاتل
من قاتله من المشركين فقال تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل
الا من قاتله ثم امر بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل
اكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم
اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضا الاجل وقال محمد بن
اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا
عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم
واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم
الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه
الاتلدا كنت لنا ابا وكنا ولدا ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا اعتدا

وادعوا عباد الله ياتوا مددا • فيهم رسول الله قد تجردا • في فيلق كالصبح يجري مزبدا • ابيض مثل الشمس
يسمو صعدا • ان سيم خسفا وجهه تربدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك المؤكدا •
هم بيتونا بالحجر هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم
وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج
فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم
للناس الحج وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته
العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنا وعرفة قد بريت ذمة الله وذمة رسوله
صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي
انزل في شاني شي فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك
كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي بن
ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرأ عليهم اول سورة براءة وقال زيد بن يثيع سالنا
عليا باي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا
نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة عشر حجة الوداع ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
وفي رواية ثم اردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن
معنا في اهل منا ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم
الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس العمرة الحج الاصغر قال فنبذ
ابو بكر الى الناس بعد ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك
وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية فصل قد يتوهم
متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل
من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم
ان ابا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن
يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله ابو بكر فيه دليل
على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب
العلماء عن بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس ببراءة لان عادة العرب جرت
ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب
اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن
عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد
العهود ونقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة

تطييبا

تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون
جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان ابو بكر الامام
وعلي المؤتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس
ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا
انكم غير معجزي الله يعني ان هذا الامهال ليس للعجز عنكم ولكن للمصلحة وللطف بكم ليتوب تائب
وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم
لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف
الفوت ولا يعجزه شي • وان الله مخزي الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الاخرة قوله عز وجل
واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول الوقت
والمعنى واعلام صادر من الله تعالى ورسوله واصل الى الناس يوم الحج الاكبر اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى
عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد
وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر
فقال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال روي موقوفا عليه وهو اصح وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى
والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد
ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان
اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في هذه
الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى
وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين •
واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري
والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيل
سمي الحج الاكبر لموافقته حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة
وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل
النسي وجميع احكام الجاهلية وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقوله تعالى ان الله
بري من المشركين فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله بري من المشركين وانما حذفت
الباء لدلالة الكلام عليه وفي رفع رسوله وجهان الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان
الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري الثاني تقديره بري الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله
في محل الرفع بالابتداء وبري خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول فان قلت لا فرق بين قوله براءة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فائدة
هذا التكرار قلت المقصود من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية الثانية البراءة التي هي نقيض

وقتها اليوم

الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في الاولى براءة من الله ورسوله
الى يعني نوع التهديد وفي الثانية برئ منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم
فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول
النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد عظيم
واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم يعني في الاخرة
ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى
الا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام
عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله
ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم احدا
من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد
ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي
كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان وصف التقوى يقتضي ان لا يسوي بين القبيلتين يعني الوفي
بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر
الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد ابن اسحق هي شهور العهد
سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله
الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المؤمنين دماء المشركين
والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله
تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق
عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم
وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم اي واحبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم
وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل
مرصد يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء ارصده اذا
ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم
بطريق مكة حتى لا يدخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلاة
يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم
يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن
المعصية الى الطاعة رحيم يعني باوليائه واهل طاعته قال الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية
كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى وان احد من المشركين

استجارك

استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم
وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزل عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه
ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك ثم ابلغه مامنه يعني
ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه
فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله عز وجل
قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيامة كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على
وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد
ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة
هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد
ومحمد بن اسحق هم بنو جذيمة وبنو الديل قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم
يوم الحديبية وقال من يعدهم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا
من م لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا
باي بلاد شاؤوا فاسلموا قبل الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبايل
بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم
الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم
قريش بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض العهد وذلك قبل
فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين
قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا
عليكم احدا كما ظاهرت بنو قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
ان الله يحب المتقين يعني ان الله يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه
كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى تقديره كيف لهم عهد وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا
عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا
وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا المعنى قول
ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما
كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله ومنه قول ابي بكر الصديق
لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا كلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى
الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا يرضونكم
بافواههم وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم واكثرهم فاسقون فان قلت
ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق
في معرض الذم وما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت

فقد يكون الكافر عدلاً في دينه وقد يكون فاسقاً خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم فاسقين انهم نقضوا
العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم
فاسقين لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون
وقوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من
متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة
اطعمهم ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه وترك حلفاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس
وذلك ان اهل الطائف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا
يعملون يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهداً ولا ذمة اذا قدروا عليه
فقتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض
العهد قوله عز وجل فان تابوا يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به
واقاموا الصلاة يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها وآتوا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة
المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم فاخوانكم في الدين يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما
عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك
ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة
والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما
وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ذكره
ابو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين ما جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر
من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه
وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة
حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفي رواية كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت
انه الحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل
ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم يعني
وان نقضوا عهودهم من بعد عهدهم يعني من بعد ما عاهدوكم على ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم وطعنوا في دينكم يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه
وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء
الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر يعني رؤوس المشركين وقادتهم قال
ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة

عقالا

وسائر

وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا العهد وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر
الائمة لانهم الرؤساء والقادة فهي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال
حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الآية بعد ولم يأت اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون
مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى انهم لا ايمان
لهم جمع يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه
لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان اي لا تؤمنوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم لعلهم
ينتهون اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعون عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين
على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم يعني نقضوا
عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهم بدأوكم يعني بالقتال اول مرة يعني
يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا واصحابه وقيل اراد انهم بدأوا بقتال
خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخشونهم يعني اتخافونهم ايها المؤمنون فتتركون
قتالهم فالله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم مصدقين
بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم من يريد بالتعذيب القتل يعني
يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب
الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم
يعني الذين نقضوا وبدأوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم
او نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب
والى الموافق والمخالف وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب الذي لقي وقوله تعالى ويخزهم
يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان وينصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن
المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره
ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور
خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى نكلوا
فيهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ويذهب غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالهم من بني بكر روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند
ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشاء وهذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول فالمعنى ويهدي
الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل
بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من ائمة الكفر ورؤوس
المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم يعني بمن ابواعباده ومن سبقت

له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ام حسبتم ان
تتركوا هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا
والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله
بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازى عليه
لانه انما يجازي على ما عملوا ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة قال الفراء الوليجة البطانة من
المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطا
اولياء يعني لا تتخذوا المشركين اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته
في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه
بدخيلة امره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم
فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين من موالاة المشركين
وان يفشوا اليهم اسرارهم والله خبير بما تعملون يعني موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده
وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع
والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه
الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله
فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب
يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين اي
ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة
الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين
احدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع
منه الكافر حتى لو اوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد
والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان
دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد
ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من
دخولها وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين
وقيل لا يقربونها وهم شاهدون فلا حذفت وهو نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم
بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام
عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا لاصنامهم فلم يزدادوا
بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم
بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال من انت فيقول

نصراني

نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم
بالكفر لانه من انفسهم اولئك حبطت اعمالهم يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قرى
الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تاثير مع الكفر وفي النار هم خالدون
يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر لما بين الله عز وجل
ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو
من امن بالله فان الايمان شرط في عمارة المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله
فيه فمن لم يكن مومنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وامن باليوم
الآخر وانما قال ذلك لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء العبادة انما يكون في الآخرة فمن انكر
الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسوله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت
ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الآخر فقد امن برسول الله
لان من جملته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان
محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الخلق الى الايمان
بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر وترك
ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الآخر اقام الصلاة وايتاء الزكاة
وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن برسول الله صلى
الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقام الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد لان الانسان اذا عمر
المسجد لاجل اقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة
واجبة وعمارة المساجد نافلة والانسان لا يشتغل بالنافلة الا بعد ان كمل الفريضة الواجبة
عليه وقوله تعالى ولم يخش الا الله يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني فاولئك هم المهتدون والمتمسكون
بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل
يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر
الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيا للضيف عند نزوله
بالقوم ق عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله
بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي
قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية م عن النعمان بن بشير قال كنت
عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان
اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا
اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت

واقام الصلاة واتى الزكاة

فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر إلى آخرها وقال ابن عباس قال العباس حين أسر يوم بدر إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد
كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية
لا تنفعهم مع الشرك بالله وأن الإيمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب
القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت
بيدي مفاتحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما أدري ما تقولون لقد
صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام الآية والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد
المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الإسلام وأسلم العباس أقره رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته كمن آمن بالله
واليوم الآخر فيه حذف تقديره كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله أي وكجهاد
من جاهد في سبيل الله وفضل السقاية والعمارة يعني أن السقاية والعمارة تقديره أجعلتم
ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون
عند الله يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج
وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لأن الله لا يقبل عملا إلا مع الإيمان به والله لا يهدي القوم
الظالمين (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس
يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله
إنهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا
فإنكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني
قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل
واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة
ولا بخل إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء
من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما
أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشية أو ينقع عشية ويشرب
غدوة وهذا حلال فإن غلا وحمض حرم قوله عز وجل الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله يعني أن من كان موصوفا بهذه الصفات يعني
الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية
وعمارة المسجد الحرام وإنما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم
والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة وأولئك يعني من هذه صفته هم الفائزون يعني
بسعادة الدنيا والآخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي ثم ذكر ذلك
الذي يبشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان
من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني أن نعيم الجنة دائم

غير منقطع أبدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم أبدا يعني لا انقطاع له إن الله عنده أجر عظيم
يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء
قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس
لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله
أن تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في التسعة
الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة
قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من
آخر القرآن نزولا والأقرب أن يقال إن الله تعالى أمر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف
يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين
واجبة فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى إن استحبوا الكفر
على الإيمان يعني إن اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم
فأولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار
الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت
أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فأنزل الله تعالى قل أي قل يا محمد
لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وقرئ
على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الأدنون من أهل الإنسان الذين يعاشرونه دون غيرهم
وأموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني نفاقها ومساكن ترضونها
يعني تستوطنونها راضين بسكناها أحب إليكم من الله ورسوله يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله
ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى أنه يجب تحمل المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما
وأخبر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن
المجاهدة في سبيل الله فتربصوا أي فانتظروا حتى يأتي الله بأمره يعني بقضائه وهذا أمر تهديد
وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن
طاعته وفي هذه دليل على أنه إذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على
المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله لقد نصركم الله النصر المعونة على الأعداء بإظهار
المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني أماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره البخاري من حديث زيد بن
أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال إن جميع غزواته وسراياه وبعوثه
سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله
في يوم حنين أيضا فأعلم الله أنه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موطن وموقف ومن يتولى الله نصره
فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة
هو إلى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر
الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال
الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف
وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل
من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزي
عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم
كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى ضعف بل ينظر الى ما ياتي من عند
الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون
وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال
قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا ق عن ابي اسحق قال
جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما
ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من
نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود
به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك زاد انزل
ابو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي
به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين
قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس عليهم
سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم
رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال انا
النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحق قال قال البراء ان هوازن
كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر وقوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف
وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه
يقال ادا من القوم باسرهم الجهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه
وقوله كنا اذا احمر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالباء الموحدة من تحت الشدة والخوف
قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق
مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابي سفيان بن الحرث وايمن
ابن ام ايمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما
بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس
وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس
وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي
عطفة البقر على اولادها فقالوا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون
يا معشر الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت
انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم زلت
مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي
صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم
كليلا يعني لا يقطع شيئا وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال
فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل
به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك
القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد
ابن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وروي ان رجلا من بني
نصر يقال له شجرة قال للمسلمين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا للمؤمنين
نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم
يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء
فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا
لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت
الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا
وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم احد
فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله
يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله
قد اطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين ولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار
الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب

اميرهم مالك بن عوف النصري فاتى الطايف وتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر
امير المسلمين وقال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يوميذ ستة الاف سبي ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى الطايف فحصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعده وهو شهر حرام انصرف
عنهم واتى الجعرانه فاحرم منها بعمره وقسم بها غنايم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان
ابن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان
ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افا الله على رسوله من اموال هوازن ما افا فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المايه من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا
ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل
الى الانصار فجمعهم في قبه من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقها الانصار اما ذووا راينا يا رسول الله لم يقولوا شيا واما اناس
منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعون
الى رحالكم برسول الله فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به فقالوا بلى يا رسول الله قد رضينا
قال فانكم ستجدون بعدي اثره شديده فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا
سنصبر زاد في روايه قال انس فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افا الله على
رسوله يوم حنين قسم في الناس في المولفه قلوبهم ولم يعط الانصار شيا فكانهم وجدوا اذ لم
يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم
متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم
ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال لو شيتم قلتم جيتنا كذا وكذا اترضون
ان يذهب الناس بالشاه والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجره لكنت امرا من الانصار
ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار
م عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن اميه وعيينه
ابن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مايه من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال
عباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع فما كان حصن ولا حابس يفوقان
مرداس في مجمع وما كنت دون امري منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع قال فاتم له رسول الله صلى
الله عليه وسلم مايه خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين
فسالوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب
الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطايفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي روايه
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشره ليله حين قفل من الطايف فلما تبين لهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطايفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هولا جاوا تايبين واني قد رايت ان
ارد عليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا

يغفر الله

رسول الله

رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاوكم
امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاوهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا
فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم يعني قلتم لن نغلب اليوم عن قله فلم تغن عنكم اي كثرتكم شيا يعني ان الظفر
بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته يعني منهزمين ثم انزل الله سكينته
يعني بعد الهزيمه والسكينه الطمانينه والامنه وهي فعيله من السكون وذلك ان الانسان اذا
خاف رجف فواده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فواده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون
جعل لفظ السكينه كناية عن الامن وقوله تعالى على رسوله وعلى المومنين انما كان انزال
السكينه على المومنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما
حصل للمومنين من الهزيمه والاضطراب في هذه الواقعه ثم من الله عليهم بانزال السكينه
عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يبرح وانزل جنودا
لم تروها يعني الملايكه ليثبتوا المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملايكه
لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال
وذلك جزا الكافرين يعني في الدنيا ثم اذا افضوا الى الاخره كان لهم عذاب اشد من ذلك العذاب
واعظم ثم يتوب الله على من يشا فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا
وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تايبين فمن عليهم واطلق سبيهم والله غفور لمن تاب
رحيم بعد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قيل اراد بالمشركين عبده
الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى
والنجس الشي القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم
لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقها اتفقوا على طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين
كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من صافح مشركا فليتوضا ويروى هذا عن الزيديه
من الشيعه والقول الاول اصح وقال قتاده سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون
فلا يتوضون فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا
من المسجد الحرام ويوكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به
الحرم لانه اذا دخلها اسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني قال العلما وجملة بلاد الاسلام
في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا
لظاهر هذه الايه وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جا رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له
في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفه
واهل الكوفه للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامه
وبين اليمن وبين نجد والمدينه الشريفه وقيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي
وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين نجد وتهامه
وقيل لانه حجز بين نجد والسراه وقيل لانه حجز بين نجد وتهامه والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز

فيجوز للكافر دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام م عن عمر انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما
زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم
عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان
في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا مرسلا عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز
جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن الى ريف العراق في الطول من جدة وما والاها من ساحل
البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد
وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى بعد عامهم هذا يعني العام الذي
حج فيه ابو بكر الصديق بالناس ونادى علي ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة
وان خفتم عيلة يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون
يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش
فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء
وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة
عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ان شاء قيل انما شرط المشيئة في الغنى المطلوب لتكون الآمال
دائمة التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امله من كل احد
الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية
الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ان الله عليم يعني بمصالحكم حكيم يعني انه تعالى
لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمه ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل
والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال مجاهد نزلت
الآية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت
في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب
اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته المؤمنين والمعنى قاتلوا
ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى
يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت
ان ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى
يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يؤمن بالله وقيل من اعتقد ان العزير ابن الله وان
المسيح ابن الله فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من
رسل الله فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله واما
ايمانهم باليوم الآخر فليس كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن وقوله تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم الله في السنة وقيل معناه

لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام من قبل انفسهم ولا يدينون دين
الحق يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا
يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا
يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم من الذين اوتوا الكتاب يعني
اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهي ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب
على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم عن يد
يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد قال ابن عباس
يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها
مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل
والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام و
القابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي
اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال له اد حق
الله يا عدو الله وقال الشافعي الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم فصل
في بيان حكم الآية اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب
الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما
ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه
ابو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن
وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد
وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ
من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي
كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما
روي عن بجالة بن عبدة ويقال عبيدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن
ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخاري عن جعفر بن محمد
عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن
عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك
في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان
عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرجه مالك في الموطا وفي
امتناع عمر من اخذ الجزية حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل
على ان راي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا
في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه

فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف
اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فان كان قد دخلوا
فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد
النسخ بمجي محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم
ومن شككنا في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا
تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر
بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة وان مهم فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم
في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه
ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري
ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود وقال النبي صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم
يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا توخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما توخذ
من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى
كل فقير دينار وهو قول اصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل
الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلثة ايام اخرجه
مالك في الموطا قال اصحابنا فمع اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل
الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة دنانير قال العلماء انما
اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لابائهم الذين انقرضوا على الدين
من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا
فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من
اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء
ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يومنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله
وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بافواههم الاية لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون
بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الاية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك
على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فتقرر بان هولاء
لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا
الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون
اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من
اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك
وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وقال عبيد بن عمير انما قال
هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن

اغنيا

اغنيا فعلى هذا القول القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود
في قوله وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب
الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم
وروى عطية العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت
التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم
التوراة فبينا هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فاذن
في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت
نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه
مثله فقالوا ما اوتي عزير هذه الاية الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس
وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع
بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة وتكون
لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة قال فاتاه ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة في
صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من
صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا
معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة
في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول
كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره عليهم ولا عبرة
بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى
المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام ثمانين
سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب
وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص
لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار
ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل
عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا
له من انت قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت
واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل
ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم
انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا فعلم نسطور
ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم
ملكا ان عيسى ومريم هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم
في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس الى ما علمتك وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد
ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني ساذبح نفسي تقربا

الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد
الى بيت المقدس والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك
طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله قال الامام
فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل
على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ
الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشى هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى
عليه السلام والله اعلم بحقيقة الحال ه ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم
من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول
زورا وكذبا لا حقيقة له نفيا هو له قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال
مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون ه قول الذين كفروا من قبل قال قتادة والسدي معناه
ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد
معناه يضاهئون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله
كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم ه قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال
ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول
تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله ه انى يؤفكون يعني انى يصرفون
عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد لم يلد ولم يولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطبتهم
فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء
من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في
معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم
فيها فاتخذوهم كالارباب لا انهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة
براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا
اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها ه والمسيح
ابن مريم يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية ه وما امروا
في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم الا ليعبدوا الها واحدا لانه هو المستحق للعبادة
لا غيره ه لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام
او ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون
له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال ه يريدون يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى ه

ان يطفئوا

ان يطفئوا نور الله بافواههم يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
بتكذيبهم اياه ه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها
المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه ه
وثانيها القران العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد وثالثها
ان دينه الذي امر به وهو الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره
ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل
واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بتكذيب وتزوير فقد خاب
سعيه وبطل عمله ثم ان الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار
الدين بقوله ه ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه
ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل
هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي يابى الا ان يتم نوره هو الذي ارسل رسوله يعني
دينه
محمدا صلى الله عليه وسلم ه بالهدى يعني بالقران الذي انزله عليه وجعله هاديا اليه ودين الحق
يعني دين الاسلام ه ليظهره يعني ليعليه ه على الدين كله يعني على سائر الاديان وقال
ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها
ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين
الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة
والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل
على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي
صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام
اما بعز عزيز او بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم
فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند م عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان
كنت لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين
ابائهم قال الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان لكل من
سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك دينان دين اهل
الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا
وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية
صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله ه ولو كره المشركون قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان

وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان
لم ياكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل
في قوله تعالى ليأكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشي باسم ما هو
اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون
الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها
ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها
من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به
وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل ان التورية كانت مشتملة على آيات دالة على بعث النبي
صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها
طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني
ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام ﴿والذين يكنزون الذهب
والفضة﴾ اصل الكنز في اللغة جمع المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز اي مجموع واختلفوا
في المراد بهولاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معوية
ابن ابي سفيان لان الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم
بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت
في مانعي الزكاة وذلك انه لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل
حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل
الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال بالباطل
ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سوا كان من اهل الكتاب او من
المسلمين خ عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بابي ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل قال
كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في
ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس
كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي
انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت واختلف العلما في معنى الكنز فقيل
هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تود زكاته روي عن ابن عمر ان قال له اعرابي اخبرني عن قول
الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم
قال ابن عمر من كنزها فلم يود زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها
الله طهرا للاموال اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله
ابن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا يودى منه الزكاة وروى الطبري بسنده
عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تود زكاته فهو الكنز الذي
ذكره الله في القران يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروي عن علي بن ابي طالب قال اربعة

الان

الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى
الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان وكان هذا
في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شي من المال اخراجه لاحتياج
غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب
والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الآية
فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن
بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا
امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المومن على ايمانه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر ان كل مال اديت
زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تود زكاته فصاحبه معاقب
عليه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل
الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت
له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت
اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما
الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يودي منها حقها
ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت
لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها
رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يودي
حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيا ليس فيها عقصا ولا جلحا
ولا عضبا تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه
مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا في بعض نسخ صحيح مسلم ردت
بضم الرا وفي بعضها بردت بالبا وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور
قوله حلبها بفتح اللام على المشهور وحكي اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي
من الارض الواسع الاملس والعقصا هي الملتوية القرنين والجلحا التي لا قرن لها
التي لا قرن لها وكذا الجلحا وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان
يطوقه يوم القيمة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم الآية الشجاع الحية والأقرع صفة له بطول العمر لأن من طال عمره تمرق
شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان هما عظمان
ناتئان في اللحيين تحت الأذنين وقوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يعني ولا يؤدون زكاتها وإنما
قال ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لأنه رد الكناية إلى الأموال المكنوزة وهي أعيان الذهب والفضة وقيل
رد الكناية إلى الفضة لأنها أغلب أموال الناس فبشرهم بعذاب أليم يعني للكافرين الذين لا يؤدون
زكاة أموالهم ق عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني
قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك
أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت
يوم القيمة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت
عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى
يوم يحمى عليها في نار جهنم يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة
الحرارة فتكوى بها جباههم يعني بالكنوز جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود
لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم
في موضع على حدته قال بعض العلماء إنما خص هذه الأعضاء بالكي من بين سائر الأعضاء
لأن الغني صاحب المال إذا أتاه السائل فطلب منه شيئاً فتبدو منه آثار الكراهة والمنع
فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح ويجمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم إن كرر السائل الطلب نأى بجنبه
عنه ومال عن جهته وتركه جانباً ثم إن كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل
جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطاء والبذل وهذا دأب
مانعي البر والإحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الأعضاء الثلاثة بالكي يوم القيمة وقوله
تعالى هذا ما كنزتم لأنفسكم أي يقال لهم ذلك يوم القيمة فذوقوا ما كنتم تكنزون أي يقال
لهم ذلك يوم القيمة فذوقوا ما كنزتم في الدنيا من الأموال ومنعتم حق الله منها ق عن الأحنف
ابن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن
الجسد أخشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع
على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه
يتزلزل قال فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً قال فأدبر فاتبعته
حتى جلس إلى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم فقال إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً هذا
لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخاري فقلت من هذا قال أبو ذر قال فقمت إليه
فقلت ما شيء سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت إلا شيئاً سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
قوله عز وجل إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع

عزاب

الآخر

الآخر وجمادى الأول وجمادى الآخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة
وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد
بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام
هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس
في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم فتنقص السنة الهلالية
عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج
تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت
العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة
في غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل أن عدد شهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهراً
على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله إن عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهراً
في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع أحوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل
أراد بكتاب الله الحكم الذي أوجبه وأمر عباده بالأخذ به يوم خلق السموات والأرض يعني
أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والأرض أن السنة اثنا عشر شهراً منها
يعني من الشهور أربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة
متوالية وإنما سميت حرماً لأن العرب كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو أن أحدهم
لقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأشهر لم يهجه ولما جاء الإسلام لم يزدها إلا حرمة
وتعظيماً ولأن الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضاً أشد من غيرها
فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد
الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا
يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الأخذ بهذا
الحساب والعدد في صومهم وحجهم وأعيادهم وبياعاتهم وآجال ديونهم وغير ذلك من سائر
أحكام المسلمين المرتبة على الشهور ق عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر منها أربعة حرم ثلاث
متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان أي شهر
هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام
قلنا بلى قال فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه
بغير اسمه فقال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة
يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا
بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من
يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت قلنا نعم
قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن أنفسكم قيل الكناية فيهن ترجع إلى جميع الأشهر

اي لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان
من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع
الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم
والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم والفساد فيهن وقال محمد بن اسحق
ابن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل
ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على
النفس لا جرم انه خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات
من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة
والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه
الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا
وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين
على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا
تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين
في مقاتلة اعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا
حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطاء
الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين
وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ
قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم
وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصر والمعونة على اعدائهم
قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر النسيء في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت ومنه
النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك
ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت
به من ملة ابرهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة معايش العرب من الصيد والغارة
فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض
الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني اخروا تحريم شهر
الى شهر اخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا
الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر
حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة
عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور السنة فوافقت
حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع فوافق حجه في السنة الثانية من
ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر
ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في

اليوم

اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع
الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة عليه لئلا
يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من نسا النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد
اول من نسأ بنو مالك من كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني
وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس
في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب
ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر
في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال
حلال عقدوا الاوتار وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة
رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم وفينا ناسئ الشهر القلمس
وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان
اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعائشة
ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي
يجر قصبه في النار هذا ما روي في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في
الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم اذا ارادوا ايقاع فعل في وقت من
الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء
فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم يضل به الذين كفروا
قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا اتباعهم من الناس
وهم ايضا ضلال في انفسهم وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم اضلوهم
وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين
كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا
تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرا يضل
بضم الياء وكسر الضاد يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه
عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه
محرما فلا يغيرون فيه ليواطئوا يعني ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من
المحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا
من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في
العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين
لهم الشيطان هذا العمل والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو كفار
اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا

في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس
وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها
حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا
وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله
عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا
في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد ودعاء اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا
والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني ولزمتم ارضكم
ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة
الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها
وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها قليل زائل ينفد عن قليل
ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية
دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر
منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في الآية
الآتية هي قوله تعالى الا تنفروا يعني ان لم تنفروا ايها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعذبكم اي الله عذابا اليما يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس
المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيا من احياء العرب فتثاقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ويستبدل قوما
غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه
على ان الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى
الخروج الى الحث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا
عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا
الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ينصره
على اعدائه ولا يخذله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن
وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة
لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا
التقدير فلا نسخ قوله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه او لم يعينوه
وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اذ اخرجه
الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله

فان

ثاني

ثاني اثنين يعني هو احد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق اذ هما في الغار يعني اذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار هو في جبل
ثور وهو قريب من مكة اذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق ولا
تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحزن ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في
هذه الآية غير ابي بكر وقال الحسين بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم
على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما
ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ
والتسديد وهو داخل في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان
عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه
والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته
اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله
عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي عن عمر بن
الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه
وليلة واحدة من لياليه اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا
اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكسحه ووجد
في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر
في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم
عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية وخوار في
الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه
علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي
ساعة بين يديه صلى الله عليه وسلم وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك
يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى
الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله
فنزل وقال له ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

ذكر سياق حديث الهجرة وهو مما انفرد به البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لم اعقل ابوي الا
وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما
ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو
سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد
ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل
الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلادك فرجع
وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج
رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب
قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة
مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى ان — ولا يؤذينا
يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن
بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه فيتقصف عليه نساء المشركين
وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القرآن فافزع
ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك — اشرافهم
على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا
قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل
وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين
لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه
فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل
عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك واللّه والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي — وارضى بجواره
صلى الله عليه وسلم اني رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر
قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك يا رسول الله
بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده
من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن يوما
جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها
فقال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصحابة بابي انت يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر
قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو

غلام

غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به
الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منيحة
من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بها عامر بن
فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية
وقد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا
اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق
معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل
قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه
اخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي
بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة
بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك
رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي
ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت
بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت
بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت
بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض
حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا
لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره
فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من
الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم
ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسالاني الا ان قال اخف
عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب عروة ابن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير
في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون في
كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم
فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من اطامهم لينظر اليه فبصر برسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر
العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام
أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه
فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة
ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي
معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من
المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين
فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا
وأطهر ويقول اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المهاجرين
لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر
تام غير هذه الأبيات أخرجه البخاري بطوله — شرح غريب ألفاظ الحديث قوله
لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين يعني أنا كنا منقادين إلى الطاعة وبرك الغماد بفتح
الباء من برك وكسر الغين المعجمة موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر إلى
المدينة من بلاد غفار وقيل هو ... تعلبه قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما
أنه يعطي سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه
على غيره والقول الثاني أنه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فيفيده وصفه بالإحسان
والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق النائب وصلة الأرحام والقيام بأمر العيال وقرى الضيف
ونوائب الحق ما ينوب الإنسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده قوله أنا لك جار أي حام وناصر
ومدافع عنك والاستعلان والإعلان إظهار المخفي وقوله تقصف الناس عليه يعني ازدحموا
عليه والذمة العهد والأمان وإخفارها نقضها واللابة الحجر والحرة الأرض التي تعلوها
حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة البعير القوي
على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه تشده المرأة وسطها وترفع ثوبها
من تحته فتعطف طرفا من أعلاه إلى أسفله لئلا يصل إلى الأرض وقوله ثقف لقن يقال ثقف
الرجل ثقافة إذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والإدلاج بتخفيف الدال سير أول الليل
وبتشديدها سير آخره والمنيحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو
اللبن يقال نعق الراعي بالغنم إذا دعاها لتجتمع إليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه
في الحديث والماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان هو
حلفا في آل فلان إذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والأسودة الأشخاص والأكمة التل المرتفع
من الأرض يقال قرب الفرس تقريبا إذا عدا عدوا دون الإسراع والكنانة هي الجعبة التي
يجعل فيها السهام والأزلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال ٥

والوعث

والوعث العب يقال ما رزأت فلانا شيئا أي ما أصبت منه شيئا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيئا
وقوله أوفى أي أشرف والطلع والأطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو
ثياب بيض والمربد الموضع الذي يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة
يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لا حمال
خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى أن ذلك الحمل الذي يحمله
من اللبن لأجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمال
والرواية الأولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار
أرسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل
أنبتت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا
حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت وقد وجدت
في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه إلى أبي بكر الصديق وهو قوله
قال النبي ولم يجزع يوقرني ونحن في سدف في ظلمة الغار ٥ لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا وقد تكفل
لي منه بإظهار ٥ وإنما كيد من تخشى بوادره كيد الشياطين قد كادت لكفار ٥ والله مهلكهم
طرا بما صنعوا وجاعل المنتهى منهم إلى النار ٥ وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه
يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على
أبي بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك فصل في الوجوه المستنبطة
من هذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره وعلانيته وأنه من المؤمنين
الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها أن هذه
الهجرة كانت بإذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته
وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها أن الله عاتب أهل الأرض بقوله
إلا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها أن أبا بكر لم
يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق
محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي
هذا دليل على فضله ومنها أن الله تعالى جعله ثاني اثنين إذ هما في الغار وفي هذا غاية
الفضيلة لأبي بكر وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال
فمنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الإيمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر
إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يد أبي بكر ثم جاء بهم إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزو إلا وأبو بكر معه
في ذلك الموقف ومنها أنه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الإمامة فكان ثانيه ٥
ومنها أنه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل أبي بكر ومنها أن الله تعالى نص
على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله إذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها أن الله تعالى كان ثالثهما

رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله ثاني اثنين

ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه
بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى وايده بجنود لم تروها يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال
الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا
وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو
في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كلمة
الشرك فهي سفلى الى يوم القيمة وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الى
يوم القيمة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم
ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا والله عزيز حكيم
قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي
تثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين
فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبانا وشيوخا وقال ابن عباس
نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني
فقراء وثقالا يعني اغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة
يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة
وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل
وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية
والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع
النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها
داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم
الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء من
حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المومنون لينفروا
كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا
الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا
خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت
احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم
يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت
يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من
يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة لان الجهاد من فروض الكفايات يدل عليه
ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء النسوه
وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد انما يجب على من [illegible] من فروض الكفايات ليس

على الاعيان

على الاعيان والله اعلم قوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما
يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل الآت الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض
الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد
بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيستعين بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم يعني ذلك
الجهاد خير لكم يعني من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ان
كنتم تعلمون يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما
تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا
ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا
لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة والشقة السفر البعيد
لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا
لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم
لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو
قوله وسيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة لو استطعنا
لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق
وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها والله يعلم انهم لكاذبون يعني في ايمانهم وايمانهم
وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه
لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله
عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك
الى تبوك قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفدا من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال
سفين بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب فصل استدل
بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه
تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه تعالى قال لم
اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى
عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير
كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك
ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه يدل على
تعظيم المخاطب قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل عفا الله عنك الا نجود بفضلك يا ابن العلا
المرتجى احد الطوائف ومولى عفا ورشيد هدى اقلني اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون

قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة اولا فان كان قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت هذا
ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفا
الله عنك لم اذنت لهم فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده
الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم
ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله
لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو
لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنب قال الداودي
انها تكرمة وقال هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك
الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا محمول على ترك الاولى
والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا
يعني في اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة قوله تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا وما احسن هذا الحذف للظهور
والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته انما يستاذنك يعني
في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم
المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب
الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك والارتياب الى القلب لانه محل
المعرفة والا كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا
مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف على الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل
انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها
محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم
من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا
في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون في التخلف
من غير عذر فعيرهم الله بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو معكم
لاعدوا له عدة لتهيئوا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره
الله انبعاثهم يعني خروجهم الى الغزو معكم فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى
ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه فان قيل هنا يتوجه سوال وهو ان
خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه
مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم

في اذنه

اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السوال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة
عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام التفحص واكمال
التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل
ان يوحى اليه في امرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه انه لما استاذنوا في
القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم
اختلفوا في القايل من هو فقيل قاله بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل
القايل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استاذنوه في القعود
فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القايل لذلك هو الله تعالى بان
القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين تعالى ما في خروجهم من المفاسد
فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولاء المنافقون معكم الى الغزو ما
زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولاء المنافقين فسادا وشرا واصل الخبال اضطراب ومرض يوثر
في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما
زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين
بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ولاوضعوا خلالكم يعني ولاسرعوا فيكم
وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما
تفتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون
منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون
العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم
وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك انهم يلقوا اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم
فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل
ان يكون بعض المومنين لهم اقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك
القول في قلوب ضعفة المومنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد
للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المومنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة
من قبل يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس
عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي بن سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم
وقلبوا لك الامور يعني واحالوا فيك وفي امرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيل الناس
عنك وفي صدهم لتشتيت امرك حتى جاء الحق يعني النصر والظفر وظهر امر الله وهم كارهون
يعني ذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد
بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل

مغرم بالنساء واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن ايذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك
بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم يكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد
اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني ومن المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في
المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم الا في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي
النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم
وتجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين
وان تصبك مصيبة يعني من هزيمة او شدة يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا يعني اخذنا امرنا بالجد
والحزم في القعود عن الغزوة من قبل يعني من قبل هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يعني مسرورون
بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحوا
بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم
جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه
نفعا اراده ما لم يقدر له هو مولانا يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في
الموت والحياة وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في جميع امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهؤلاء
المنافقين هل تنتظرون بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة
والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر
والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى
ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن ان ادخله على
الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين وقوله
تعالى ونحن نتربص بكم قل للمؤمنين يعني ونحن نتربص ننتظر بكم احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المؤمنين
بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم فتربصوا انا معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد
الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه قل انفقوا
طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود
عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله
في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طائعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام
الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية
وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه
رياء وسمعة فانه لا يتقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين
والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله اي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع
كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون

على

على تركها عقابا ولذلك ذمهم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في
سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب
وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين
واولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا
يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب
بشيء من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر
اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت
قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من
المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد
الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير
في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل احد من بني ادم في الدنيا
واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن
قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد
في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وانه ليس له فيها ثواب فيبقى
ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا
فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن وقيل ان
تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكوة منهم والنفقة في سبيل الله على ما بين على ذلك وربما
قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم
بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الاخرة
على ملك لا يعذره وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على
الكفر فيكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين
انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون
يعني انهم يخافون ان يظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجا يعني حرزا وحصنا
ومعقلا يلجئون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يامنون عندهم
على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي
الموضع الذي يغور فيه الانسان اي يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو
السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة على احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر
الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون الى الدخول
المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا

مؤمنهم وكافرهم فانه يعذب
المنافقين لهذا العذاب

ان تقربوا اليكم الي احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله تعالى ومنهم من يلمزك
في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج ق عن ابي سعيد
الخدري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم
فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل وفي رواية قد
خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال
الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر
لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة
فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل
عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه
فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي
تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد اي عابه ٥ فان اعطوا منها يعني من
الصدقات رضوا يعني رضوا عنك في قسمتها ٥ وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني
وان لم نعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ٥ ولو انهم رضوا يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك
رضوا بما قسم الله وقنعوا بما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله ٥ سيؤتينا الله من
فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه ٥ انا الى الله راغبون يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا
عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود
عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين
للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها
بشيء ولم ياخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم
الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه
رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات
حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود ٥
فصل في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة
على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع
وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل
تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله
عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكاة في
ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة
منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى الشهوات واللذات

فاوجب

فاوجب الله عز وجل الزكاة على العبد ليتخلص باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليتميز بذلك بين
المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء
خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب
العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع
لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي
ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له
به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء
فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال
الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال
فامر بدفع الزكاة الى الفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل
عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسئلة
الثانية الاية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه
لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي
فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل بذلك ان الصدقات لا تصرف الا
الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف
الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء
في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير
الذي لا يسال والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة
الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال
الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان او غير سائل
فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير
احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة
الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى اخبر بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا
لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولا ان حاجتهم
اشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد لما
رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الاعزل قال ابن الاعرابي الفقير
في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته
شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من
الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة
رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين اسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر
وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة

ملكا مع اسم

فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان
الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة
ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين
بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى
جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي
ان الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلا
ان الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم
والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله
انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا
ذا متربة فهو حجة لمذهب الشافعي لان قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد
مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمساكين
انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي
انه ذكر ان الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما
الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة
ان الفقير والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة
فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي
وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني
رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها
فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب
اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي مكتسب واختلف قوله م
العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله
سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك
خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح
قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان
يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت قيده
الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما الصنف الثالث قوله والعاملين عليها وهم السعاة
الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات

بقدر

بقدر اجورهم وان كانوا اغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد
والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل
فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي
عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد ابو رافع ان
يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي
والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم وهم قسمان قسم مسلمون وقسم
كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس السلمي فهولا اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم لتقوى قلوبهم ورغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام
وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثال هولاء من
خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا
بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهولاء الذين
بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم
من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هولاء قوم بازاء جماعة
من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم
المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر
بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلثين بعيرا اما مؤلفة الكفار
فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجاء اسلامه
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان
يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه
عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير
من اهل العلم ورأوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة
وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم
سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور
وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى وفي
الرقاب قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول
ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين ليدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي
وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا
قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان

سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس
انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة والقول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انه لا
يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي
الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان
نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيدا ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون
من الزكاة قال اصحاب الشافعي الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه
تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء
وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم
ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا واما الرقاب فيوضع
نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في
الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه
في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف
السادس قوله تعالى والغارمين اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه
شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية
فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا
يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات
ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها
بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء لم
يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات
شيء الصنف السابع قوله تعالى وفي سبيل الله يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد
به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون
به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء
لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج
عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ
عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه
الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي
سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف دون صنف والقول الاول هو الصحيح لاجماع
الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر من بلد الى بلد
والسبيل الطريق وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع
به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده
او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع
وقوله تعالى فريضة من الله يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من
الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة والله عليم يعني بمصالح خلقه حكيم يعني فيما فرض
لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص ولا خلل المسألة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة
اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من
اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض
فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين
وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على
الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثابتة قسمة على السواء لان سهم المؤلفة
ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف
الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت
بين اولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك
الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده
الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف
او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه
ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمها بينهم جميعا وهذا قول عمر
وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري واصحاب الرأي
واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى وقال ابراهيم
النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف
واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة
فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في عام في صنف آخر حولها اليهم وكل
من دفع اليه شيء من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر
غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل اذن اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء وان كان محترفا
لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما تحصل به آلة حرفته فلا اعتبار بعدد فيعطى
ما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو
حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان اعطيته اجزأ فاما اعطاء
من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزئ فيه قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن يلزمه
نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطي الوالد وان
علا ولا الولد وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى
وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم

انا لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله
صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شي واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على
موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم
واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكره
اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقرا ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم
ان الله افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيايهم وترد في فقرايهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا
على انه اذا نقل المال الى بلد اخر واداه الى فقرا ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز
فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى
ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يوذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف
ان يبلغه ما يقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شينا
ثم ناتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة كل ما
يقال له ويقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت
في رجل من المنافقين يقال له نبتل ابن الحرث وكان ارقم اسمر الشعر احمر العينين
اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر
الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيا صدقه فنقول ما شينا
ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الاية ومقصود المنافقين بقوله
هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله
تعالى بقوله قل اذن خير لكم يعني هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد
عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرى اذن خير من قوله
منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يومن بالله ويومن للمومنين يعني انه يصدق المومنين ويقبل
قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالبا والايمان للمومنين باللام لان
الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالبا فيقال امنت بالله والايمان للمومنين
معناه تصديق المومنين فيما يقولونه فلا يتعدى الا باللام ومنه قوله انومن لك وقوله
امنتم له ورحمة اي هو رحمة للذين امنوا منكم وانما قال منكم لان المنافقين كانوا
يزعمون انهم مومنون فبين الله تعالى انه رحمة للمومنين المخلصين لا المنافقين وقيل
في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا
يهتك اسرارهم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل
يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين منهم الجلاس بن
سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا

فنحن

فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة
فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه
الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المومنون
هولا المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله
احق ان يرضوه اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ما ذا يعود فقيل الضمير عايد على الله تعالى
لان في رضى الله تعالى رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله احق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص
وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل معناه والله
احق ان يرضوه وكذلك رسوله ان كانوا مومنين يعني ان كان هولا المنافقون مصدقين بوعد
الله ووعيده في الاخرة قوله تعالى الم يعلموا قال اهل المعاني الم تعلم هذا خطاب لمن علم
شيا ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله
الم يعلموا يعني من شرايع الدين التي علمهم رسولنا انه من يحادد الله ورسوله يعني انه من يخالف
الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد
يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله
اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله فان له نار جهنم اي فحق ان له نار جهنم خالدا
فيها يعني على الدوام ذلك الخزي العظيم يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة
قوله عز وجل يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون ان تنزل عليهم سورة يعني
على المومنين تنبيهم يعني تخبر المومنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد
والعداوة للمومنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسوء ويسترونه
ويخافون الفضيحة ونزول القران في شانهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى
الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واسرارها
وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين
باسمايهم واسما ابايهم ثم نسخ ذكر الاسما رحمة منه على المومنين ليلا يعير بعضهم بعضا لان
اولادهم كانوا مومنين قل استهزوا امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شيتم ان الله مخرج
اي مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه
عن المومنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها
وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما
نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول
العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة هم عن قيس بن عباد قال قلت لعمار ارايتم
قتالكم ارايا رايتموه فان الراى يخطي ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد
الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في
امتي اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم
تكفيكهم الدبيلة خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم قوله تعالى ولئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين
قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هولاء ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء
فقال له عوف كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني
الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون ما يزيده قال محمد
ابن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو
ابن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس
من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال
الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين
اثنان يستهزءان بالقران والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه
يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل
في اصحابنا قران انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على
الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الاية ولئن سالتهم يا
محمد هولاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض
في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في
مايع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول فيه تلويث واذى قل اي قل
يا محمد لهولاء المنافقين ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار
عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرايض الله وحدوده واحكامه
والمراد بايات كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر
محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما
يشعر بالقدح في قدرة الله تعالى وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل لا تعتذروا

ابانه

قد كفرتم بعد ايمانكم يعني قل لهولاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة
من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللايمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني اظهرتم
الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مومنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم
الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان
فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم
عند المومنين بعد ان كنتم عندهم مومنين وقوله تعالى ان نعف عن طايفة منكم نعذب
طايفة ذكر المفسرون ان الطايفتين كانوا ثلاثة فالواحد طايفة والاثنان طايفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطايفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي
عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل
انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الاية تاب من نفاقه
ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرا عني بها تقشعر منها الجلود وتجب
منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا
دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يعني انهم على امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق
والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه يامرون
بالمنكر يعني يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وينهون
عن المعروف يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ويقبضون ايديهم يعني
عن الانفاق في سبيل الله وفي كل خير نسوا الله فنسيهم هذا الكلام لا يمكن اجراوه على
ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع
البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التاويل وقد ذكروا فيه
وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم
بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم
بالرحمة والاحسان فحمل النسيان على ترك الذكر لان من ترك شيا لم يذكره وقيل
لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى
ان المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم
خالدين فيها فيه حذف تقديره بان يصلوها خالدين يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني
كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة ولعنهم الله يعني وابعدهم من
رحمته وطردهم عن بابه ولهم عذاب مقيم وهو الدايم الذي لا ينقطع فان قلت قوله خالدين
فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار في معناه قلت ليس ذلك بتكرار وبيان الفرق

بالو كانوا محرومين

من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقايل ان يقول هذا
التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شي اخر الى عذاب النار واجيب
عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل نوع اخر من العذاب من غير جنس
النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم
في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضايحهم
وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى كالذين من قبلكم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب الحضور
والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار
الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل
انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار
ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هولاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال كانوا اشد منكم
قوة يعني بطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
الشهوات ورضوا بها عوضا من الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له من
خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فان قلت ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق
في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا قلت
فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا
النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم
ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد ان تنكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له انت
مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم وانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هو
للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا معطوف
على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على
الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة
يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى
انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا ستبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى
الم ياتهم رجع من الخطاب الى الغيبة يعني الم يات هولاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى
التقرير اي قد اتاهم نبا يعني خبر الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم
كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح يعني انهم اهلكوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلكوا بسبب
النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم
الظلة والموتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مداين قوم لوط وانما ذكر

الله عز وجل هذه الطوايف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من
العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم اتتهم رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات
والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون فاحذروا
ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة
ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني ان الذي استحقوا من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة
والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما اعد الله لهم من انواع الكرامات الوعيد في الدنيا والاخرة
عقبه بذكر اوصاف المومنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا
والاخرة فقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق
الكلمة والعون والنصرة فان قلت انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال
في وصف المومنين بعضهم اولياء بعض فما الفايدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع
وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الروساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال
فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه
وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض فظهر الفرق
بين الفريقين وظهرت الفايدة وقوله تعالى يامرون بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع
امره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن المنكر يعني عن الشرك
والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون
وصفوه ويقيمون الصلاة يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويوتون
الزكاة يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم اولئك يعني المومنين والمومنات
الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب
في نار جهنم ذكر ما وعد به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان والسين
في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد ان الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب
والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن
اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل
والانصاف وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب
ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها
الانهار البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن
والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم
الجنات التي هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني

في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن
حصين وابي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات
عدن قال قصر من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا
من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على
كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام
في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى
بسنده عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار يعني دار الله التي لم
ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني ادم غير ثلاثة النبيين
والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت
هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن دار يعني دار الله هو من باب حذف المضاف
تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليائه واهل طاعته والمقربين من عباده عن ابي موسى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجه
البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن
عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة الاف باب لا يدخله الا
نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة جنانه على حافتيه وقال مقاتل
والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة وهي مغطاة من
حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن
شاء الله وفيها قصور الدر واليواقيت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل
كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين
احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والاثار تقوي هذا القول قال
صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني
انه صفة للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدونا
فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر
يعني ان رضوان الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة والرضوان ق
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي
شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا قوله تعالى يا
ايها النبي جاهد الكفار يعني بالسيف والمحاربة والقتال والمنافقين يعني وجاهد المنافقين
واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن
الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز محاربته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام

فقال

فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب
الرفق عنهم وهذا قول الضحاك عنهم ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة
الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على
من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على المنافق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب
من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون
قال الطبري واولى الاقوال قول ابن عباس وابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد
دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من
دليل منفصل وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع
المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق اخرى بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول
ابن مسعود واغلظ عليهم يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب ومأواهم جهنم بالجهاد
وبئس المصير يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك
النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت انما امر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم واقام
بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال اني مسلم فيحكم باسلامه في الظاهر
حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امرنا باجراء
الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى
الله لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقونه قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال
عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس
ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله
يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن او ان
تصيبني قارعة او ان اخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئته او تصيبني
قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف
ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر
اليكم بعيني الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما
قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر
الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين احدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة
حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس انصروا

احلفهم والله ما قلت ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لين رجعنا الى المدينه
ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى لها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف
بالله ما قاله فانزل الله هذه الايه هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في
الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين
وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لين كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينه اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا
رسول الله علي فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر
بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا
اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه الى السما فقال اللهم انزل على نبيك تصديق
الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل جبريل عليه السلام قبل
ان يتفرقا بهذه الايه حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد
عرض علي التوبه صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمه هي
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لين كان محمد صادقا لنحن شر
من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن ابي بن سلول لين رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها
الاذل وسياتي القصه في موضعها في سورة المنافقين ان شا الله تعالى وقوله تعالى وهموا
بما لم ينالوا قال هو هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشيه ان يفشيها عليه
وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول وكان الذي هم قوله لين رجعنا الى المدينه فلم ينله
وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبه
وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجا جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم
من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفه لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا
الى المدينه عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه ۞ وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى
الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمه فنقموا اشرا وبطرا قال ابن قتيبه معناه
ليس ينقمون شيا ولا يتعرفون من الله الا الصنع وهذا كقول الشاعر ما نقم الناس من امية
الا انهم يحلمون ان غضبوا وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيا
فهو كقول النابغه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب اي ليس فيهم
عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه في ضنك من العيش فلما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال
عروه كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتاده

كانت لعبد الله بن ابي ديه فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمه ان مولى لبني عدي
قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالديه اثني عشر الفا وفيه نزلت
وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ۞ فان يتوبوا يك خيرا لهم يعني فان يتوبوا من
كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل ۞ وان يتولوا يعني وان يعرضوا عن الايمان
والتوبه ويصروا على النفاق والكفر ۞ يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالخزي والاذلال
والاخره اي ويعذبهم في الاخره بالنار ۞ وما لهم في الارض من ولي ولا نصير يعني وليس لهم احد
يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والاخره قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لين اتانا
من فضله لنصدقن الايه روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جا ثعلبه
ابن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبه قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه
ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنه والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال
معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي
بعثك بالحق لين رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزق ثعلبه مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينه فصار لا يشهد
الا الجمعه ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينه فصار لا يشهد لا الجمعه ولا جماعه فكان اذا
كان يوم جمعه خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال ما فعل ثعلبه فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبه غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه فانزل الله اية الصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من بني سليم ورجلا من جهينه وكتب لهما اسنان الصدقه وكيف ياخذان وقال
لهما مرا على ثعلبه بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبه
فسالاه الصدقه واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية
انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله
فعزلها للصدقه ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي
بذلك طيبه فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبه فقال اروني كتابكما فقراه
ثم قال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما
راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه ثم دعا
للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبه فانزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لين اتانا
من فضله لنصدقن الايه الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
من اقارب ثعلبه فسمع ذلك فخرج ثعلبه حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه

فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر فلما ولي عمر اتاه فقال
اقبل صدقتي فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فلم
يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه
ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت
صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها
ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس
ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت منه
كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف
بما عاهد الله عليه فانزل فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب
ابن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن
فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السايب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا
عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه
ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية
يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن اتاه من فضله لنصدقن وليفعلن فيه افعال
الخير والبر والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومنهم
المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن
يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقة ولنكونن من الصالحين يعني ولنعملن في ذلك
المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير
واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في
حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله لنكونن من الصالحين
اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة فلما اتاهم من فضله
بخلوا به يعني فلما رزقهم الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيئا وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه
وهم معرضون يعني عن العهد فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم
منافقين يقال اعقبته ندامة اذا صيرت عاقبته امره ذلك وقيل معناه انه تعالى اعقبهم
عاقبتهم بنفاق قلوبهم الى يوم يلقونه يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق
فيجازيهم عليه بما اخلفوا الله ما وعدوه يعني الصدقة والانفاق في سبيله وبما كانوا يكذبون يعني
في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية
خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد
اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء
مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع
العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر
ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد
لبعض السلف ولبعض العلماء هذا او كله قال الشيخ هذا الحديث بحمد الله اشكال ولكن
اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه
ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم
فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون
نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام
فيظهره ويبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك
الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه
بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال
غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث
وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا
في ايمانهم فكذبوا واتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا
في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد
ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر وروياه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال القاضي عياض واليه مال اكثر ائمتنا وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير
للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه
منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة
كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر
هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان
يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد في الوفاء به وقوله تعالى الم يعلموا يعني
هؤلاء المنافقين ان الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق ونجواهم
يعني ويعلم ما يتفاوضون به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم
والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها وان الله علام الغيوب وهذا
مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوالهم قوله عز وجل الذين
يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات الاية ق عن ابي مسعود البدري قال
لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني
عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا

يجدون الا جهدهم الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها
في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله تعالى في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين
الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه
الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر وقال يا رسول الله
فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون
فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فانزل الله تعالى الذين يلمزون يعني يعيبون المطوعين يعني المتبرعين
من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب
عليه والذين لا يجدون الا جهدهم يعني ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل
الحجاز وبالفتح لغة غيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي
ياتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي ياتي به فيتصدق به لان الغني اخرج
ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر
المحتاج المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
فيسخرون منهم يعني ان المنافقين كانوا يستهزءون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا وكانوا يعيرون الفقير
الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابه ان كل من
يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى
سخر الله منهم يعني انه تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب اليم يعني الا
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون
لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج
الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد او لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين
من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى
على عمه حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات
سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا
خص السبعين بالذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيدن على السبعين لعل الله ان
يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ق عن ابن عمر قال لما
توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه
يكفن فيه اباه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب

الصدقة

الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد
على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك العفو عنهم وترك المغفرة لهم من اجل
انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوفق للايمان
بالله ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله يعني فرح المتخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم
في المدينة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعده وعلى هذا القول خلاف بمعنى خلف فهو اسم
للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد ترك بعده وقيل معناه
مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
قوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف
وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك لان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل
والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك
في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد
في الحر فان نار جهنم التي هي موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون
قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال
رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج ولا تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله بالخروج فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هؤلاء
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه
وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار
والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة
لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء
بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاؤهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا روى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في
النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء
فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان
ردك الله يا محمد من غزوتك هذه الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم
لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعذار ٥

ابدا ولا تقم

[illegible] جهنم [illegible] لو كانوا يفقهون [illegible]

فانشا ذنوك للخروج يعني فاستاذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى
غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا يعني فقل يا محمد لهولاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم
لن تخرجوا معي ابدا الى غزاة ولا الى سفرة ولن تقاتلوا معي عدوا انكم يعني لانكم رضيتم بالقعود اول
مرة يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزاة تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين النساء
والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع
الخالفين يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه
مكر وخديعة وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج — وخداع
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم
وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة
بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن
ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود — فلن
فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه
فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية
خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي بن سلول
وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر
عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اني اعلم اني ان زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى
انزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون
قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم واخرجه
الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى
قبضه الله تعالى ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما
ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه فالله
اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هرون وكان على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك
قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن
جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله
عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه
فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه فصل قد وقع في هذه الاحاديث
التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي
حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن ابي اتي ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فساله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعدما
ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين
هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث
جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه اولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما ادخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي
اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله
بعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا مسلما مخلصا واما قول قتادة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه ساله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه
فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها
الترتيب وما المراد بها الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره
جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى
عليه والله اعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد
الخزرج في اخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده
وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين واعظمهم
نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انهم كانوا ثلثمائة رجل
ومائة وسبعين امراة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم
اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال
يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس لابي وان امرتني ان اتيك براسه
فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه
وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات ابوه سال النبي صلى الله عليه وسلم
ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فاعطاه وساله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه
عبد الله واسعافا له وتطييبا وقول عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان
يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في
خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحدث الذي شهد له به النبي — الكشف
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان
التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث
من رواية ابن عباس وسياقه سياقة هي ابين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس
عن عمر فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد
المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني اذا
زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع
قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن

الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي
عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو مع علمه
صلى الله عليه وسلم انه لا ينفع ولا ينجع وغايته ان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل
الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين
النووي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك
فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم
بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق
من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك
لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب
ان يكافئه لها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم وما
يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه
لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه
من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر
في تعليل هذا النهي كونه كافرا فيدخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر
قلت ان يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضمر لاحد سوءا فذكرون خبيثا في نفسه كثير الكافر قد م
الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق
بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الكلام على هذه الآية في
مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده
وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد
هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال
بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد
والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية
الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواما اخرين منهم
المقام الثاني في بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه تعالى وجه ٢
قال في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى
على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن
العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال
تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب فيه ان حرف
لا دخلت هناك لزيادة التاكيد فيفيد انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم
بالاولاد

باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الآية الاولى
انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه على ان التعليل
في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف لام فمعناه ان كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما
امروا الا ان يعبدوا الله وقال تعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى في الدنيا والفائدة
في اسقاط لفظ الحياة الدنيا تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق
ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه
جمل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل واذا انزلت
سورة يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد به
جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد
ان اي بان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو
من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل
ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم
لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم
الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب
عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فايدة يرجع عليكم
نفعها في الدنيا والآخرة وقوله تعالى استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني
اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم
وفي تخصيص اولي الطول بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين على اهبة السفر
والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج
الى الاستئذان وقالوا يعني اولي الطول ذرنا نكن مع القاعدين يعني في البيوت من النساء والصبيان
يتخلفن وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل الخوالف النساء اللواتي يتخلفن
في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف
جمع خالف وهم ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وطبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفهمون مراد الله في الامر
بالجهاد لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم
يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين واولئك لهم الخيرات منافع
الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان هي جمع خيرة بتخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطالب قوله
تعالى اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
الاخروية قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني وجاء المعتذرون من اعراب
البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم
رهط عامر بن الطفيل جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم

فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد انباني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء رحضة وقيل
هم من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء
المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى انه له عذرا ولا عذر له وقيل
ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجهما والاعتذار
في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب فكذلك في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد
الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا اتى
بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل
هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا
صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل
انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين
دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان
اقواما تكلفوا اعذارا باطلة فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون
لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة على الله فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم
منافقوا الاعراب الذين ما جاؤوا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم
الايمان ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾ يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما
قال منهم لانه تعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين
الذين اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل ﴿ليس على الضعفاء﴾ لما ذكر الله تعالى
المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية
الصحيحة وعذرهم واخبرهم ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء والضعيف
هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان
والنساء ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء
ان الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما
المرضى فيدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من
الجهاد والسفر للغزو ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ يعني الفقراء العاجزين عن اهبة
الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور
﴿حرج﴾ اي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين
الرازي ليس في الاية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة
اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة
مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى ﴿اذا
نصحوا لله ورسوله﴾ ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد واحترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن
وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا

الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله ﴿
ما على المحسنين من سبيل﴾ اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه
الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط
من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من
قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل ﴿والله غفور﴾ يعني
لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع ﴿رحيم﴾ يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت
هذه الاية في عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر
ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله
تعالى ﴿ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم﴾ يعني ليسألوك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد
معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره
قالوا جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله
هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني
مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن
ابن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله
ابن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وسالم بن عنمة وعبد الله بن مغفل
المزني قال اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج
معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقيل نزلت في
العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على
الدواب وقيل سألوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله تعالى
﴿قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع﴾ قال صاحب الكشاف هو
كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض
ومن للبيان كقولك افديك من رجل ﴿حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون﴾ يعني على انفسهم في الجهاد
﴿انما السبيل﴾ لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال في حق من يعتذر ولا عذر
له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة ﴿على الذين يستأذنونك وهم اغنياء﴾ يعني في التخلف
عنك والجهاد معك وهم اغنياء يعني قادرين على الخروج معك ﴿رضوا بان يكونوا مع الخوالف﴾
يعني رضوا بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم
﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ يعني ختم عليها ﴿فهم لا يعلمون﴾ ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في
الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع قوله
تعالى ﴿يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم﴾ يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد
اليك وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا

قال يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبانا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون به ام لا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ما في ضمايركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المخلفين بالمدينة من المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولا المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة وماواهم يعني في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي بن حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني يحلف لكم هولا المنافقون لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا لكم فقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وجمع الاعرابي الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب فالعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القران والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر يعني واحق واحرى ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرايض والسنن والاحكام والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه ومن الاعراب اي ومن الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجوا على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا

او رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين او مراياة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدواير يعني بالدواير تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رياب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دايرة السوء يعني بل تنقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ودينه الا ما يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضمايرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمومنين نزلت هذه الاية في اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم بنوا مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم ومن بني اسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما بايعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها ق عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف التحقيق وهو قوله انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعم هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمومنين المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب

لهم الجنة في كتابه فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب
الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وزاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة
وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلما في اول
الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض
العلما اول من امن بعد خديجة علي بن ابي طالب وهو قول جابر بن عبد الله واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل
كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه
وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهو قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال
الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق
ابن ابرهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن
الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهولا الاربعة سباق الخلق الى
الاسلام قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا
سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف
وكان رجال من قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به
من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص
وطلحة بن عبيد الله فجا بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا الثمانية النفر
اول من سبق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار
فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة
وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب ثم اصحاب
العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين
رجلا منهم البرا بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع
وعبد الله بن رواحة فهولا سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى
اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنسا والصبيان من اهل المدينة وذلك
قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة
والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما
قال تعالى من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب صرف اللفظ المجمل اليه
وهو الهجرة والنصرة وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس
لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اعدايه واووه وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل
عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل ان السابقين الاولين
فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار
في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطا هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون
عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير

الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا ق عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن الامة من الناس
يتقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدة من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من
مايه الى مايه وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف النصف والمعنى
لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير النافه
من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل
فيه كل الصحابة واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قوله تعالى
وممن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين كالبغوي والواحدي وابن
الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني
ومن حولكم يا اهل المدينة من الاعراب منافقون وما ذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولا القبايل
ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على
القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعا النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا
يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم
يعين احدا من القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية بل قال في تفسير هذه الاية من القوم الذين
حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم
اقوام منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا
على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا
على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد
في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وابوا
غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك
لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك واطلاعك على الاسرار نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافيه
وان دقت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب
الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة
فثبت بهذا ان الله تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة
اما المرة الاولى وهي عذاب الدنيا الاول التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى
الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر ان صح
هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم
ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى

انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج
من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصايب في
الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وقال ابن عباس المرة الاولى اقامة الحدود عليهم في
الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه
كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض
ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم
وهو قوله ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم
فيهم قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله واخرون
عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ذلك ويعضده ما نقله الطبري عن ابن
عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من
اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك ثم اختلف المفسرون
في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة
وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا
سبعة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك بن عبد المنذر
واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم
ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا نكون في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
في الجهاد واللاواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن
انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا
فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هؤلاء
فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى
عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم
رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها
فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيئا فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة
خاصة اختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة
ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله
لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا
يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك
فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا

فاخذ

فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل
خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا
وسيأتي خبرهم واما تفسير الاية فقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف
عبارة عن الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم
باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت
الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن
بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف
والندم توبة وقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم
بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساير الغزوات والسيء هو تخلفهم
عنه في غزوة تبوك وقيل ان الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى
هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القران اية ارجى
عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فان قلت قد جعل كل واحد من
العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك
خلطته فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية
كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الاية على
هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيئ ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال
اللايق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا بقي كل واحد
منهما على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح
والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر
سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحابطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر
احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن
وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من الباء لانه اريد معنى
الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن
قد يجمع بينهما وقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين
عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال
اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل
ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان
فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو نيل
ما يرجى منه اقرب لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم وهذا يفيد انجاز الوعد
قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من
اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولوا استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ
شيا منها حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير
وقتادة والضحاك ثم اختلف العلما في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هولاء الذين
تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون
جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم
ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكاة امر الله رسوله
ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنيا
ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة
اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها
على اخذ الزكوة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا
في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة
حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف
هو حب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم
ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكوة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد
اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم
فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة اولى ثم في هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها
منهم ايام حياته ثم اخذها الائمة من بعده فيجوز للامام او نائبه ان ياخذ الزكاة من
الاغنيا ويدفعها الى الفقرا الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظه من تقتضي التبعيض وهذا
البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدرها وصفتها في اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم يقتضي العموم فتجب الزكاة
في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها
طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة
في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفا
سبب معين انتفا الحكم مطلقا للعلما في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من
اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلق
بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما
جا ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذكر الاندفاع
جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم
ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون
المعنى تطهرهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون

المعنى

المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم
من ذنوبهم وتزكيهم يعني بواسطة تلك الصدقة الرابع اي معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني
ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم
ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى وصل عليهم يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة
في اللغة الدعا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك
الله فيما اعطيت وبارك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال
بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل على الامام
ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه
ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم
بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقة فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى ان صلاتك وقرئ صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس
طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله تعالى قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان
السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها وان الله قد قبل توبتهم
او قبل زكاتهم والله سميع يعني لاقوالهم او لدعائك لهم عليم يعني بنياتهم الم يعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل
هولاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولاء الذين تابوا ان الله يقبل
التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة
وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين
هولاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم
في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين
قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ
لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى وياخذ الصدقات
يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقرا
وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزا عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها
اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات
وتشريفها وان الله يقبلها من عبده المتصدق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب
الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل
كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من
كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله
يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل احد

ونصدق ذكره في كتاب ذلك الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات
ويمحق الله الربوا ويربي الصدقات ؛ وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث
كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير او السايل
اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا
اي تكبر يقال زلك الشي يربوا اذا زاد وكبر والفلو بضم الفا والفتح المهر او لما يولد
والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها ؛ وقوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم
تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب
الرحيم قوله عز وجل وقل اعملوا اي قل يا محمد لهولا التايبين اعملوا يعني لله بطاعته
واداء فرايضه ؛ فسيرى الله عملكم فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين
فكانه قال اجتهدوا في المستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ؛ ورسوله والمومنون
يعني ويرى رسول الله والمومنون اعمالكم ايضا اما روية الرسول صلى الله عليه وسلم باطلاع الله
اياه على اعمالهم واما روية المومنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين
وبغضه المفسدين ؛ وستردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وسترجعون يوم القيمة
الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شي من بواطنكم وظواهركم ؛ فينبئكم اي فيخبركم بما
كنتم تعملون يعني في الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم قوله تعالى واخرون مرجون لامر الله
اي موخرون والارجا التاخير ؛ لامر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى
قسم المتخلفين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا
عليه والقسم الثاني التايبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم
ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون وموخرون الى ان يحكم
الله فيهم وهم المراد بقوله واخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث
ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم
يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الاية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب
ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى
الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه
فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل
بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم
وهو قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعني ان امرهم الى الله ان شا عذبهم بسبب
تخلفهم وان شا غفر لهم وعفا عنهم ؛ والله عليم يعني بما في قلوبهم ؛ حكيم يعني فيما يقضي
عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت في جماعة من المنافقين بنوا
مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وحرام
ابن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد
ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبيل

ابن الحرث وبجاد بن عثمان ورجل من بني ضبيعة بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمومنين ؛ وكفرا يعني ليكفروا
فيه بالله ورسوله ؛ وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد
الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه
مجمع بن جارية وكان شابا يقرا القرآن ولم يدر ما ارادوا ببنايه فلما فرغوا من بنايه اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة
والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي لنا فيه وتدعوا بالبركة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شا الله اتيناكم فصلينا
فيه ؛ وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار
والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل
بنا هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملايكة وكان ابو عامر قد
ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر
ما هذا الدين الذي جيت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جيت بالحنيفية دين ابرهيم قال ابو عامر
فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت
في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكني جيت بها بيضا
نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
آمين وسماه ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن
يايس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا فاني ذاهب
الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب
مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني وانتظارا ؛ لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق
ان ام
ليصلي فيه اذا رجع من الشام ؛ من قبل يعني ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بنا مسجد
الضرار ؛ وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني ما اردنا ببنايه ؛ الا الحسنى يعني الا الفعلة
الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا
او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ والله يشهد انهم لكاذبون يعني في قولهم وحلفهم روي
وهوه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان موضع قريب من المدينة
فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فانزل الله عز وجل هذه الاية
واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي وعامر ابن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني
حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا
المسجد وفيه اهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك

الموضع كناسة يلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروي
ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم في مسجدهم
فقال لا ولا نعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار فقال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه
واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا
يقرؤون فصليت لهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة
في مسجد قبا قال عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان
لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر وقوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس معناه
لا تصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار لمسجد اسس يعني
بني اصله ووضع اساسه على التقوى الله عز وجل من اول يوم يعني من اول يوم بني ووضع اساسه كان
ذلك البنا على التقوى احق ان تقوم فيه يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى
فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسايه
فقلت يا رسول الله اي المسجدين اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو
مسجدكم هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين منبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ق عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله بيتي و
عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم
منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسايي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا
قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد
قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال ان يتطهروا ويدل على انه اهل قبا ما
روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا
على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت
هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية
ومما يدل على فضل مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا
راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي
مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري
ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج
حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسايي عن اسيد بن ظهير
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال عطا كانوا
يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا

فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على
ابي هريرة ورفعه البغوي وعنه فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري
بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا
اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل
شيا الا ان جيرانا لنا من اليهود رايناهم يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا
وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا
في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي
المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول
ان التطهير من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه
الوجه الثاني ان الله تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم
والكفر بالله وكون هولاء يعني اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرايين من الكفر
والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا
حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني
طهارة الباطن من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن
من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالما والله يحب
المطهرين فيه مدح لهم وثنا عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على
محبة الطهارة قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني طلب ببنايه
المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان قصده تقوى
شفا م الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الشفا هو الشفير وشفا
كل شي حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي
اكل الما تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من
الاودية فيحفر بالما فيبقى واهيا هار اي هاير وهو الساقط فهو من هار يهور فهو
هاير وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما
يهار الرمل والشي الرخو فانهار به يعني سقط بالباني في نار جهنم والله لا يهدي القوم
الظالمين والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهور باهله فيها وهذا
مثل ضربه الله للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى ومسجد قبا او مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا
وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف
هار واذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد ببنايه
تقوى الله ورضوانه فكان بناوه اشرف البنا والباني الثاني قصد ببنايه الكفر والنفاق

واضرار المسلمين فكان بناوه احسن البنا وكان عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صير هم نفاقهم الى
النار وقال قتاده والله ما تناهى بناوهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان
يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي بنوا
ريبة في قلوبهم يعني شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في
قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا
غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا
يحسبون انهم محسنين في بنايه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة
اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزا اما
السيف واما الموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها والله عليم
يعني باحوالهم واحوال جميع عباده حكيم يعني فيما حكم به عليهم قوله عز وجل ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحه اشترط لربك
ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل
المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا كلها ملك
لله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى
التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او
انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا
واشترا فهذا معنى اشترا من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بالاموال انفاقها
في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لتلك
المبايعه وقيل فيه معنى الامر قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا
الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله
في التوريه والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد
اثبته في التوريه والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في
جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى
بالعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون
بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك يعني هذا البيع هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة
قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربحة بايع
الله بها كل مومن وعنه قال ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها وقال قتاده ثامنهم
فاغلى لهم قوله عز وجل التايبون قال الزجاج استونف لفظ التايبين بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع

ای و

و القرآن

الكلام

الكلام وقال الزجاج التايبون رفع بالابتدا وخبره مضمر المعنى التايبون الى آخرها لهم الجنة ايضا من لم
يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد بالجنة لجميع المومنين
كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه
الصفات فيكون رفع التايبون على المدح يعني المومنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما
التفسير فقوله تعالى التايبون يعني تابوا من الشرك وبريوا من النفاق وقيل التايبون من كل
معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التايبين لفظ عموم فيتناول
الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور
المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان
يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح
الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته العابدون يعني المطيعين لله الذين يرون
عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصا وجوه التعظيم لله تعالى وهي
ان تكون العبادة خالصة لله تعالى الحامدون يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السرا
والضرا وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدعى الى الجنة يوم
القيمة الذين يحمدون الله في السرا والضرا وقيل هم يحمدون الله ويقومون لشكره على جميع
نعمه دينا واخرى السايحون قال ابن مسعود وابن عباس هم الصايمون قال سفين بن
عيينه انما سمي الصايم سايحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري
قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك
الصايم ممسك عن الاكل وقيل اصل السيح استمرار الذهاب في الارض كالما الذي
يسيح والصايم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطا السايحون هم الغزاة
المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ايذن
لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة
السايحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم
في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السايح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبوس ولا
بد له من الصبر عليها ويلقى العلما والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه
من بركتهم ويرى العجايب واثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله تعالى
وعظيم قدرته الراكعون الساجدون يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود
لانه معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لانها حالة
المصلي وغيره الامرون بالمعروف يعني يامرون الناس بالايمان بالله وحده والناهون عن
المنكر يعني الشرك بالله وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى
والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل وقول نهى الله عبادة عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى
انتهوا عنه واما دخول الواو في الناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة

اذ له

ومنه قوله تعالى وتابعهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين
بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التائبون الى قوله
السائحون مبتدأ خبره وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله قال ابن عباس
يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون
فرائض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي يلزمهم به ولا يرتكبون منهيا
نهاهم عنه وبشر المؤمنين يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا لله تعالى بعهده فانه
موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهي قوله التائبون
الى آخر الآية فان له الجنة وان لم يغز. وقوله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى الآية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية فقال قوم في شان ابي طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي كرم الله وجهه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد
موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن
قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية
ابن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
لتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شان ابي طالب
وذلك ان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا
قلت الذي نزل في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن
لك ما لم انه عنه كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت
هذه الآية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى فانزل الله تعالى انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله
على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الآية ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار تبلغ كعبيه
يغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك وينصرك فهل
ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية
قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم
وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان
يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري

بسنده

قام
بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قال واكثر ظني انه قبر فجلس اليه فجعل
يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر
امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن اكثر
الجوزي عن بريدة قال النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس
لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استاذنت
ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين واستاذنت ربي ان استغفر لها
فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي
فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الآية م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي
في ان استغفر لها فلم يؤذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر
الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه
الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله
ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه
وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
الآية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه
الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولا يجوز وليس لهم ذلك
لان الله تعالى لا يغفر للمشركين فلا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب
والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم
انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله
لا يخلف وعده. اما قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة وعد ابراهيم اباه
ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم
انه قال سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت
اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان

الوعد الذي وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابرهيم
والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابرهيم وعد ابرهيم ان يسلم فقال ابرهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت
وقيل ان الهاء راجعة الى ابرهيم والوعد كان من جهة الاب وذلك ان ابرهيم وعد اباه ان يستغفر
له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها اباه
بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه يعني فلما ظهر لابرهيم وبان له ان اباه عدو لله يعني
بموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله اوحى الى ابرهيم ان اباه عدو له تبرا منه
وقيل انما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرا منه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يلقى ابرهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابرهيم الم اقل لك لا
تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون
فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابرهيم ما
تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد
غيره فيتبرا منه يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة ثم خاء
معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى ان ابرهيم لاواه حليم جاء في الحديث ان الاواه الخاشع
المتضرع وجاء في الحديث ان [illegible] وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن
التواب وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التاوه وكان ابرهيم صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول اوه
من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد
ابن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال
ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم
قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت
يتنفس الصعداء والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب
فيه ان عند الحزن يحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق
في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح
عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابرهيم مع ابيه حين قال له
لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابرهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس
الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابرهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة
والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة
تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا وقوله تعالى وما
كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم
لموتاكم المشركين بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من
الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان
ذلك ليس بضائرهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما يأتون وما يذرون وهو ان يتقدم اليهم

بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا
قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف
على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم
انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى
يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا
الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد
ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت
على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما
كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يتبين الناسخ ان الله بكل شيء عليم يعني انه
تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم
من اوامره ونواهيه ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك
السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء يحيي ويميت يعني انه يحيي من
كتب عليه الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في
حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم فليس
لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه اذنه للمنافقين بالتخلف
عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب
يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه
ومعنى هذا ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم
الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول
فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من
الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا
لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع
في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات
وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب الكبائر ترك الافضل ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك
الشدائد التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد
العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على
عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
الى ذكرهم الذين اتبعوه في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء

ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم
من سائر القبايل في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق
وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد
والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل
فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا
التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها
صاحبها ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى
ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا
يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في
الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت السماء واظلت
ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر
قوله من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن
الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان
يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا
على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم يعني انه علم خلاص نيتهم وصدق
توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فايدة التكرار قلت
ان الله تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك
واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه
بقوله انه بهم رؤوف رحيم تاكيدا لذلك ومعنى الرافة في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم
يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى
قال الخطابي قد يكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى
وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفايدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى واخرون
مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك
انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله على ابي لبابة واصحابه وذكر + انهم لم يخضعوا اخ
واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب
الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قايد
كعب من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب
لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة
بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش
حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس
وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر
مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا
للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله
كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن
ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة
حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
وطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا
اردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا
والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا فلم يزل ذلك يتمادى بي
حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك وطفقت
اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا
مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفا ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة
يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بيس ما قلت والله
يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو كذلك راى
رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة
الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول
بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت
صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه
ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم
ووكل سرايرهم الى الله حتى جيت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجيت امشي
حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني والله لو جلست

عندَ غيركَ من اهل الدنيا لرايت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلاً ولكنى والله لقد علمت
لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك علىّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد
علىّ فيه انى لارجو فيه عقبى الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى من عذر والله ما كنت قط اقوى
ولا ايسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله
فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد
عجزت فى ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك
ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى اردت ان ارجع الى هذا
رسول الله فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل
ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن امية الواقفى
قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى قال
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس
او قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة
فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم
فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف فى الاسواق فلا يكلمنى احد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام
ام لا ثم اصلى قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى نظر الىّ فاذا التفت
نحوه اعرض عنى حتى اذا طال علىّ ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار
حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الىّ فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت
يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت
فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا الهرم
انا امشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من
يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الىّ حتى جاءنى فدفع الىّ كتابا
من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد
جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها وهذه
ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث
الوحى واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك
ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل
الى صاحبىّ مثل ذلك قال فقلت لامراتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال
فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ
ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به من حركة الى شىء
ووالله ما زال يبكى منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض اهلى لو استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن

فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا
رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت
صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل
منا قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت علىّ الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول
باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج قال فذهب الناس يبشروننا
قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب
الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبىّ مبشرون وركض رجل الىّ فرسا وسعى ساع من
اسلم قبلى واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته
يبشرنى نزعت له ثوبىّ فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت
ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقانى الناس فوجا فوجا
يهنئونى بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما
قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال
فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى
رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى امسك
سهمى الذى بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما انجانى بالصدق وان من توبتى ان
لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله فى صدق الحديث
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلانى الله والله ما تعمدت كذبة منذ
قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو ان يحفظنى الله فيما بقى قال فانزل
الله عز وجل لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى
بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله علىّ من نعمة
قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون
كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شر ما
قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها
الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم
واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل

وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا
عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن
كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء
اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون
من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وانزل الله عز وجل توبتنا
على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة
وكانت ام سلمة محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على
كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري
ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل
من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل او الناقة القويتان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها
يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة
منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج
اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل قوله وتفارط
الغزو اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفقت مثل جعلت والمغموص المعيب المشار
اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب يزول
اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية وقت
الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل
معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة الذي لمزه المنافقون
يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن
كانه لشدته يظهر بيثه صاحبه اي يظهره زاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت
صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة
ما اوردت به اشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبوني اي
يلومون اشد اللوم قوله حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغيرت علي كل
شيء من الارض وتوحشت علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباي فاستكانا
يعني خضعا وسكتا قوله تسورت حائط ابي قتادة اي علوته وصعدت سوره وهو اعلاه
والانباط الفلاحون والزارعون وهم من العجم او الروم والمضيعة مفعلة من الضياع
والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرته بها اي قصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك
غسان فاحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت اتأمم
يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع
وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق
به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن

مما ابلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير
قيد كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان لا اكون كذبته هذا هو في جميع روايات
الحديث بزيادة لا قال العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر
اللام وارجاء امرنا تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطأونكم ويزدحمون عليكم
واصل الحطم الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي
اعلم والاذان الاعلام والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
يعني بالسعة والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا
وضاقت عليهم انفسهم يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم
وظنوا يعني وايقنوا وعلموا ان لا ملجأ يعني لا مفزع ولا منجاة من الله الا اليه ولا عاصم
من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجأ من الله الا
اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب
عليهم تاكيد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا
كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب
الله على الثلاثة الذين خلفوا وحكى وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي
ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع
ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم
فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو التواب يعني على عباده الرحيم لهم وفيه
دليل على ان قبول التوبة لمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على
الله تعالى شيء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في
الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو
وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين
وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا
في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل على فضيلة
الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود
الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا لا ينجز له اقرؤوا ان شئتم
وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم
السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار
ان الله تعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم
قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل

وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله تعالى
ما كان لأهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين والأنصار ومن حولهم من الأعراب
يعني سكان البوادي مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام في كل الأعراب لأن
اللفظ عام وحمله على العموم أولى أن يتخلفوا عن رسول الله يعني إذا غزا وهذا ظاهره خبر
ومعناه النهي أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا يعني ولا أن
يرغبوا بأنفسهم عن نفسه يعني ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته في الجهاد
معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد
فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب
ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وغزوهم ظمأ أي عطش ولا نصب أي تعب ولا مخمصة
أي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما
على الأرض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا
يعني أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة ونحو ذلك قليلا كان أو كثيرا إلا كتب لهم به عمل صالح يعني
إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم إن الله لا يضيع
أجر المحسنين يعني أن الله لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو
نهاه عنه أن يجزيه على إحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أنه من قصد طاعة الله
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا
القول في قصد المعصية فإن حركته فيها كلها سيئات إلا أن يغفرها الله بفضله وكرمه
واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء
من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت
الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية إنها لأول
هذه الأمة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان
أهل الإسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما
كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم قال الواحدي هذا هو الصحيح لأنه تتعين
الطاعة والإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم قال الواحدي هذا هو
الصحيح إذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة إذا ندبوا وعينوا لأنا لو سوغنا للمندوب
أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد والله أعلم
وقوله عز وجل ولا ينفقون يعني في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة فما
دونها أو أكثر منها حتى علاقة السوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون في مسيرهم
واديا مقبلين أو مدبرين فيه إلا كتب لهم يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم

ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه بأحسن ما كانوا يعملون قال
الإمام فخر الدين فيه وجهان الأول أن الأحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب
والمباح فالله تعالى يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني أن
الأحسن صفة للجزاء أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب (ق)
عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير
من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما
عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن
أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي
نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم
وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف
سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم
أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو
فأقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله
قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع
الناس من شره (خ) عن أبي عبس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما
عبد في سبيل الله فتمسه النار (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا
بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات (م) عن أبي
مسعود الأنصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة
سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي
قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية قال عكرمة لما نزلت هذه
الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال
ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا
كافة قال ابن عباس إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر
بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة
من الجهد ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وأجهدوهم فأنزل الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذرهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا

قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب
عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم
ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان نفعله واخبرنا ما نقوله لعشايرنا اذا انطلقنا اليهم
فيامرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكوة
فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه
وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا
رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد
ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن
الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد
تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم حرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يبتغون الخير
وتقعد طايفة ليتفقهوا وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا
الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمناه فتمكث السرايا اذا رجعت اليهم
لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الاية فيمكن ان يقال انها من
بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد فعلى الاحتمال الاول
فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب
عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك
قال المومنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية
يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمومنين ولا يجوز لهم ان ينفروا
بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطايفة
يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطايفة ينفروا الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة
داعية الى انقسام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم
العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرايع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فالملازمون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة اخبروهم
بذلك فيكون المعنى الاية وما كان المومنون ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد
اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة
وقيل ان التفقه صفة للطايفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور
على المشركين والنصر وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا

غلبت

نصر الله لهم على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه وان الفئة القليلة قد تغلب فئة كثيرة فاذا
رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا
الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد فقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه
بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين
واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد
ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من
الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك
حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية والمعنى
هلا نفر من كل فرقة طايفة وتقعد طايفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل
على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم
والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم
ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا (ق) عن معوية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله
ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله (ق) عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد
اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه
فقاهة
الرجل اذا فهم وفقه اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد
فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك
ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلاة والصوم
فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي
بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم
الزكاة اذا صار له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية
من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا
جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم
عنه عاد قال رسول الله
تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على
العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة رضي الله عليه وسلم من سلك
طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة
او فريضة عادلة اخرجه ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او

ليس بمنسوخ والسنة القايمة هي المستمرة الدايمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضايها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعا عظيما في ملكوت السما اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلما قال نزلت هذه الايه قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت قاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلما لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال ساير العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى ساير الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما نال منهم من الغنايم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالعون والنصر قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من سور القران فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزا وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المومنين فقال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شي الى جنسه مما هو في صفته فالمومنون اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول القران شيا بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول السورة من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول السورة واستهزوا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه انجس الاشيا واصل الرجس في اللغة الشي المستقذر وماتوا يعني هولا المنافقين وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الايه الايمان يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سودا في القلب فكلما ازداد النفاق

ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله تعالى اولا يرون قرى تروت بالتا على خطاب المومنين وقرى باليا على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض انهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض والشدايد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهودهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة هل يراكم من احد يعني هل احد من المومنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا ولبثوا على تلك الحال ثم انصرفوا يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شيا فيه نفعهم قوله عز وجل لقد جاكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب يعني لقد جاكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وجنسه وانه من ولد اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلما في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضريها وربيعها ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان آمنة لها نسب في الانصار وان كانت قرشية والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه وعزهم بعزه وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفا ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

معد بن ه

ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيله ثم خير البيوت
فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
عام فحمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم يا ايها الناس رسول من انفسكم يعني من
جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكه لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى
عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل لشق عليه ضلالتكم ٥ حريص عليكم يعني
حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتاده حريص عليكم على هدايتكم وان يهديكم الله ٥
بالمؤمنين رءوف رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رءوفا
رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم
فسماه رءوفا رحيما وقال ان الله بالناس لرءوف رحيم قوله تعالى فان تولوا يعني فان اعرض هؤلاء
الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب ٥ فقل حسبي الله يعني يكفيني الله عليهم
وينصرني عليكم ٥ لا اله الا هو عليه توكلت يعني لا على غيره وبه وثقت ٥ وهو رب العرش العظيم انما خص
العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش العظيم فما
دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الآيتان
لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السوره آخر القرآن نزولا وفي روايه عنه قال احدث القرآن عهدا
بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الآيتين والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه السلام

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخر ثلث آيات قاله ابن عباس
وبه قال قتاده وفي روايه اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم
من لا يؤمن به الآيه وقال مقاتل هي مكية الا آيتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها
وهي مائه وتسع آيات والف وثمانمائه واثنان وثلثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر قال ابن عباس
والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في روايه اخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن
مقطعه وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتاده الر اسم من اسماء القرآن
وقيل هو اسم للسوره وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعه في اول سورة البقره بما فيه
كفايه ٥ تلك آيات الكتاب يعني المراد من لفظ تلك الاشاره الى الآيات الموجوده في هذه السوره
فيكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك
ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك اشاره الى
ما تقدم هذه السوره من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفيه
قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل القرآن حكاه الطبري عن قتاده وروي
عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكوره ٥

في هذه السوره وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوريه والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى
يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التي منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور
وسر القرآن ٥ الحكيم يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل
الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من
الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمه والصواب فمن حيث ان الله يدل على الاحكام صار
كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا سبب نزول هذه الآيه قال ابن عباس
ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم وقال
المشركون الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم وقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا والهمزه في اكان همزة استفهام ومعناه
الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ٥ ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري
الانسان من رؤيه شيء على خلاف العاده وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب
الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكه وبالرجل
محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل مكه من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته ٥
ان انذر الناس يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمعاصي والانذار اخبار مع
تخويف كما ان البشاره اخبار مع سرور وهو قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم اختلفت عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا
حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحه صلاتهم
وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي
روايه اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعاده في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ
وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتاده وقيل لهم منزله
رفيعه عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة
الاولى وحب الحصيد والفائده في هذه الاضافه التنبيه على زيادة الفضل ومدح
القدم لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق
وقال ابو عبيده كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام
وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت لنا القدم
العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقه
والمنزله الرفيعه سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمه وانت امرؤ من اهل بيت ذؤابه لهم
قدم معروفه ومفاخر والسبب في لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل
الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال
ذو الرمه لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر ومعنى لكم سابقه
عظيمه لا ينكرها الناس وقال آخر صل لذي العرش واتخذ قدما ينجيك يوم العثار والزلل

وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف بما فيه كفايه وقوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الامر وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيمة الا من بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيمة فاخبر الله انه لا يشفع احد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه فاعبدوه اي فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة افلا تذكرون يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيمة والمرجع بمعنى الرجوع وعد الله حقا يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه وردا على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا والذين كفروا لهم شراب من حميم هو ماء حار قد انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء يعني ذات ضياء والقمر نورا ذا نور واختلف اصحاب الكلام في ان الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا اختص الشمس بالضياء لانه اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل او وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في

السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز فاكتفى بذكر احدهما دون الآخر فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات لقوم يعلمون يعني يبين دلائل التوحيد والبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير هذه الاية في نظائرها ان الذين لا يرجون لقاءنا يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيمة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفه والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمانينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقال يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى يثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم

١٢٢

الانهار يعني من ايديهم ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنات النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء وهو فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه لله من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشاء اي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحيهم الملائكة بالسلام وقيل تاتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله ان اهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كما يستعجلون بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء اجلهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون

لقانا

لقانا يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ما جعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل واذا مس الانسان الضر يعني الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قائما يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان ينكشف عنه سواء كان مضطجعا او قاعدا او قائما وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وهذا القول فيه تعقيد لان ذكر الدعاء في هذه اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر كأن لم يدعنا فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف الى ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف شاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية هو ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر اقبل الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والتضرع والدعاء في اوقات الراحة والرفاهية وها هنا مقام اعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكمه في جميع افعاله وله التصرف في جميع خلقه بما يشاء ويعلم انه ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني وكذبوهم وما كانوا ليؤمنوا يعني هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاءوا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم

كذلك نهلككم ايها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفاء في
الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب
اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر
هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى اظهارا للعدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم
بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها
فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا
الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني واذا قرئ على
هؤلاء المشركين ايات كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة
نبوتك قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا
لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقرآن
غير هذا او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابي امية
المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر
ابن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فات بقرآن غير هذا ليس فيه
ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند
نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما
قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم
ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن او بدلته
لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه
لو فعل ذلك علموا انه كان كذابا في قوله ان هذا القرآن نزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن
هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقرآن اخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان
يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوا ولما سألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يجيبهم بقوله قل
اي قل يا محمد لهؤلاء ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل
ليس الي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما يوحى الي يعني فيما امركم به
او انهاكم عنه وما اخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او
بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله تعالى
قل اي يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم
يعني لو شاء الله لم ينزل علي هذا القرآن ولم يامرني بقراءته عليكم ولا ادراكم به قال ابن عباس ولا
اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى هذا القرآن مدة اربعين
سنة لم اتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل

مبعثه

١٤٤

مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون
سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم واخبار الماضين وفيه
من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغاء عن
معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند
نفسه وهو قوله افلا تعقلون يعني ان هذا القرآن من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن
ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة ثم امر بالهجرة فهاجر
الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة
ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين اخرجاه في
الصحيحين ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين
م عن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وهو ابن ثلاث
وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس
ابن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا
بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط رجل
انزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا
وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين
قال الشيخ محيي الدين النواوي وردت في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى
الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة
وهي اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان
اصحها ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية
الخمس متاولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة
ويرى الضوء يعني نور الملائكة او نور ايات الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل
وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر
انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والسمرة قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا
القرآن من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه
عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان احد في
الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله ولما كان القرآن من عند الله اوحاه الي
وجب ان يقال ليس في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم حيث انكرتم ان يكون هذا القرآن
من عند الله فقد كذبتم باياته وهو قوله او كذب باياته يعني جحد بكون القرآن من الله وانكر
دلائل التوحيد انه لا يفلح المجرمون يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها

وترك عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها لانها جماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم
فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع ويقولون هؤلاء يعني
الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من
عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة
لنا عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما
انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح
معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قل اي قل لهم يا محمد أتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات
ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك التشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان
موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف
فان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك
الشيء منه قط ولا وقع سبحانه وتعالى عما يشركون نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والاضداد
والانداد وتعالى ان يكون شيء في السموات والارض ولا يعلمه قوله تعالى وما كان الناس الا امة
واحدة فاختلفوا يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام
ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم
اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل
انهم كانوا على دين واحد الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك
وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى
هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان
الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله في سورة
البقرة فبعث الله النبيين وتقريره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما
اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل
على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على
الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام وقوله تعالى ولولا
كلمة سبقت من ربك يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكلبي هي
امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين
لكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكم الله
انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا
فادخل المؤمنين الجنة باعمالهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل
موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة
التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل العقوبة في الدنيا ولكن

لهم

اخرهم

اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة
لولا انزل عليه آية من ربه يعني هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات فقل انما
الغيب لله يعني ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم
احد متى نزول الآية الا هو فانتظروا يعني نزولها اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا
قضاء الله بيننا باظهار المحق على المبطل اني معكم من المنتظرين قوله عز وجل واذا اذقنا الناس
رحمة يعني رخاء ونعمة من بعد ضراء مستهم يعني من بعد شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم
والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع
والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد
ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا
قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون
سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على
الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي
وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا
وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان قد وقع
في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط
نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون
ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب
فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير
واما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي يجوز
انخرامها فقد كرهه قوم وجوزه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر النعمة والله اعلم وقد سمي تكذيبهم
بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون
في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل
عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء وان عذابه في اهلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع
الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ان
رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم
القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر و
البحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر في الفلك وقيل معناه والله
الهادي لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر حتى
اذا كنتم في الفلك يعني السفن ولفظة الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان
فان اريد به الواحد كان كقفل وان اريد به الجمع كان كحمر والمراد به هنا الجمع لقوله
تعالى وجرين بهم يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب

الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي
منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو
بمنزلة الخبر عن الغايب وكل من اقام الغايب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغايب وقيل ان
الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس هو من فصيح كلام العرب ٥ بريح طيبة يعني
وجرت السفن بريح طيبة ساكنة ٥ وفرحوا بها يعني وفرح ركبان الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان
اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة
العظيمة بذلك ٥ جاءتها ريح عاصف قيل الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح
الطيبة ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل
العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد ذات عصوف او لاجل ان لفظ الريح قد تذكر ٥ وجاءهم
الموج من كل مكان يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل
هو شدة حركة الماء واختلاطه ٥ وظنوا انهم احيط بهم يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق
وقيل المراد من الظن اليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك
والدنو منه والاشراف عليه ٥ دعوا الله مخلصين له الدين يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم
يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم
كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة
وضر وبلاء اخلصوا لله الدعاء ٥ لئن انجيتنا اي قايلين لئن انجيتنا يا ربنا ٥ من هذه يعني
من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة ٥ لنكونن من الشاكرين يعني
من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة ٥ فلما انجاهم يعني
فلما انجى الله هولاء الذين ظنوا انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها ٥ اذا هم يبغون في الارض بغير
الحق يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتعدوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر
والعمل بالمعاصي على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين
احدهما محمود وهو تجاوز العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو
تجاوز الحق الى الباطل او الى الشبه قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق
والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم
واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة ٥ يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم ٥ متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل
هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس ان بغيكم على انفسكم لا يتهيا ان يبغي بعضكم على
بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام
قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المامون
يتمثل به ٭ يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فارجع فخير مقال المرء اعدله ٭ فلو بغى جبل يوما
على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيمة ٥ فننبيكم
اي فنخبركم ٥ بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل

الحياة

الحياة الدنيا يعني في فنائها وزوالها ٥ كماء انزلناه من السماء يعني المطر ٥ فاختلط به اي بالمطر ٥ نبات
الارض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون ٥ مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار ٥ والانعام يعني
ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه ٥ حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها
واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور ٥ وازينت اي وتزينت ٥ وظن
اهلها يعني اهل تلك الارض ٥ انهم قادرون عليها يعني على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية
الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة ٥ اتاها
امرنا يعني قضاؤنا باهلاكها ٥ ليلا او نهارا يعني في الليل او النهار ٥ فجعلناها حصيدا يعني محصودة
مقطوعة ٥ كان لم تغن بالامس يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قايمة على ظهر الارض
واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في
زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا
اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات
في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي
وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشي فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه
بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا
شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها
وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن
من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه
التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم
الرجاء في الانتفاع به وقع الياس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة
فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد
والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه
افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل
ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء
في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطايع ويعاقب العاصي ٥ كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر
ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعو الى
دار السلام لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زايلة لا محالة دعا الى دار دار
السلام قال قتادة الله هو السلام ودار الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسماء الله عز وجل
ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقايص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه تعالى يوصف
بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه يوصف بالسلام بمعنى ذو السلام اي لا يقدر على
تخليص العاجزين من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة

والعنا ان من دخلها فقد سلم من جميع الافات كالموت والمرض والمصايب والحزن والغم والتعب
والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملايكة عليهم وقيل
ان من كال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل
على ان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم
ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه ﴿ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾
يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراط المستقيم وهو دين الاسلام عمّ بالدعوة اولا اظهارا
للحجة وخص بالهداية ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ
عن جابر قال جاءت ملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم العين
نايمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا
وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين
الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود
اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل
عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب
على الابواب ستور وداع يدعو على راس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كتفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود
الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب قوله عز وجل ﴿للذين احسنوا الحسنى﴾ قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل
معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى
قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة
والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى ﴿وزيادة﴾ اختلف
اهل التفسير في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة
هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى
الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل
على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون
الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب
اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾
اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿للذين احسنوا
الحسنى وزيادة﴾ قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى
وبه عن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم الله
ما وعدكم فينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله ﴿للذين احسنوا
الحسنى وزيادة﴾ النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شي لم تعطوه قال فيتجلى لهم جل وعز قال
فيصغر عندهم كل شي اعطوه ثم قال ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال الحسنى الجنة والزيادة
النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه
الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظ مفرد دخل عليها حرف التعريف
فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله ﴿والله يدعوا الى دار السلام﴾ فثبت بهذا ان المراد من
الزيادة امر مغاير لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على
روية الله تعالى وتبارك ومما يوكد ذلك قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾ فاثبت لاهل الجنة امرين
احدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى وايات القران يفسر
بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على روية الله تعالى وقالت المعتزلة لا يجوز
حمل هذه الزيادة على الروية لان الدلايل العقلية دلت على ان روية الله تعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب
ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب
التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الروية فانتفى ما قلتم اجاب اصحابنا
عن هذه الاعتراضات بان الدلايل العقلية قد دلت على امكان وقوع روية الله في الاخرة واذا لم يوجد
في العقل ما يمنع من روية الله وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الروية وجب المصير اليها واجراوها
على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب ان تكون من جنس
المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين كانت الزيادة
من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة لها فالمذكور في الاية لفظ
الحسنى هي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها يكون شيا مغايرا
لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الروية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على
غير الروية فهو معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الروية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم
القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من
لولوة واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة
التضعيف الى تمام العشرة الى سبعماية قال ابن عباس هو مثل قوله تعالى ﴿ولدينا مزيد﴾ يقول
يجزيهم باعمالهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشر امثالها
الى سبعماية ضعف القول الرابع ان الحسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله
ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم
في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله تعالى ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ يعني ولا يغشى وجوه اهل

الجنة ٥ قتر اي كآبة والكسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه ولا ذلة يعني ولا هوان
قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى ٥ اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني
ان هولآء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال المحسنين وما اعد لهم
من الكرامة شرح في هذه الآية حال من اقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين
كسبوا السيئات يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها
مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات
لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة
وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه ٥ وترهقهم
ذلة قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم
ما لهم من الله من عاصم يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم ٥ كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما يعني كانما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم ٥ اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع
واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ٥ ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسألوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين
انتم وشركاؤكم يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله فزيلنا بينهم
يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا
فان قلت قوله فزيلنا بينهم جا على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في
المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن اما
قوله وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاء لانهم جعلوا
لهم نصيبا من اموالهم او لانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء
في هذا الخطاب ٥ ما كنتم ايانا تعبدون تبرأ المعبودون من العابدين فان قلت كيف
صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله خلق لها في
ذلك اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله
في ذلك اليوم فهل يبقيهم او يفنيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شي من افعاله		يفنيهم
واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام
قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة
وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد يكون في القيامة ساعة فيها شدة
تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا
نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله ايام كنا نعبد فتقول لهم الالهة فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم
تعبدوننا فيقولون والله ايام كنا نعبد فتقول لهم الالهة فكفى بالله شهيدا الآية وما كنا عن عبادتكم ايانا

الغافلين

الغافلين لا نشعر بذلك اصلا قوله تعالى هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت لقوله كالتتمة للآية المتقدمة
والمعنى ان في ذلك المقام او ذلك الوقت او في ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على
الزمان وفي قوله تبلو قراءتان قرئ تتلو بتاءين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا تبعه اي تتبع
كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب الثاني ان يكون
من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرا صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلو بالنون والباء ومعناه تختبر وتعلم
والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا فقدم عليه وجوزي به وردوا
الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشي الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم
من الله الى الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم فان قلت قد قال الله تعالى في آية اخرى وان الكافرين
لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك
ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين ٥ وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل
وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل
قل من يرزقكم من السماء والارض اي قل يا محمد لهولاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر
والارض يعني النبات ٥ ام من يملك السمع والابصار يعني ومن اعطاكم هذه الحواس التي تسمعون
بها وتبصرون بها ٥ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان
حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان
الحي ويخرج البيضة الميتة من الطاير الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من
المومن والاول اقرب الى الحقيقة ٥ ومن يدبر الامر يعني ان مدبر امر السموات وما فيها ومدبر
الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله تعالى فسيقولون الله يعني انهم يعترفون بان
فاعل هذه الاشيا هو الله واذا كانوا يقرون بذلك ٥ فقل لهم يا محمد ٥ افلا تتقون يعني افلا
تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي من
هذه الامور ٥ فذلكم الله ربكم الحق يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشيا ويقدر عليها هو
الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام ٥ فماذا بعد الحق الا الضلال يعني اذا
ثبتت هذه البراهين الواضحة والدلائل القاطعة ٥ ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه
ضلالا وباطلا ٥ فانى تصرفون يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون
العدول عن العدل الى الضلال الباطل ٥ كذلك اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال
حقت اي وجبت كلمة ربك في الازل ٥ على الذين فسقوا انهم لا يومنون فقيل المراد بكلمة
الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يومنون وقضاء الله لا يرد ولا يدافع ٥ قل هل
من شركائكم اي قل يا محمد لهولاء المشركين ٥ هل من شركائكم اي قل يا محمد لهولاء يعني هذه الاصنام
التي تزعمون انها آلهة ٥ من يبدأ الخلق يعني من يقدر على ان ينشي الخلق على غير مثال
سبق ٥ ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار ٥ فقل انت
يا محمد الله يبدأ الخلق ثم يعيده ٥ يعني الله هو القادر على ابدا الخلق واعادته ٥ فانى تؤفكون
يعني فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف تركوا هذا

الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره ۝ قل اي قل يا محمد ۝ هل من شركائكم من يهدي الى الحق يعني هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل اي قل لهم انت ۝ الله يهدي للحق يعني ان الله هو الذي يرشد الى الحق لا غيره ۝ افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يعني ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان تهدى فكيف قال الا ان تهدى قلت ذكر العلماء عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا ان تحمل وتنقل فبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله تعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى فما لكم كيف تحكمون قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اي شيء لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية ۝ وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما يتبع اكثر هولاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة قيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء ۝ ان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني ان الشك لا يغني من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظنا منهم لم يرد به كتاب ولا رسول ۝ ان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا ۝ ان الله عليم بما يفعلون يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحي انزله الله عليه وانه مبرا عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله ۝ ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله انزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل وتقرير

هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه يعني من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما اخبر ۝ وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام ۝ لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القرآن لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى ۝ ام يقولون افتراه يعني ام يقول هولاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه ۝ قل اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون ۝ فاتوا بسورة مثله يعني بسورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظام فانكم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال تعالى في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال هنا فاتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان امي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة واما قوله فاتوا بسورة مثله اي فاتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من دون الله يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القرآن اي كذبوا به لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والبعث والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك انكروه لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها ۝ ولما ياتهم تاويله يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يوول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله به في القرآن من العقوبة والعذاب والمعنى انهم لم يعلموا ما يوول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا فكذبوا به وذلك انهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تاويله ۝ كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هولاء بالقرآن كذلك كذبت الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به ۝ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يومن به يعني ومن قومك يا محمد من سيومن بالقرآن ومنهم من لا يومن ۝

لعلم الله ان بقي فيه انه لا يومن ۞ وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يومنون ۞ وان كذبوك يعني وان يكذبك
قومك يا محمد ۞ فقل اي فقل لهم ۞ لي عملي يعني الطاعة وجزا ثوابها ۞ ولكم عملكم يعني الشرك وجزا عقابه
انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية
منسوخة باية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم
المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما
رفعت شيا من المشركين ۞ من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم ومنهم
لك ۞ افانت تسمع الصم يعني كما انك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سمع قلبه ۞ ولو
كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم كذلك فهم بمنزلة الجهال
اذا لم ينتفعوا بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ۞ ومنهم
من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة ۞ افانت تهدي العمي تريد عمي القلوب ۞ ولو كانوا لا يبصرون
لان الله اعمى بصاير قلوبهم فلا يبصرون بها شيا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته
البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يومن ۞ ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس
انفسهم يظلمون قال العلما لما حكم الله عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضايه وقدره
السابق فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه
كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون
لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله وقدره فيهم قوله تعالى ويوم
يحشرهم يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هولا المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم
عن مكانهم ۞ كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار
وقيل معناه كانهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن
والكافر سوا في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على امر يختص بحال
الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله
وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على
ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا
اهوال يوم القيمة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم
في الاخرة قليل جدا ۞ يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا اخرجوا من قبورهم كما
كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة وفي بعض الاثار ان
الانسان يوم القيمة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة
مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في
ذلك اليوم ۞ قد خسر الذين كذبوا بلقا الله يعني ان من باع اخرته الباقية بدنياه الفانية
قد خسر لانه اثر الفاني على الباقي ۞ وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذه
الخسارة ۞ واما نرينك يعني يا محمد ۞ بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في
الدنيا

الدنيا قبل ذلك ۞ او نتوفينك قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة وهو قوله فالينا
مرجعهم يعني في الاخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين
وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من
العذاب في الاخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ۞ ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم
يعني انه تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيمة قوله عز وجل
ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبيا مع اممهم
كذلك فقال تعالى ولكل يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوث اليهم يدعوهم الى الله والى
طاعته والايمان به فاذا جا رسولهم قضي بينهم بالقسط في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم
رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه اخرون قضي بينهم بالقسط يعني
حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضا والحكم بينهم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى
ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسولهم وخالفوا
امر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا
لا ظلما لان قبل مجي الرسل لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضا في الاخرة
وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيمة للحساب والقضا بينهم والفصل بين المومن والكافر والطايع
والعاصي جي بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله وهم لا يظلمون
يعني من جزا اعمالهم شيا ولكن يجازى كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير
ذنب ولا يواخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ۞ ويقولون يعني
هولا الكفار ۞ متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة
وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ۞ ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا
بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد
او ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ۞ قل اي قل لهم يا محمد ۞ لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني لا املك
لنفسي دفع ضر او جلب نفع ولا اقدر على ذلك ۞ الا ما شا الله يعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى
ان انزال العذاب على الاعدا واظهار النصر للاوليا وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فيعين
الوقت الى الله تعالى بحسب مشيته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه
الاشيا فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين ۞
اذا جا اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم ۞ فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا
يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمون ۞ قل اي قل يا محمد لهولا المشركين من قومك
ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان
في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل ۞ او نهارا يعني في النهار
ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل من نزول العذاب كما اخبر عنهم بقوله اللهم
ان كان هذا الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم الله هوم
بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول

الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ما ذا جنيت على نفسك أثم إذا ما وقع يعني إذا ما نزل العذاب ووقع
آمنتم به يعني آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند
نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع آلآن فيه إضمار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون
حين وقع العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا
أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا
من الأعمال قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو يعني ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام
الساعة قل إي وربي أي قل لهم يا محمد نعم وربي إنه لحق يعني أن الذي أعدكم به حق لا شك فيه وما أنتم
بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لأن من عجز عن شيء فقد فاته ولو أن لكل نفس ظلمت يعني أشركت ما في
الأرض يعني من شيء لافتدت به يعني يوم القيامة والافتداء هنا بمعنى البدل بما ينجو به من العذاب إلا أنه لا
ينفعه الفداء ولا يقبل منه وأسروا الندامة يعني يوم القيامة وإنما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الأمور
المستقبلة لأن أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والإسرار يكون
بمعنى الإخفاء وبمعنى الإظهار فهو من الأضداد فلهذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة
معناه وأظهروا الندامة لأن ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعني أخفى الرؤساء
الندامة من الضعفاء والأتباع خوفا من ملامتهم إياهم وتعييرهم لهم لما رأوا العذاب يعني حين عاينوا
العذاب وأبصروه وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين المؤمنين والكافرين
وقيل بين الرؤساء والأتباع وقيل بين الكفار لاحتمال أن بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من
الظالم وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم ويشدد
في عذاب الظالم ألا إن لله ما في السموات والأرض يعني أن كل شيء في السموات والأرض لله ملكا له لا
يشركه فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله يوم القيامة لأن الأشياء كلها لله وهو أيضا ملك
لله فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه ألا إن وعد الله حق يعني ما وعد الله به على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني
حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني أن الذي يملك ما في السموات والأرض قادر على الإحياء والإماتة
لا يتعذر عليه شيء مما أراد وإليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء قوله عز وجل يا أيها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبري
قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير
فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الإنابة عما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن
داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفاء لما في الصدور يعني أن القرآن دواء وشفاء لما في القلوب
من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الأخلاق الذميمة
والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الأمراض كلها لأن فيه المواعظ والزواجر
والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية وإنما
خص الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الإنسان لمكان القلب فيه
وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة للمؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا

بالقرآن

بالقرآن دون غيرهم قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلق بمضمر استغنى عن ذكره
لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الإفضال ويكون معنى الآية
على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بإفضال
الله عليكم ورحمته بكم وإرادته الخير لكم ثم قال تعالى فبذلك فليفرحوا أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد
بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل فبذلك إشارة إلى معنى الفضل
والرحمة والمعنى فبذلك التطول والإنعام فليفرحوا قال الواحدي الفاء في قوله فليفرحوا زائدة
كقول إن عمرا إذا هلكت فعند ذلك فاجزعي الفاء في قوله فاجزعي زائدة وقال صاحب الكشاف
في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء
داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما والفرح
لذة في القلب بإدراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر
ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى
الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فإن ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء ما في الصدور
وثلج اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه هو خير مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها
الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وأما مذهب المفسرين فغير هذا فإن ابن عباس
والحسن وقتادة قالوا فضل الله الإسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل
الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الإسلام يزينه في قلوبنا وقيل
فضل الله الإسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء
في بفضل الله تتعلق بمحذوف تفسيره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته قل أرأيتم
قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع عبر عنه بالإنزال
لأن جميع ما في الأرض من خير ورزق فإنما هو من بركات السماء فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما
وحلالا يعني ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة
والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا قل آلله أذن لكم
يعني قل لهم يا محمد آلله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل أم على الله تفترون يعني بل أنتم على
الله تكذبون في ادعائكم أن الله أمركم بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني أي شيء
ظنهم يوم القيامة أيحسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد
العظيم لمن يفتري على الله الكذب إن الله لذو فضل على الناس يعني ببعثه الرسل وإنزال الكتب
لبيان الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والإحسان
قوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشأن
الخطب والحال والأمر الذي يتفق ويصلح ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور وجمع الشؤون
تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله والشأن اسم إذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا
شأنت شأنه أي إذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم فإن كان

قال معناه وما تكون يا محمد في شان تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا
وحوائجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشي وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير
في قوله منه الى ما ذا يعود فقيل يعود الى الشان لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه
وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا
يكون المعنى وما تتلوا من القران يعني من سورة وشي منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وبعضه وقيل الضمير
في منه راجع الى الله والمعنى وما تتلوا من الله من قران نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل فخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم
كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون
في الخطاب الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد
على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من
احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى
شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب
اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل
الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا
وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد
عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلا عازب اذا كان بعيد المطلب من مثقال ذرة
يعني وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي خفيفة الوزن جدا
في الارض ولا في السماء فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض
في سورة سبا فما فائدة ذلك قلت كان حق السماء ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا انه
تعالى لما ذكر في هذه الاية شهادته على الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب
عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفائدة ولا اصغر يعني من الذرة
ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية
ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين
هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروي الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله من اولياء الله فقال هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل
الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرا بهذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه

من ذكره

ابو داود

ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة اين المتحابون
بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم
من الله يوم القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا
رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد
الله ومن بلدان شتى وقبايل شتى لم تكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها
يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس
ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان اوليائي
من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري
بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبيا
والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم
نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد
والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هو ان يتمنى الغابط مثل
تلك النعمة التي هي للمغبوط من غير زوالها عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا
القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصر فولي الله هو
الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة
جلال الله فان راى راى دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثناء على الله
وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه
غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى
الله ولي الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل
ويكون اتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا
وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي
العبد كل ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون
يعني على شي فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما
يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلوا من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان
الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف
من شي ولا يحزن على شي لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن واما قوله
الذين امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله وقوله تعالى لهم البشرى
في الحياة الدنيا وفي الاخرة اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له
اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدردا عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال
ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت
هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن جز من ستة واربعين جزا من
النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا
ورويا المسلم جز من خمسة واربعين جزا من النبوة والرويا ثلاث فالرويا الصالحة بشرى من الله ورويا
تحزين من الشيطان ورويا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول وهو انا اذا
حملت قوله لهم البشرى على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا تحصل هذه
الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان
كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد
الا الحق والصدق فاذا راى الولي رويا او رئيت له كانت تلك الرويا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي
قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرويا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزا من اجزا النبوة
في حق الانبيا دون غيرهم وكان الانبيا عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في
اليقظة قال الخطابي قال بعض العلما معنى الحديث ان الرويا تاتي على موافقة النبوة صلى الله عليه وسلم
لا انها جز باقي من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان
قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي فهي جز من ستة واربعين جزا وقيل ان المنام لعل ان
يكون فيه اخبار بغيب وهو احد ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله
بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد
في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزا من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك للعبد في المنام يكون
صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثنا الحسن وفي الاخرة الجنة
ويدل على ذلك ما روي عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل العمل من الخير
ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي قال
العلما معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة الى الاخرة بقوله بشراكم اليوم
جنات وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع
له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال
بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور
الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه اثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل
بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة
من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون وقال عطا عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تاتيهم الملائكة بالبشارة وفي

الآخ

الاخرة عند خروج نفس المومن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله
المومنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل لكلمات الله يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد
اولياه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ذلك هو الفوز العظيم يعني
ما وعدهم به في الاخرة ولا يحزنك قولهم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد
قول هولا المشركين لك ولا يهمك تخويفهم اياك ان العزة لله جميعا يعني ان الغلبة والقدرة والقوة
لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب
ان العزة لله جميعا فيعز من شا وهذا كما قال تعالى في اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ولا منافاة بين الايتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المومنين باعزاز الله اياهم
فثبت بذلك ان العزة كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشا ويذل من يشا وقيل ان المشركين
كانوا يتعززون بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر
على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العزة هو السميع يعني لاقوالكم ودعايكم العليم يعني بجميع
احوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني الا ان كلهم تحت
معناه انه لا ملك لاحد في السموات والارض الا الله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض
فان قلت قال تعالى في الاية التي قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظ ما وقال في هذه الاية بلفظة
من فما فايدة قلت ان لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الايتين
يدل على ان الله عز وجل يملك جميع شي في السموات وفي الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده وفي
ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلا ومن في
الارض الانس والجن وهم العقلا ايضا وسمي وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هولا العقلا
المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان يكونوا ملكه اذا ثبت هذا فتكون
الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت قدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام
شركا لله معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا والمقصود تقبيح
فعلهم يعني انهم ليسوا على شي لانهم يعبدون لها على انها شركا لله تشفعون لهم وليس الامر على ما
يظنون وهو قوله تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان فعلهم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم
وانها تقربهم الى الله وذلك ظنا منهم لا حقيقة له وان هم الا يخرصون يعني انهم يكذبون في
دعواهم ذلك قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم
الذي خلق الليل راحة لتسكنوا فيه ولتزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون
الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيا لتهتدوا فيه لحوايجكم واسباب
معاشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في
كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى
ونمت وما ليل المطي بنايم فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه
لم يكن نايما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب
تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضيا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون

يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المتفرد بالوحدانية
في الوجود ۝ قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا يعني به قولهم الملائكة بنات الله ۝ سبحانه نزه نفسه عن اتخاذ الولد
هو الغني يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج
اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غني عنها ۝ له ما في السموات وما في
الارض يعني انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه
ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى ان
عندكم من سلطان بهذا يعني ان لا حجة عندكم على هذا القول الذي تقولونه ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله اتقولون على الله
ما لا تعلمون يعني اتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه
جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ۝ قل ان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد لهؤلاء
الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون
وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه
بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه
اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى
طول مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم يعني بعد الموت ۝ ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعم الله عليهم ويصفونه بما لا يليق
بجلاله قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال كفار قريش
وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون في
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من اذى قومه
وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك
في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم
كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال
تعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرأ على قومك يا محمد خبر نوح ۝ اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو قابيل
ان كان كبر عليكم مقامي يعني فيكم وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان يعني ثقل
كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم
الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيناته
فعزمتم على قتلي وطردي ۝ فعلى الله توكلت يعني فهو حسبي وثقتي ۝ فاجمعوا امركم يعني فاحكموا امركم واعزموا
عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم المراد
ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه ۝ وشركاءكم يعني وادعوا شركاءكم يعني الهتكم
فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم
واعتقادهم ان الاصنام تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم ۝ ثم
لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال
فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس ۝ ثم اقضوا الي يعني امضوا الي بما في انفسكم من مكروه وما توعدوني

به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون
ولا تنظرون اي ولا تؤخرون ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام
على طريق التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره
اياه غير خائف من كيدهم علما منه بانهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه ۝ فان
توليتم يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي ۝ فما سألتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة
فاذا لم آخذ على تبليغ الدعوة الى الله منكم شيئا كان اقوى تأثيرا في النفس ۝ ان اجري الا على الله اي ما
جزائي وثوابي على تبليغ الرسالة الا على الله ۝ وامرت ان اكون من المسلمين يعني امرت بدين الاسلام
وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه او لم تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين
لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة ۝ فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام ۝ فنجيناه
ومن معه في الفلك يعني السفينة ۝ وجعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين انجيناهم معه في الفلك
سكان الارض بعد الهالكين ۝ واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي فانظر
يا محمد او يا ايها الانسان كيف كان آخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ۝ ثم بعثنا
من بعده يعني من بعد نوح ۝ رسلا الى قومهم لم يسمهم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان
بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل ۝ فجاءوهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات التي تدل على صدقهم ۝ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يعني ان اولئك الاقوام
والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءت به الرسل
ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب ۝ كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني كما
اغرقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب
قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل ۝ موسى وهرون الى فرعون وملائه
يعني اشراف قومه ۝ بآياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهرون ۝ وكانوا قوما مجرمين
يعني مستكبرين آثمين ۝ فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به
موسى من عند الله ۝ قالوا ان هذا لسحر مبين يعني ان هذا الذي جاء به موسى سحر بين يعرفه
كل احد ۝ قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو
سحر اسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل
الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ولا يفلح الساحرون يعني ان حاصل السحر تمويه وتخييل
وصاحب ذلك لا يفلح ابدا ۝ قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى ۝ اجئتنا لتلفتنا يعني لتصرفنا
وتلوينا ۝ عما وجدنا عليه آباءنا يعني من الدين ۝ وتكون لكما الكبرياء يعني الملك والسلطان ۝ في الارض
يعني في ارض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من
امر الدنيا ۝ وما نحن لكما بمؤمنين يعني بمصدقين ۝ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم يعني
ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به
موسى سحر ۝ فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقاء ما معهم
من الحبال والعصي التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويبين ان ما اتوا به فاسد

فلما القوا يعني ما هم ملقيه من معهم من الحبال والعصي قال موسى ما جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر
الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا
يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق بكلماته يعني ويظهر الله الحق ويقويه
ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب
السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى
عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الا ذرية من
قومه وانما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم لسبب
اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم السلام لان
الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما آمن له الا ذرية والذرية اسم يقع على
القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به الضعفاء وقلة العدد واختلفوا في هذه الكناية
في قومه فقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من اولاد يعقوب قال
مجاهد هم اولاد يعقوب الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الآباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل
فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية
خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى السحرة امنوا به وقال ابن عباس
ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل الهاء راجعة الى فرعون يعني الذرية من قوم فرعون روى عطية
عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون ومؤمن ال فرعون وخازنه
وامراة خازنه وماشطته وقال الفراء سموا ذرية لان اباءهم كانوا من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل
فكان الرجل يتبع امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم
من غير جنس الاباء على خوف من فرعون وملائهم الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون
ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل اراد بالملأ ملأ
قوم فرعون وانما قال وملائهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ان يفتنهم اي يصرفهم ويصدهم
عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره وان فرعون
لعال في الارض يعني انه لغالب قهار متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى
الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم
بالله فعليه توكلوا يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين
يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم
موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من
كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين
له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بايديهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا
وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا
انهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين

يعني وخلصنا برحمتك من ايدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله
عز وجل واوحينا الى موسى واخيه هرون ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا
للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة اي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما
بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير في معنى
هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة
بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها
لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القران
لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى وهو قول مجاهد
ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن
الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت
المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي متقابلة
يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه تعالى خص
موسى وهرون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى وهرون ان تبوءا لقومكما ثم انه
عم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه تعالى امر موسى وهرون
بان يتبوءا لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب بذلك ثم لما كانت
العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة
يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن امن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا
في الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم الله ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه
وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى
امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم
ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون
امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل الله لهم بصونها عن شرهم وهو
قوله وبشر المؤمنين يعني بانه لا يصل اليهم مكروه قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة لما اتى موسى بالمعجزات الباهرات وراى ان القوم مصرون
على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر
اولا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب
كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال
ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس
والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء
من الصامت والناطق ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام
كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا
في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون

وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والأواني الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا فعلى هذا اللام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الأنباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم الطمس إزالة أثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهيآتها وقال مجاهد أهلكها وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز صارت حجارة وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وقيل إن عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والأطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيها موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الإيمان قال بعض العلماء إنما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم قال الله عز وجل لموسى وهرون قد أجيبت دعوتكما إنما نسب الدعاء إليهما وإن الداعي هو موسى وحده لأن هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لأنه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فإن وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الإجابة أربعين سنة قال الإمام فخر الدين واعلم أن هذا النهي لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني إسرائيل البحر أي وقطعنا ببني إسرائيل البحر وعبرناهم إياه حتى جاوزوه وعبروه فأتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وأدركهم بغيا وعدوا أي ظلما وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمره بالخروج ببني إسرائيل من مصر في الوقت الذي أمر أن يخرج فيه ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم

مملكته

مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص والمخرج والبحر أمامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف عن وجه الأرض ثم أيبسه لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل وهو على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني إسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا تكاملوا أجمعين في البحر وهم أولهم بالخروج انطبق البحر عليهم فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الإخلاص ظنا منه أنها تنجيه من الهلاك وهو قوله حتى إذا أدركه الغرق قال يعني فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء إن الإيمان والتوبة عند معاينة العذاب والملائكة غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقيل إنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الإقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل إن فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني آلآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل إن القائل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الأرض ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول الأول أشهر ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الأول علي بن زيد بن جدعان وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه أو خالف فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لأن في الطريق الآخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الإسناد على شرط البخاري ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فإنما يخشى منه ما انفرد به أو خولف وكلاهما منتف فقد علم بهذا أن لهذا الحديث أصلا وأن رواته ثقات ليس فيهم متهم وإن كان فيهم

من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السايب
او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث فصل ووجه
اشكاله ما اعترض عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل جبريل اخذ يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا
عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لانه في تلك الحال التكليف هل كان باقيا اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان
يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينيذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقايه على
الكفر والرضى بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل
فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي
اورده الامام على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان
الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان
باقيا في تلك الحال اولا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل
المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول اهل السنة
المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افيدتهم وابصارهم
كما لم يومنوا به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان اولا فدس
الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصرف الكافر عنه وذلك جزاء على كفره
السابق وهذا قول طايفة من المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال
من اعترف ايضا بان الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله
ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل مع فرعون فانها من هذا الباب
فانه غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده
للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام
لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل
كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله به والله تعالى هو الذي منع
فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه
اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر انه لا يومن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان
وقد يقال ان جبريل اما ان يتصرف بامر الله وعلى التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة
ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر
انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين كتكليفنا وقوله
وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينيذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة
فجوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال الله قولان احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير
فلا يرد هذا السوال اصلا وانما يرد الاشكال على القول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح

لاجلها فعلها وكذا الاوامر والنواهي لها غايات محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير
فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وقد علم جبريل انه ممن حق عليه كلمة العذاب
وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فانه وان كان قد
قالها في وقت لا تنفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه وسد
الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى
لما دعا ربه بان فرعون لا يومن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاه
فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه ليياس من الحياة ولا
تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التي دعا بها موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون
سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضاة الله تعالى منفذا لما
امر به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقايه على الكفر والرضى
بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله يفعل ما يشاء يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما تصرف
بامر الله ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضي بالامر لا بالمامور
به فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بان نحب
الايمان فاذا قرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس
مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا نفذ ما امره لم يكن رضي بالكفر ولا يكون
كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به
والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان
يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال
الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل
وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا
لامر الله والله اعلم قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع
قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه
فقالت بنو اسرايل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب
لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنو اسرايل
فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعني نلقيك وانت جسد لا
روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب
مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة
وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة
من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض
لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق يعني اسكناهم
مكان صدق وانزلناهم منزلا محمودا وقيل مبوا صدق منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون

والمعنى انزلناهم منزلاً محموداً صالحاً وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئاً اضافته الى الصدق
تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملاً صالحاً لابد ان يصدق الظن فيه وفي
المراد بالمكان الذي بوّيوا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون
وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير
والبركة ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما
اختلف هولاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
اختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغياً وحسداً فعلى هذا المعنى يكون
المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقاً فوضع العلم مكان المعلوم
وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علماً لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب
مجاز مشهور وفي كون القرآن سبباً لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً وايثاراً علمه
لبقاء الرياسة لهم فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد
قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فامن به طايفة وكفر به اخرون وقوله تعالى ان ربك
يعني يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من
آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار قوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع
اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب
من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر معناه انه
توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت يا محمد في شك مما انزلنا
اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلنا يعني القرآن فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يعني علماء اهل
الكتاب يخبرونك انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا
سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسال اهل
الكتاب عن ذلك واذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره اولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا
السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك
النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ولم يساله كي
عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في
معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر
والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان
المراد به غيره ومن امثال العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها
الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فسئل الذين يقرؤون الكتاب

يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية فبين ان المذكورين على سبيل الرمز في هذه الاية هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح وايضاً
لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة
بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا
التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته
علي من الدلايل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو
شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى
كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلاً في هذا الخطاب كان الاعتراض موجوداً او السوال وارداً
وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسال فلا
تسال ولئن سالت لازددت يقيناً والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم
البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون وفرقة على
الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال
تعالى فان كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فسال اهل الكتاب
ليدلوك على صحة نبوته وانما وحّد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان
كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية انساناً بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في
المسئول عنه في قوله فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير
هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم الموثوق باخبارهم وقيل المراد به كل
اهل الكتاب سواء مومنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مكتوب عندهم بصفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك
يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام
مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقاً
وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله يعني بدلايله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا
انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتاب ولم يكذب بايات الله فثبت
بذلك ان المراد غيره والله اعلم قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هؤلاء
للنار ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل لا يومنون
ولو جاءتهم كل اية فانهم لا يومنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم
عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قوله عز وجل فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما
كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمعنى هل كانت قرية امنت يعني عند معاينة
العذاب فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس
فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما امنوا يعني لما اخلصوا الايمان كشفنا عنهم

يعني وجبت عليهم

عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضاء اجالهم واختلفوا هل راوا العذاب عيانا
ام لا فقال بعضهم راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا
عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما
ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض
الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة
الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب
عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان
جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قال ابن عباس
ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم
وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشي الثوب القبر وقال
وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت
سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا
الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين
كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الامهات والامهات الاولاد اليه
الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس فتاب الله عليهم واخلصوا
النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء
وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي
الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال
لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال
قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا
الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل
بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل
له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
مغاضبا اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة الصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف
كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين امن ولم
تقبل توبته قلت اجاب العلماء عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما امن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت الياس
من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجوا
العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف
فرعون انه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه والله اعلم قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لامن بك وصدقك من في الارض
كلهم جميعا ولكن لا يشاء ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في
الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان
حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المؤمن
واضلال الكافر بمشيئة الله وقضائه وقدره ليس ذلك لاحد سواه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
يعني وما ينبغي لنفس خلقها الله ان تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان في ذلك وهدايته لها الله هو الهادي
المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطاء بمشيئته ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون على سبيل
التعظيم اي ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله الرجس يعني العذاب وقال ابن عباس يعني
السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه قوله عز وجل قل انظروا اي قل
يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسالونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا
في السموات والارض يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففي
السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم وتسخيرها طالعة وغاربة وانزال المطر من
السماء وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات دالات على وحدانية
الله وانه خالقها كما قال وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وما تغني الايات والنذر يعني
الرسل عن قوم لا يؤمنون وهذا في حق اقوام علم الله انهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الازل من الشقاء
فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى قبلهم من الامم
الخالية المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب
قوله ايام والنعم اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فانتظروا
العذاب اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا
وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
يعني من الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين يعني كما انجينا رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك
ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعضهم التخليص المراد بقوله
حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه
حق واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحسب الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي قل يا محمد لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني
الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى من الايات التي كانت
تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي
ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابرهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه
ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصررتم
على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم
هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع

لمن عبدها ولا تضر من تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحيا
وهو قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لان الذي
يستحق العبادة فاعبدوه انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت
ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشيا على النفس ذكر في هذا
المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب فاجابهم بقوله ولكن
اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصرني عليكم ۝ وامرت ان اكون من المؤمنين يعني وامرني ان اكون
من المصدقين بما جاء من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من
اعمال القلوب ۝ وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في وان واو عطف معناه وامرت ان اقم وجهك
يعني اثبت وتمسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه
اقم عملك على الدين الحنيف يعني مايل عنه ۝ ولا تكونن من المشركين يعني ولا تكونن ممن يشرك في
عبادة ربه غيره فتهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل
هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة
لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك يعني ان عبدته ودعوته ۝ ولا يضرك يعني ان تركت عبادته ۝ فان فعلت
يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري ۝ فانك اذا من الظالمين
يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك
الله بضر يعني وان يصبك الله بشدة وبلاء ۝ فلا كاشف له يعني لذلك الضر الذي انزله بك الا هو ۝ وان يردك
بخير يعني بسعة ورخاء ۝ فلا راد لفضله يعني فلا دافع لرزقه ۝ يصيب به يعني بكل واحد من الضر والخير
من يشاء من عباده ۝ وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه هو
القادر على ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر
على كل شي وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى
وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له
الا هو وذلك انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثنا من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا
راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على رده لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
وعضده بقوله وهو الغفور يعني لذنوب عباده ۝ الرحيم يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق من ربكم قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل الحق هو
محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق
من الله عز وجل ۝ فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه ۝ ومن ضل فانما يضل عليها لان وبال
نفسه لان وبال ذلك راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتدا في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا
وما انا عليكم بوكيل يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف
واتبع ما يوحى اليك يعني الامر الذي يوحيه اليك يا محمد ۝ واصبر يعني على اذى من خالفك من كفار قومك ۝ حتى يحكم الله

يعني

يعني بنصرك عليهم واظهار دينك ۝ وهو خير الحاكمين يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل
المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم اخر تفسير سورة يونس والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس
انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الا
قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اوليك يؤمنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيات
وهي مايه وثلاث وعشرون اية والف وستماية كلمة وتسعة الاف وخمسماية وسبعة وستون حرفا
عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسالون
واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب
قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتسالون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلما
سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب
والجنة والنار والله اعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب
احكمت اياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت الكتب والشرايع ۝ ثم فصلت يعني بينت قال
الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت
بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته
ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته
نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبنا المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت ابانته سورا
سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيامة وكل ذلك
لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلايل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن الغيبات وقال مجاهد
فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة
احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص
بعضها في قوله منه ايات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك
فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البنا وان هذا
الكتاب جميعه نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات
محكمات ان بعض اياته منسوخة نسختها ايات منه وبعضها لم ينسخها شي غيرها وقيل احكمت
اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض واجرى الكل على البعض لان
الحكم للغالب واجرا الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه
وقوله تعالى من لدن حكيم يعني كتاب احكمت اياته الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله ۝ خبير
يعني باحوال العباد وما يصلحهم ۝ ان لا تعبدوا الا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب
احكمت اياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما
كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى الى عبادته والدخول في دين الاسلام ۝ انني لكم منه نذير اي قل لهم يا محمد انني لكم من الله
نذير ينذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه ۝ وبشير يعني وابشر بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص

العمل لله وحده ٥ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة
لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك او معصية الى خلاف ذلك
فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفرا
ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد ٥ يمتعكم متاعا حسنا يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم
به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون فيه في امن
وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور ٥ الى اجل مسمى يعني يمتعكم متاعا
حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء اجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقد
يضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا
حسنا الى اجل مسمى قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله
له في الآخرة من العذاب الاليم الدايم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له في الآخرة واما ما يضيق
على الرجل المومن في بعض الاوقات فانما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون
المومن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى ويوت كل ذي فضل
فضله اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الآخرة قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا
زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سياته
دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسياته كان من اهل الاعراف
ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيية كتبت عليه سيية ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات
فان عوقب بالسيية التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب احاده اعشاره وقيل معنى
الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته ٥ وان تولوا يعني وان اعرضوا عما جيتهم به من الهدى
فاني اخاف عليكم اي فقل لهم اني اخاف عليكم ٥ عذاب يوم كبير يعني عذاب النار في الآخرة ٥ الى الله مرجعكم يعني
في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسي على اساته ٥ وهو على كل شي قدير يعني من ايصال الرزق
اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم قال ابن عباس نزلت في
الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي
بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة من ثنيت
الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم
من قولهم ثنيت عناني ٥ ليستخفوا منه يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان
استطاعوا ٥ الا حين يستغشون ثيابهم يعني يغطون روسهم بثيابهم ٥ يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور ومعنى الآية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده
عن ابن عباس بن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم تثنوني صدورهم قال فسالته عنها فقال

محمد

التحرير بالعمر والعمر فانه حيث في الدنيا حين يفضي الى ذكر العبد
باعتبار كون الدنيا جنة الكافر [illegible] الى ما اعد له في الآخرة

كان

يتخلو

كان اناس يستحيون ان يفضوا الى السماء وان يجامعوا النساء فيفضوا الى السما فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى
وما من دابة في الارض الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان
على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوان ٥ الا على الله رزقها يعني هو
المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيته ان شا رزق وان لم يشا لم يرزق
وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت
جوعا ٥ ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه في ليل او
نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات
والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة والمستودع القبر ٥ كل في كتاب مبين اي كل ذلك
مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الماء يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضرا ثم نظر اليها
بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الما على متنها ثم وضع العرش على الما وقال
ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق
وما هو كاين من خلقه الى يوم القيمة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان
يخلق شيا من خلقه وقال سعيد بن جبير سيل ابن عباس عن قوله تعالى وكان عرشه على الما
على اي شي كان الما قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفا الما ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات
في يومين ثم اخذ طينة من الما فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين و
السموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ من اخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلما
وفي خلق جميع الاشيا وجعلها على الما ما يدل على كمال القدرة لان البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس
على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الما فهذا
يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت
ناقتي بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين
فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا
قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جينا لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله
ولم يكن معه شي قبله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم
اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها
وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان
يخلق خلقه قال كان في عما ما تحته هوا وما فوقه هوا وخلق عرشه على الما اخرجه الترمذي
م قال قال احمد قال يزيد بن هارون العما اي ليس معه شي قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسما والصفات له
قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شي قبله يعني لا الما ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله
وكان عرشه على الما يعني وخلق الما وخلق العرش على الما ثم كتب في الذكر كل شي وقوله في عما وجدته في
كتابي عماء مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عما اي فوق

سحاب مسخر له وغوايا عليه كما قال ءامنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال ولأصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها
وقوله ما فوقه هواء اي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك من
العماء مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لانه مما عمي على الخلق لكونه غير شيء فكأنه قال في جوابه
كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اي ليس فوق العمى الذي هو لا شيء موجود
لا فوقه هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه والله اعلم وقال الهروي صاحب
الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على
ذلك قوله وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل
الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على
هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في العمى مقصورا هو كل امر لا يدركه الفطن وقال
الازهري قال ابو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك
العماء قال الازهري فنحن نؤمن به ولا نكيف بصفة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه
على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه
على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا ففرغ منه لان الله تعالى
لا يشغله شأن عن شأن فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى ليبلوكم يعني ليختبركم
وهو اعلم بكم منكم أيكم احسن عملا يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله ولئن قلت يعني ولئن قلت
يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك انكم مبعوثون من بعد الموت يعني للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين يعنون القرآن ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة يعني الى اجل محدود
واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال الى انقراض امة ومجيء امة اخرى ليقولن ما يحبسه
يعني اي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل
الا يوم يأتيهم يعني العذاب ليس مصروفا عنهم اي لا يصرفه عنهم شيء وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
يعني ونزل بهم وبال استهزائهم قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة يعني رخاء وسعة في الرزق
والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته
وذهبت به انه ليؤوس كفور يعني قنط من رحمة الله آيس من كل خير كنود اي جحود لنعمتنا عليه
او قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها
فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله تعالى ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته يعني ولئن بسطنا النعم على الانسان وبسطنا عليه من العيش ليقولن يعني
الذي اصابه الخير والسعة ذهب السيئات عني يعني ذهبت الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك
غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى
فقال انه لفرح فخور اي انه اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول
على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الآية قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات

فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها اولئك يعني من هذه صفته
لهم مغفرة يعني لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة قوله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى
اليك ربك ان تبلغه الى من امرك ان تبلغه ذلك اليه وضائق به صدرك يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك
فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما
كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه خيانة في الوحي والانذار ولا يترك
بعض ما اوحي اليه لقول احد لان تجويز ذلك يؤدي الى الشك في اداء الشرايع والتكاليف لان
المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة
والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اجوبة احدها قال ابن الانباري
قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه
ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك الآية الثاني ان هذا ادب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه
والله تعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخشاه ويخافه الثالث ان الكفار كانوا يستهزءون بالقرآن
ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي
اليهم ما لا يقبلونه ويستهزءون به فامره الله تعالى بتبليغ ما اوحى الله واي لا يلتفت الى استهزائهم
وان تحمل هذا الضرر اهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة
لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك
اعظم سهل عليه الاقدام على هذا الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك
تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم
ان يقولوا يعني مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز يعني يستغني به وينفقه او جاء معه ملك يعني
ليشهد بصدقه وقايل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي امية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تصفه بالقدرة
على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا
انزل عليك ملكا ليشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه
نذير بقوله عز وجل انما انت نذير تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب
لمن اطاعك وآمن بك وصدقك والله على كل شيء وكيل يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم
واعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيمة قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني بل يقولون كفار مكة اختلقه
يعني ما اوحي اليه من القرآن قل اي قل لهم يا محمد فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فان قالوا افتريته

القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان وفاوضهم على مثله دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام امره بان يقول لهم وادعوا من استطعتم من دون الله حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين يعني في قولكم انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انه لما اشتملت الاية المتقدمة على امرين وخطابين احدهما امر وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل فاتوا بعشر سور والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الاية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني ان الذي انزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه فهل انتم مسلمون فيه معنى الامر اي اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اي دوموا على ما انتم عليه من الاسلام قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف اليهم اعمالهم يعني اجور اعمالهم التي عملوها في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها يعني وبطل ما كانوا يعملون لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعني بهذه الاية فروى قتادة عن انس انها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما ويعطي سائلا او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا

محمد

يوسع

يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الاية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم اهل الرياء هم اهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال الترمذي حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخوف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه شاهد منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروي محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني

علي بن ابي طالب رضي الله عنه انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد ان الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وانت ايش نزل فيك فقال علي ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل قد نزل قبل القرآن وقوله تعالى ومن قبله يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى يعني التوراة اماما ورحمة يعني انه اماما يرجعون اليه في امور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى اولئك يؤمنون به يعني ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله اولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فيدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الانبياء فالنار موعده يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك فيه قولان احدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك او من ان موعد الكفار النار قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني اي الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا وولدا وفي الآية دليل على ان الكذب على الله من انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة اولئك يعني المفترين على الله الكذب

يعرضون على ربهم يعني يوم القيامة فيسألهم عن اعمالهم في الدنيا ويقول الاشهاد يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان ابن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا تعرف ذنب كذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالآخرة هم كافرون يعني ومع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له اولئك يعني من هذه صفته لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا ارادهم بالعقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يعني وما لهؤلاء المشركين من انصار يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوءا وعذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الآخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به وقال ابن عباس اخبر الله انه حال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم لا جرم يعني حقا وقال الفراء لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب

وهو الخضوع والخشوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق
وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع
كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خايفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك يعني
الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها
ولا زوال قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله سبحانه وتعالى احوال الكفار وما
كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المومنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع
الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني فريق المومنين وفريق الكافرين كالاعمى
وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيا البتة والبصير هو الذي يبصر الاشيا على ماهيتها
والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المومنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه
ومثل الكفار كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه هل يستويان مثلا قال الفرا لم يقل يستوون
لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كانهما واحد وهما من وصف المومن
افلا تذكرون يعني فتتعظون قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين يعني ان نوحا عليه السلام
قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني النذارة اخوف بالعقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره
وهو قوله ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم يعني مولم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد
اربعين سنة ولبث يدعوا قومه تسع ماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف
سنة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين
سنة مكث يدعوا قومه تسع ماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره الف سنة
واربع ماية وخمسين سنة فقال الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والروسا من قوم نوح ما نراك يا نوح
الا بشرا مثلنا يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع انتهاوه
الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة
جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر
المعجز الدال على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من احاد وخواص اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى
عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والرذل الدون
من كل شي قيل هم الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان
الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين
وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين بادي الراي يعني اتبعوك في اول
الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني انهم اتبعوك ظاهرا
من غير ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا
جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل
الخطاب لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع
للواحد وهو على سبيل التعظيم قال يعني نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان
ويقين من ربي بالذي انذركم به واتاني رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة فعميت عليكم

اي خفيت والتبست عليكم انلزمكموها الهاء عايدة على الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة
يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام معناه الانكار
اي لا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة
والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ويا قوم لا اسالكم عليه مالا يعني لا اسالكم
ولا اطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من
نوح ان يطرد الذين امنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم
فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون
ان هولا المومنين خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم
عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني فتتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف
على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها
شي فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وما هو
منطوي عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فادعوا ان هولا المومنين انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم وهم
في الحقيقة غير متبعين لك فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندي خزاين الله التي يعلم منها ما ينطوي
عليه عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على الناس واستتارها عنهم
والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندي خزاين الله وبين قوله ولا اعلم
الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا
يعلم ما في ضمايرهم الا الله ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي
لا ادعي اني من الملايكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم فصل
استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملايكة على الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام
قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشي
اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك
افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا
مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملايكة فاعلمهم ان هذا
الظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال ولا اقول لكم اني ملك ولم يرد ان
درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم وقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقر
وتستصغر اعينكم يعني المومنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الزراية وهي الخسة لن يوتيهم الله خيرا
يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر اني اذا لمن الظالمين
يعني ان طردتهم تكذيبا لظاهرهم وابطالا لما لهم يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا
اذا من الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي خصومتنا
فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول من الله
الينا قال انما ياتيكم به الله ان شا يعني قال نوح لقومه حين استعجلوا بانزال العذاب ان ذلك

ليس الي انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى ما شاء وما انتم بمعجزين يعني وما انتم بفائتين ان اراد انزال
العذاب بكم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول
العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء
يؤدي الى الهلاك هو ربكم يعني انه تعالى هو مالككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه واليه ترجعون
يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود
الى الوحي الذي جاءهم به قل ان افتريته اي اختلقته وجئت به من عند نفسي فعلي اجرامي اي اثم
اجرامي والاجرام افتراء الشيء واكتسابه يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله
وانا بريء مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه
وهو من قصة نوح وقال مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
اختلق القران من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع
الى القصة فقال تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس
ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات
فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله وروي ان شيخا منهم جاء متوكيا على عصاه ومعه ابنه
فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابه امكني من العصا فاخذها من ابيه وضرب
بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فلا تبتئس يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم الخبيثة
دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن
عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي انهم
لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا
ياتي قرن الا كانوا اخبث من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقولون قد كان هذا
الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فشكا نوح الى الله عز وجل فقال
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعني السفينة والفلك جمع يطلق على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس
بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا وقيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا
تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا
فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول
اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطي فجعلها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله تعالى
ويصنع الفلك يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولهى
عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل
قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام
النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج

وان يصنعه ازور وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه
خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاثة اطباق سفلا
وعلوا ووسطا وان يجعل فيه كوا ففتحه نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة
في سنتين فكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلثين ذراعا وكانت من
خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره
قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الفا ذراع وماية ذراع وعرضها
ستماية ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلثماية ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح ماية سنة
يغرس الاشجار ويقطعها وماية سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل السفينة نوح
في ثلثين سنة وروي انها ثلاثة اطباق الطبقة السفلى للدواب والوحش والطبقة
الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت ارواث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب
الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما
افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله اليه ان اضرب بين عيني الاسد
فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطط فاقبلا على الفار فاكلاه فذلك قوله تعالى ويصنع
الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه اي جماعة من قومه سخروا منه يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا
ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا
يمشي على الماء فيضحكون منه قال يعني نوحا لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم ما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية
لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله فسوف تعلمون
يعني فستنظرون من ياتيه يعني اينا ياتيه نحن او انتم عذاب يخزيه يعني يهينه ويحل
عليه عذاب مقيم يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب
الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع لها قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور يعني
وغلا والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما
غير هذا فلذلك جاء في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء
هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا
مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك
انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد
جعل فور التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه
نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو
قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة

والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت
الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة
الامر والمعنى اذا رايت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور
معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له
اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء في التنور فعلمت به
امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة فقال الشعبي
اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور
علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة
وروي عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان ﻫ قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح
احمل في السفينة من كل زوجين اثنين الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال
لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله اليهم الحيوان من الدواب والسباع
والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيحملها
في السفينة واهلك اي واحمل اهلك وولدك وعيالك ﻫ الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك واراد به
امراته وابنه كنعان ﻫ ومن آمن يعني واحمل معك من آمن بك من قومك ﻫ وما آمن معه الا قليل ﻫ
اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم
يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش
كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاثة كاين له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه
سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا
وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبري والصواب من القول
في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا
ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء ﻫ وقصد نوحا
جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما
اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه وجعل نوح يقول له
ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه
فلما قالها نوح خلى سبيله الحمار فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك علي
يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد من ان
تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الامام فخر الدين الرازي
واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي
فكيف يخاف من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذكره ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض
فيه قال البغوي وروي عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك
فقال فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه ﻫ

وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين
من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله تعالى وقال اركبوا فيها يعني وقال نوح لمن
حمل معه اركبوا في السفينة بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم يعني بسم الله اجراؤها
وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان
ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسو اي تقف وهذا تعليم من الله تعالى لعباده ﻫ انه من اراد امرا فلا
ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في
ساير الامور ﻫ وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح
شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج
الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد
قدر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله
اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شيء وروي انه لما كثر الماء في السكك خافت
ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء
فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت
الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ﻫ ونادى نوح ابنه
يعني كنعان وكان كافرا ﻫ وكان في معزل يعني نوح لم يركب معه ﻫ يا بني اركب معنا يعني في السفينة
ولا تكن مع الكافرين يعني فتهلك معهم ﻫ قال يعني قال كنعان ﻫ ساوي الى جبل واصير الى جبل يعصمني
يعني يمنعني من الماء ﻫ قال يعني قال له نوح ﻫ لا عاصم اليوم من امر الله يعني من عذابه ﻫ الا من رحم
يعني الا من رحمه الله فينجيه من الغرق ﻫ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان
وقيل يعني بعد ما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح ﻫ يا ارض ابلعي ماءك اي اشربيه ﻫ ويا سماء
اقلعي اي امسكي ﻫ وغيض الماء اي ونقص ونضب يقال غاض اذا نقص وذهب ﻫ وقضي الامر يعني من الامر
وهو هلاك قوم نوح ﻫ واستوت يعني واستقرت السفينة ﻫ على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب
الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح
الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في
منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يالف
البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي
ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر
ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع
الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وامر
جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية
عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن
عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج
لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت

ابواب

لا مانع

قيل جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل وروي انه ركب
على ٥ السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام
ذلك اليوم و
التقرير
حاشية
الكاتب

كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك قال يعني قال الله يا نوح انه يعني هذا الابن الذي سالتني نجاته ليس من اهلك اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلم نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريق في الجنة وهم المومنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المومن والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم فان الله اخرج قابيل من صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابرهيم وهو نبي من صلب ازر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشا فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح عليه السلام انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الرا على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا الباقون من القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام والتكذيب وكل هذا غير صالح لان طلب نجاة الكافر غير بفتح الرا على عود الفعل على الابن ومعناه ان عمل ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنسا فانما هي اقبال وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي اسحق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح

فجعل الشي الشي نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال للشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا الحذف فلا تسالني ما ليس لك به علم وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو في كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسالني ما ليس لك به علم بجواز مسالته اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني لمثل هذا السوال قال يعني قال نوح رب اني اعوذ بك يعني الجا اليك واعتذر اليك ان اسالك ما ليس لي به علم يعني انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسالتي ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سوال ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت كل شي اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه السوال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السوال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سواله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سوال ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجا الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سوال ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم قوله تعالى قيل يا نوح اهبط اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض بسلام اي بامن وسلامة منا وبركات عليك البركة هي ثبوت الخير ونماوه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيمة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية امم ممن كان معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية اولادك وهم المومنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مومن الى يوم القيمة وامم سنمتعهم هذا ابتدا كلام اي وامم كافرة تحدث بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى اجالهم ثم يمسهم منا عذاب اليم يعني في الاخرة تلك من انبا الغيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من انبا الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا

قومك من قبل نزول القرآن بها ٥ فاصبر يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى قومه ٥ ان
العاقبة يعني بالنصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية ٥ للمتقين يعني للمومنين قوله عز وجل والى عاد
يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين ٥ قال يا قوم اعبدوا الله يعني وحدوا الله ولا
تشركوا معه شيا في العبادة ٥ ما لكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الاله لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها
حجارة لا تضر ولا تنفع ٥ ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره ٥ يا قوم لا اسالكم عليه
يعني على تبليغ الرسالة اجرا يعني جعلا اخذه منكم ٥ ان اجري يعني ما ثوابي الا على الذي فطرني يعني
خلقني فانه هو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة ٥ افلا تعقلون يعني تتعظون ٥ ويا قوم استغفروا
ربكم اي امنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا ٥ ثم توبوا اليه يعني من شرككم وعبادتكم
غيره ومن سالف ذنوبكم ٥ يرسل السماء عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في
اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث
سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان امنوا بالله وصدقوه
ارسل الله عليهم المطر فاحيا به بلادهم كما كانت اول مرة ٥ ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم
وقيل انكم ان امنتم تقويكم بالاموال والاولاد وذلك انه تعالى اعقم ارحام نسائهم فلم يلدن فقال
لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت
عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى الدنيا والابدان ٥
ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول نصحي وقولي حال كونكم مشركين ٥ قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة اي برهان وحجة واضحة على صحة ما تقول ٥ وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما
نترك عبادة الهتنا لاجل قولك ٥ وما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين ٥ ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطا ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا
اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا ٥ قال يعني قال
هود مجيبا لهم ٥ اني اشهد الله يعني على نفسي ٥ واشهدوا يعني واشهدوا انتم ايضا علي اني بريء مما
تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها ٥ فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي
وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ٥ ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون
وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم
يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا ثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله ٥
اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله تعالى واعتمد عليه ٥ ما من دابة يعني تدب على الارض
ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض ٥ الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو
مالكها والقادر عليها وقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس وسمي
الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم
فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه
جزوا ناصيته فلان بيد فلان وكانوا اذا اليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون
من كلامهم ٥ ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل

فانه

فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسي
بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على
صراط مستقيم ٥ فان تولوا يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم ٥ فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ٥ ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول
ما ارسلت به اليكم اهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه
اشارة الى عذاب الاستيصال فهو وعيد وتهديد ٥ ولا تضرونه شيا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم
بذلك وقيل لا تنقصونه شيا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ٥ ان ربي على كل شي
حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شي فيحفظني من ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا يعني باهلاكهم
وعذابهم ٥ نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف ٥ برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل
قد يعم المومن والكافر فلما انجى الله المومنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ٥ ونجيناهم
من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة
غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المومنين فلم
تضرهم شيا وقيل المراد بالعذاب الغليظ وهو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين
العذابين والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك نجيهم من عذاب الاخرة ٥ ووصف عذاب
الاخرة لكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا ٥ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لما فرغ
من ذكر قصة عاد خاطب محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى
قبورهم واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله جحدوا بايات
ربهم يعني المعجزات التي اتى بها هود عليه السلام ٥ وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما
للتعظيم او لان من كذب برسول فقد كذب الرسل ٥ واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم
اتبعوا الروساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق
ولا يتبعه ٥ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد
والابعاد من رحمة الله ٥ ويوم القيمة يعني وفي يوم القيمة ايضا يتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا
ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم
الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك
فما الفايدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفايدة فيه ان التكرير بعبارتين
مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد
فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفايدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا
قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق
فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص يدل على تقوية
التاكيد قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا
يعني في النسب لا في الدين ٥ قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ٥ ما لكم من
اله غيره يعني هو الاله المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته

وكمال قدرته فقال هو انشاكم من الارض يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم
خلق من الارض ○ واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى
كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من
العمرى اي جعلها لكم ما عشتم ○ فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب
يعني من المؤمنين ○ مجيب لدعائهم ○ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني قبل هذا
القول الذي جئتنا به والمعنى انا كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين
ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا فلما اظهر دعاهم الى الله وعاب
الاصنام انقطع رجاؤهم منه ○ اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا يعني الالهة ○ واننا لفي شك مما تدعونا
اليه يعني من عبادة الله مريب يعني انا مرتابين في قولك من ارابه اذا اوقعه في الريبة والتهمة ○ قال يا
قوم يعني قال صالح مجيبا لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي على يقين وبرهان ○ واتاني
منه رحمة يعني نبوة وحكمة ○ فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذاب الله ○ ان عصيته يعني
ان خالفت امره ○ فما تزيدونني غير تخسير قال ابن عباس معناه ○ غير بصارة في خسارتكم
وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما
المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ○ ويا قوم هذه ناقة الله لكم
اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا
الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله
اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم اية والنبات ○ في ارض الله
فذروها تاكل في ارض الله
يعني فليس عليكم مؤنتها ○ ولا تمسوها بسوء يعني بعقر فياخذكم يعني ان قتلتموها
عذاب قريب يعني في الدنيا ○ فعقروها يعني فخالفوا امرهم فعقروها ○ فقال يعني فقال لهم صالح
تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ○ ثلاثة ايام يعني في الدنيا فعقروها يعني فخالفوا امرهم
فعقروها ○ فقال يعني فقال لهم صالحا ○ وعد غير مكذوب اي غير كذب روي انه قال لهم ياتيكم ذلك
العذاب بعد ثلاثة ايام فيصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم
الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا يعني
بالعذاب نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان
فامنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكفار ○
ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد هو القوي يعني هو القادر على انجاء
المؤمنين واهلاك الكفار ○ العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شي ثم اخبر عن عذاب قوم صالح
فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة
فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا ○ فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني صرعى هلكى ○ كان لم يغنوا فيها
يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به ○ الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل

ولقد جاءت

ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس
وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا
اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا
احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقال ابن عباس هو الاولى لان اقل الجمع
ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به ○ بالبشرى يعني بالبشارة باسحق
ويعقوب وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني ان الملائكة سلموا سلاما ○ قال يعني ابرهيم
سلام اي عليكم ○ فما لبث ان جاء بعجل حنيذ يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة
في خد من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان
عامة مال ابرهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابرهيم خمسة عشر ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك
وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاء الملائكة راى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم
بعجل سمين مشوي ○ فلما راى ايديهم يعني ايدي الاضياف ○ لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي ○ نكرهم
يعني انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس منهم خيفة يعني ووقع في قلبه خوف
منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابرهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس
فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابرهيم عرف انهم ملائكة
وانما خاف ان يكونوا نزلوا بالعذاب فتوبيخ من ذلك والاقرب ان ابرهيم عليه السلام لم يعرف
انهم ملائكة في اول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة
لما خافهم فلما رات الملائكة خوف ابرهيم عليه السلام ○ قالوا لا تخف يا ابرهيم انا ملائكة الله
ارسلنا الى قوم لوط وامراته يعني سارة زوجة ابرهيم وهي بنت هاران بن ناحور وهي ابنة
عم ابرهيم ○ قائمة يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل وابرهيم
جالس معهم ○ فضحكت اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور
الاسنان عنده سمي مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب
المجرد ايضا ثم للعلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه
اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابرهيم الطعام الى ضيفه
فلم ياكلوا خاف ابرهيم منهم وقال الا تاكلون فقالوا انا لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا
قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على اخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق
لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابرهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة
وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال
قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من
خوف ابرهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف
عنها وعن ابرهيم وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا
بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن
زوجها فعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت تعجبا

من ان يكون ذلك وقيل انها قالت لابرهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت
الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت
قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت
فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تخصيصا
لحالها فان جعل ذلك امارة لما بشرت به فحاضت في الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر اذ كانت المراة ما دامت
تحيض فانها تحبل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت
قال ابن الانباري قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد
تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذيب لها يستهل قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه
الاية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري عن بعضهم في قوله فضحكت اي حاضت قال ويقال اصله من
ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض تضحك الضبع من دماء سليم اذا
رأتها على الحراب تمور وقال في المحكم ضحكت المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت
فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا حاضت قال وضحك الارنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم
اللقا يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض كابن دريد يقول
من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا
سهو منه لانه جعل كشرها ضحكا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها
على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت اي القولين اصح
في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالله اعلم
اي ذلك كان وقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يعني ومن بعد اسحق يعقوب وهو
ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اي
ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتا ندا ندبه
واصله يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا ءالد وانا عجوز
وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي
يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا عليها قائما بامرها سمي بعلا لذلك
شيخا وكان سن ابرهيم يومئذ مائة وعشرين سنة في قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان
بين البشارة والولادة سنة ان هذا لشيء عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير
والعجوز الكبيرة يولد لهما قالوا يعني قالت الملائكة لسارة اتعجبين من امر الله معناه لا تعجبي من
ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء فاذا اراد شيئا كان سريعا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت يعني بيت
ابرهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من
اهل بيته انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء
والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال مجيد ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع
الكرم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد
هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له

عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة
بالولد يجادلنا فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا وجعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويسألنا في قوم لوط
لان العبد لا يقدر ان يجادل ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلته
ابرهيم مع الملائكة انه قال لهم ارايتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا
قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ابرهيم فان
فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابرهيم تاخير
العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة
الاف الف ان ابرهيم لحليم اواه منيب تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابرهيم
يا ابرهيم اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه قد جاء امر ربك يعني ان ربك قد حكم
بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني ان ربك قد حكم بعذابهم العذاب الذي نزل بهم
غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند
ابرهيم وكانوا على صور غلمان مرد حسان الوجوه سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه وضاق
بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا
على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل
ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى قوله ضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في
ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع
كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا
بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج
الى المدافعة عنهم وقال يعني لوطا هذا يوم عصيب اي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء
اي شد به ماخوذ من العصابة التي يشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة
من عند ابرهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقيل انه كان يحتطب
وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم
فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية
في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة
مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة
فمر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط اشهد مثل
ذلك ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا
وقيل ان الملائكة جاءوا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم
الا اهل بيت لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما
رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس وقتادة
يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين

مشيين

الهود والخزي ومن قبل يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون
السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم قال يعني قال لوط
لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم يا قوم هؤلاء بناتي يعني ازوجكم اياهن
وفي اضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يجوز تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال
الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نساء
قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب
ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من
المروءة ان يعرض الرجل بناته على اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء
ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط عليه السلام على سبيل الدفع لقومه لا على
سبيل التحقيق وفي قوله هن اطهر لكم سؤال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب
افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس
لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله تعالى
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم احد
اعل هبل قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا
نظائر كثيرة وقوله فاتقوا الله يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون
في ضيفي يعني ولا تسوءوني في اضيافي ولا تفضحوني معهم اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد
عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى
ينهى عن الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن هزام
شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في
بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني في اتيان
الرجال في ادبارهم فعند ذلك قال لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة اي لو ان لي قدرة ان اتقوى
عليكم او اوي الى ركن شديد يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو
وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا
الا في منعة من عشيرته (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن
شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله
المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام
لما خاف على اضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب
ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط
اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف
عليه السلام ياتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير
اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب
وقومه يعالجون سور الجدار فلما رات الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ان ركنك لشديد

انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن
جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه
وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا
وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق
ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد
سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر
باهلك يعني بيتك بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية
من الليل وقال قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا
يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك
من قومها وهو قوله انه مصيبها ما اصابهم فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ان موعدهم
الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته
واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت هدة
العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فادركها حجر فاهلكها معهم فلما
جاء امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت قرى قوم لوط وهي خمس مداين اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وقيل كان
فيها اربعمائة الف وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة
ونباح الكلاب لم يكفا لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني
على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من
سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومعناه سنك وكيل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت
بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا ينسب الى الفارسي مثل قولهم استبرق وسندس ونحو ذلك
فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية وقال
قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر
واخرها طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل سجيل
اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا
مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة
قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر
على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا
على كل حجر اسم صاحبها الذي يرمى بها وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة
ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعده وفي بعض
الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة
اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فبقي الحجر معلقا في السماء اربعين يوما
حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين

الهم شعيبا وهو مدين اسم لابن ابرهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة
بناها مدين بن ابرهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبيا
عليهم السلام يبداون بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشيا قال
شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان العادة من اهل
مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن
فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص
من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفا الكيل والوزن لانفسهم زايدا
عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة
فحذرهم زوال تلك النعمة وغلا السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو قوله اني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال في الدنيا او هو عذاب
الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال اي اتموها ولا تنقصوا
فيها بالقسط اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا الناس
اي ولا تنقصوا الناس اشياءهم يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة
اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول
ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفايدة في هذا التكرار قلت ان
القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم
احتيج في المنع منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتاكيد
فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن
التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفا العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقايل ان
يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلت الجواب عن هذا انه يجوز ان ينهى عن التنقيص
وقوله اوفوا المكيال [illegible] بايفا العدل [illegible] بايفا الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك
صل رحمك ولا تقطعها فيزيد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم
فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما خصص النهي عن التنقيص والامر بايفا الحق في الكيل والوزن
والزرع وغير ذلك فظهر لهذا البيان فايدة هذا التكرار والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم بقيت الله خير لكم قال ابن عباس
يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفا الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد
بقيت الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه الله لكم من الثواب في الاخرة خير لكم
مما حصل لكم في الدنيا من المال الحرام ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به
ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك
لانه لم يومر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا يعني من الاصنام

اول

او ان نفعل في اموالنا ما نشاء يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة
فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزون به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش
اي قراتك لان الصلاة تطلق على القراة والدعا وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني اديك يامرك
ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب
ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين انك لانت الحليم
الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشي بضده فيقولون للديغ
سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزا والسخرية وقيل
معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم
رشيد فلا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان
كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل
كان شعيب كثير المال والنعم وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة
والنبوة فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان اخون في وحيه او ان اخالف امره او اتبع الضلال
او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا انك لانت الحليم
الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله نعم كثيرة وقوله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتساله عن صاحبه
فتقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم
قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على
كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما
اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد
الله تعالى وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير
الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شي وادخل فيه انما اختار لكم
ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس
والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد اريد فيهام
يعني ما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت الاصلاح وهو
الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى فانه يهدي من يشاء
ويضل من يشاء وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد على
ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع اموري
واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوايب وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم

وافعالكم الخبيثة ○ مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق ○ او قوم هود يعني الغرق ○ او قوم هود يعني
الريح التي اهلكتهم ○ او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا ○ وما قوم لوط منكم
ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي عهد هلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا
جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ○ ويا قوم استغفروا ربكم يعني من عبادة الاصنام ثم
توبوا اليه يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن ○ ان ربي رحيم يعني بعباده اذا تابوا
واستغفروا ○ ودود قال ابن عباس الودود المحب لعباده المومنين فهو من قولهم
وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان
عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي قد قيل هو
الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمن
الخطابي وقد يكون معناه ان يوددهم الى خلقه ○ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني
ما نفهم مما تدعونا اليه وذلك ان الله تعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها
وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون ○ وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة
كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل
يعني ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف
البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع
عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك يعني جماعتك وعشيرتك
وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة ○ لرجمناك يعني لقتلناك
بالحجارة والرجم بالحجارة اسوأ القتلات واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك
القول ○ وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله
انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم
يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم
وملتهم ○ ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي اعز عليكم
يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله
ولاجل الله لا لرهطي لان الله اعز واعظم ○ واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء
ظهوركم وتركتموه كالشي الملقى الذي لا يلتفت اليه ○ ان ربي بما تعملون محيط يعني عالم
باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شي فيجزيكم بها يوم القيمة ○ ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على
تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة
من الشر ○ اني عامل يعني ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد
عظيم ويدل على ذلك قوله تعلمون يعني اينا الجاني على نفسه المخطي في فعله فان قلت اي
فرق بين ادخال الفا ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفا في قوله فسوف تعلمون
وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستيناف
الذي هو جواب لسوال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت

فقال سوف تعلمون عاقبة ذلك فوصل تارة بالفا وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغا العرب
واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى فسوف تعلمون من
ياتيه عذاب يخزيه بسبب عمله الشي او اينا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ○ ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه ○ وارتقبوا
يعني وانتظروا العاقبة وما يوول اليه امري وامركم ○ اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ○ ولما
جا امرنا يعني بعذابهم واهلاكهم ○ نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بان هديناهم
للايمان ووفقناهم للطاعة ○ واخذت الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والبخس ○ الصيحة وذلك
ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة من السما فاهلكتهم جميعا ○ فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني ميتين
وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض ○ كان لم يغنوا فيها يعني كانهم لم يقيموا بديارهم مرة من
الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام به مستغنيا به عن غيره ○ الا بعدا يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال
ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من
تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم من فوقهم قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني بحججنا والبراهين
التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته ○ وسلطان مبين يعني ومعجز قاهر ظاهر دالة على صدقه ايضا
قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر
غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض ○ الى فرعون وملايه
يعني اتباعه واشراف قومه ○ فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى
وما امر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير ○
يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم
القيمة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الكفر والضلال في الدنيا كذلك
هو قدوتهم وامامهم في النار ○ وبيس الورد المورود يعني وبيس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله
فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الما وشبه اتباعه بالواردين بعده
ولما كان ورود الما محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه واوردهم
النار بيس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة
واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا ○ لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ○ ويوم القيمة يعني واتبعوا لعنة اخرى
يوم القيمة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا ○ بيس الرفد المرفود يعني بيس العون المعان وذلك ان
اللعنة في الدنيا رفد للعنة الاخرة وقيل معناه بيس العطا المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم
لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالى ذلك من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى
وهم الامم السالفة والقرون الماضية ○ نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر به قومك اخبارهم لعلهم
يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ○ منها يعني من القرى التي
اهلكنا اهلها ○ قايم وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني الحيطان
بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية شبهها الله بالزرع الذي بعضه قايم على ساقه وبعضه
قد حصد بمعنى محصود ○ وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر
والمعاصي ○ فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي لما جا امر ربك يعني بعذابهم لم

تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ يعني غير تخسير وقيل غير تدمير
﴿وكذلك اخذ ربك﴾ يعني وهكذا اخذ ربك ﴿اذا اخذ القرى وهي ظالمة﴾ الضمير في وهي عايد على القرى والمراد
اهلها ﴿ان اخذه اليم شديد﴾ ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي
للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في
الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد
الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه
الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم قوله عز وجل ﴿ان
في ذلك لاية﴾ يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة ﴿لمن خاف عذاب الاخرة﴾ يعني ان هلاك
اوليك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل
الله باوليك الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما اعد لهم في الاخرة اعتبر به
فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ يعني يوم القيمة يجمع فيه الاولين
والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين ﴿وذلك يوم مشهود﴾ يعني يشهده اهل السما واهل
الارض ﴿وما نوخره الا لاجل معدود﴾ يعني وما نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا الى وقت معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى ﴿يوم يات﴾ يعني ذلك اليوم ﴿لا تكلم نفس الا باذنه﴾ قيل ان جميع الخلق
يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله تعالى اخبارا عن محاج الكفار وهو
قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل
وله احوال مختلفة وفيه احوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي
بعض الاحوال يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون
وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن
الله لها في الشفاعة ﴿فمنهم﴾ يعني فمن اهل الموقف ﴿شقي وسعيد﴾ الشقاوة خلاف السعادة والسعادة
هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على
ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة
على ضربين ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي
من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب
قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة
فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة
فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل
السعادة فسيصير لعمل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة
الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت
بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل

بعض

الخلايق من

بعض العلما بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية
والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب
الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهولا مسكوت عنهم وهم
تحت مشية الله تعالى يوم القيمة يحكم فيهم بما يشا وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على
نفي القسم الثالث ﴿فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها﴾ اي في النار من العذاب والهوان ﴿زفير
وشهيق﴾ اصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر
والزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في جوفه وقال ابو العالية
الزفير في الحلق والشهيق في الجوف ﴿خالدين فيها﴾ يعني لابثين مقيمين في النار ﴿ما دامت السموات والارض﴾
قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سما
تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فاظلك فهو سما وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل
المعاني هذه عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك ما دامت السموات
والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التابيد وقوله تعالى ﴿الا ما شا ربك﴾ اختلف
العلما في هذين الاستثنايين فقال ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول المذكور في اهل الشقا يرجع
الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثنا من
غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعدا في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقيا ويدل
على صحة هذا التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما
من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري
ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم سفع
منها فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار
بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران
ابن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة
يسمون الجهنميين واما الاستثنا الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هولا
في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك ان يدخل
النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثنايين كل واحد منهما الى قوم
مخصوصين هم في الحقيقة سعدا اصابوا ذنوبا استوجبوا لها عقوبة ليسيرة في النار ثم يخرجون منها
فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثنايين
يرجعان الى الفريقين السعدا والاشقيا وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما
بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين
في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شا ربك سوى ما شا ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما

ان ربك فعال لما يريد

يرجع

دامت السموات والارض سوى ما دامت شاء ربك من الزيادة على ذلك هو كقولك لفلان علي الف الا الفين
اي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هولاء في النار وخلود هولاء
في الجنة فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك
لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله
كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء يرجع الى
الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله في اخر الاية ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من
اراد من النار وادخالهم هذا على الاجمال في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك في
جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه
اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة
يعني الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الا
ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك ان
يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل
الجنة في الجنة وهو ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى في جانب
السعداء عطاء غير مجذوذ يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال
تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروي عن ابن مسعود انه قال ليأتين على جهنم
زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن
مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار
بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار
فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم
والله اعلم قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هولاء يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام
التي تعبدها هولاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يعني انه
ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا اباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم
وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه
لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في
الاخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف
فيه يعني في الكتاب فمن مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة
في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تعالى لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي
شك منه يعني من القران ونزوله عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب والتهمة وان كلا يعني
من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله
ليوفينهم جزاء اعمالهم في القيامة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار
انه بما يعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين

المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما امرك ربك والامر في واستقم للتاكيد لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى اتيك ومن تاب معك يعني
ومن امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة
ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا
رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم ولا تطغوا
يعني ولا تجاوزوا ما امرتم به الى غيره ولا تعصوه وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به
ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شيء منها قال
ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود
واخواتها خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا
غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان
الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين
مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا والسداد من الامور هو
الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهو القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدو والرواح بكرة
والرواح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا ووقتا والدلجة سير الليل
والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الى تقليله
وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب
وقال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل
معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون
الله من اولياء يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا من ينصركم
ويخلصكم من عذاب الله تعالى في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلم او رضي باعمالهم او احبهم فكيف
حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار سبب
نزول هذه الاية ما روى الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في
البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت
ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك
الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه اقم
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس
عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر
هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل من الاية فقال الرجل يا رسول الله

الى دعوة قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة قال بل للناس كافة
عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة
فليس ياتي الرجل الى امراته شيء الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلاة جامعها
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان يتوضى ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمومنين عامة قال بل للمومنين عامة اخرجه
الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى
واقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الصبح والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشا وقال مقاتل
صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشا وقال الحسن
طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشا وقال ابن عباس طرفا النهار الغداة والعشي يعني
صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر
ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني الطرف
هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا
من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر وزلفا من الليل يعني واقم الصلاة
في زلف من الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشا
ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها م عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد
في رواية ما لم تغش الكباير وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنبت الكباير ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل
فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيا قال فذلك مثل الصلوات الخمس
يمحو الله بهن الخطايا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب
احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلما الصغاير من الذنوب
يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما
الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الشرط الاول الاقلاع
عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل
فاذا حصلت هذه الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شا الله تعالى وقال مجاهد في تفسير
الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات
الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي
والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل
هو اشارة الى القرآن ذكرى للذاكرين يعني عظة للمومنين المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم
وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم يا امة
محمد اولوا بقية يعني اولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد
في الارض يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد

[margin:] جامعها
[margin:] الطرف
[margin, written sideways:] الغداة والعشي [illegible] يعني صلاة

في الارض فلذلك اهلكناهم الا قليلا هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم يعني من منه
آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه الترف
التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من التنعم وايثار اللذات على الآخرة ونعيمها وكانوا مجرمين يعني كافرين
وما كان ربك يعني يا محمد ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم بظلم منه واهلها مصلحون يعني في اعمالهم ولكن
اهلكهم بكفرهم وهم مصلحون يعني في اعمالهم ولكن اهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الآية وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم يعني بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد
والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال الفقها ان حقوق الله
مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد قوله عز وجل ولو
شا ربك لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني على اديان
شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان اختلفوا في دينهم
ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على
احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من
قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه
ابو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة
من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا
واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا الذين
تفرقوا والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله
وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى
الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم قال الحسن وعطا وللاختلاف
خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق
في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرحمهم وقال
الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة
لئلا يختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا
فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين
فحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق
الآية وهو قوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا تصريح
بان الله تعالى خلق اقواما للجنة والرحمة فهداهم لذلك ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق
اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انبا
الرسل ما نثبت به فوادك لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية
والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيايهم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد
من انبا الرسل يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي به قلبك

[margin, red:] منه
[margin:] بعضهم
[margin, written sideways:] الاختلاف ... بعضهم ... وخلقهم

لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه
القصص وعلم ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا كان عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه
وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا
الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة
وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاءه الحق في سور القران فلم خص هذه السورة بالذكر قلت
لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القران كله حق
وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمؤمنين اي وهذه السورة موعظة
يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا على ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو
كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا يعني ما يعدكم به الشيطان
انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب
السموات والارض يعني علم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا
خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر
كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة فاعبده يعني ان من كان كذلك كان
مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه يعني وثق به يعني في
جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما تعملون قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى
عليه خافية منها شي فيجزي المحسن باحسانه والمسي باساته وقال كعب الاحبار
خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحد عشر اية والف وستمائة كلمة وسبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا
قال ابن الجوزي في سبب نزولها قولان احدهما ما روي عن سعد بن ابي وقاص قال انزل القران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله الر تلك ايات الكتاب
المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال
سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده وشان يوسف فانزل الله عز وجل
الر تلك ايات الكتاب المبين الايات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات التي انزلت
اليك في هذه السورة المسماة بالر هي ايات الكتاب المبين وهو القران المبين حلاله وحرامه وحدوده
وقال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان اي ظهر وقيل انه بين وقال الزجاج مبين الحق
من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى اظهر وقيل انه بين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين
انا انزلناه يعني هذا الكتاب قرانا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل
لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند

اليهود

اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا
معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا وعلى هذا القول يجوز
اطلاق اسم القران على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلما هل يمكن ان يقال في القران شي بغير
العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القران لسانا غير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه الاية انا انزلناه
قرانا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو
ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هولاء اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شا الله ووجه
الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية
في الاصل لكنهم لما تكلموا بها صارت لغة لهم فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما لعلكم
تعقلون يعني لكي تفهموا ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
الاصل في القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص
الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى نحن نبين لك
يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام
خاصة سماها احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما
فيها من سير الملوك والمماليك والعلما ومكر النسا والصبر على اذى الاعدا وحسن التجاوز عنهم بعد
اللقا وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف
وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال ابن عطا سورة يوسف لا يسمعها محزون الا استراح اليها وقوله تعالى
بما اوحينا اليك يعني بايحائنا اليك يا محمد هذا القران وان كنت اي وقد كنت من قبله يعني من قبل
وحينا اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها من العجايب قال سعد بن ابي وقاص انزل
القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل
الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص
فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل اذ قال
يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلى الله عليهم اجمعين
خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
ابن ابرهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الاعراب وقيل هو عربي سيل ابو الحسن الاقطع عن يوسف
فقال الاسف الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا
نزلن من السما ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرويا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان
النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضا بهم كما يستضا بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه
في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه
والشمس امه لان الشمس مونثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة
وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في
ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل
في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو

نسبت اليهم

كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون ان الكواكب احيا ناطقة حساسة
فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشي والاول اصح فان قلت قد قال اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الروية مرة ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فايده هذا التكرار قلت معنا
الروية الاولى انه راي اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنا الروية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم
معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين
وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على ساير الكواكب قال
اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر
ذلك ليعقوب فلما راي يوسف هذه الرويا وكان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا قال يعقوب يا بني لا تقصص تاويلها انهم
رؤياك على اخوتك يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا لك كيدا يعني فيحتالوا في هلاكك
فانهم يعلمون من رؤياه عن اخوته لان رويا الانبياء حق ووحي واللام في يكيدوا لك كيدا تاكيد الصلة كقولك
نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ان الشيطان للانسان عدو مبين يعني انه بين العداوة لان
عداوته قديمة فهم ان اقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن ابي قتادة
قال كنت اري الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرويا الصالحة من الله والرويا السو
من الشيطان فاذا راي احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راي ما يكره فليتفل عن يساره
ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره (خ) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راي احدكم الرويا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راي غير ذلك مما يكره فانما هي
من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا راي احدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رويا المومن
جزء من اربعين وفي رواية جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا حدث
بها سقطت قال واحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي وابي داود نحوه
قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة الرويا ان الله تعالى
يخلق في قلب النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشا لا يمنعه
نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على امور اخر يخلقها في ثاني الحال والجميع خلق الله
تعالى ولكن يخلق الرويا والاعتقادات التي جعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو
علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم الرويا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيا والرويا اسم للمحبوب
والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرويا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرويا المكروهة
وان كانت جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها
فيستحب اذا راي الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راي ما يكره فلا يحدث به
وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول على جنبه الاخر فانها لا تضره
فان الله جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره
من البلا والله اعلم قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك يعني تقول يعقوب ليوسف عليهما السلام اي وكما

رفع منزلتك بهذه الرويا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد
تخصيصه اياه بفيض الهي يحصل له منه انواع من الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء
او لبعض من يقاربهم من الصديقين والشهدا والصالحين ويعلمك من تاويل الاحاديث يعني به تعبير الرويا
سمي تاويلا لانه يوول امره الى ما راي في منامه يعني يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم
وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرويا وقال الزجاج تاويل احاديث الانبياء والامم السالفة
والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب
النبوة اعلا من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبيا فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق
دونهم في الرتب والمناصب وعلى ال يعقوب المراد بال يعقوب اولاده فانهم كانوا انبياء وهو المراد من
اتمام النعمة عليهم كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق بان جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام النعمة
عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابرهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من
اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشي والقول
الاول اصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد ان ربك
عليم يعني بمصالح خلقه حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت عليم
ابرهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان بين رويا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابيه
واخوته اربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ
هذه الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قوله عز وجل
لقد كان في يوسف واخوته يعني في خبره وخبر اخوته واسماوهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي
ويهوذا وزبالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من
سريتين اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة اربعة اولاد واسماوهم دان ونفتالي وجاد واشر
ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهولا بنو يعقوب وهم الاسباط
وعددهم اثنا عشر نفرا ايات للسايلين وذلك ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة
يوسف وقيل سالوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة
يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دلالة
على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلما واصحاب الاخبار ولم
ياخذ عن احد منهم شيا فدل ذلك على ان ما اتى به وحي سماوي وعلم قدسي اوحاه الله اليه وعرفه
به ومعنى ايات للسايلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ
والحكم منها رويا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما ال اليه امرهم في الحسد
ومنها صبر يوسف على بلواه مثل القايه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما ال اليه امره
من الملك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما ال اليه امره من بلوغ المراد
وغير ذلك من الايات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ اذ قالوا يعني اخوة يوسف عليه السلام فيه لام القسم
تقديره والله ليوسف واخوه يعني بنيامين وهما من ام واحدة احب الى ابينا منا ونحن عصبة انما قالوا
هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب اليهما وكثرة شفقته عليهما والعصبة
الجماعة وكانوا عشرة قال الفرا العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة

الى العشرة وقال مجاهد هو ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم
لبعض يسمى عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر ان ابانا لفي ضلال مبين يعني انه لفي خطا
بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح
امر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به لكن ارادوا به الخطا في
تدبير امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطي في محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة
في حرف به
واكثر منفعة وغاب عنهم المقصد الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف واخاه على سائر الاخوة
الا في المحبة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما خص يوسف بمزيد
المحبة والشفقة لان امه ماتت وهو صغير او لانه راى فيه من اثار الرشد والنجابة ما لم ير في سائر اخوته
فان قلت ان الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من امهات الكبائر وكذا نسبة
ابيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر ايضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت
ان هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول
النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى
هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء . قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف اقتلوا يوسف او
اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف
عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل الياس
من اجتماعه بابيه بان تفترسه السباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو
قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعقوب بوجهه
عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من بعده يعني من بعد قتل يوسف وابعاده عن ابيه قوما
صالحين يعني تائبين تتوبون الى الله بعد ذلك فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا
عليه من الذنوب الكبائر فلهذا قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل
مقاتل م
وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال منهم وهم
انبيا قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبيا في ذلك الوقت حتى تكون هذه الفعال قادحة في عصمة الانبيا
وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه
في ذلك فاشار عليهم بقتله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهودا
وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة
عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان اقربهم اليه سنا والقوه في غيابة الجب يعني القوه
في اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البير الكبيرة غير مطوية
سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطو وافاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع
من الجب مظلم لا يراه احد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بير بيت المقدس وقال وهب هو في
ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا
ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهو قولهم يلتقطه بعض السيارة وذلك ان هذا الجب كان
معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشيء من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه
اللقطة بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فتستريحوا

منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل
فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبيا بعد وقيل لم يكونوا
بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير
لا ذنب له وقال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة
الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس
احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك
كان قبل ان نباهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل قالوا يعني قال
اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف بدؤوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم
كانهم قالوا انك لا تامنا عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر
والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته ونحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وذلك انهم
قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا
له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعني الى الصحرا نرتع الرتع اكل البهائم في الخصب زمن الربيع ويستعار
للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا لم يكن فعله
غير قاصد به مقصدا صحيحا سيل ابو عمرو بن العلا كيف قالوا نلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا ويحتمل ان يكون المراد من اللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح
لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب
وقيل معناه نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهو وننشط وانا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد
حتى نرده اليك سالما قال يعني قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به والحزن هنا الم القلب
بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين
بر تعهم
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله واخاف
ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون يعني اذا غفلوا برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام
كان راى في المنام ان ذيبا شد على يوسف فكان يعقوب يخافه عليه من ذلك وقيل كانت الذياب
في ارضهم كثيرة قالوا يعني قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة
رجال انا اذا لخاسرون يعني عجزة ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسارة والبوار وقيل
معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا لخاسرون قوله عز وجل
فلما ذهبوا به فيه اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه السلام قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف
قالوا له ما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فتتصيد وتستبق قال بلى قالوا فتسل اباك ان يرسلك
معنا قال يوسف افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا
الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى من اخوتي اللين واللطف فاحب ان تاذن
لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا
يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحرا القوه على الارض واظهروا له

ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه
فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك
ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذه روبيل وجلد به الارض
ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك
تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته
له رحمة ورقة فقال يهوذا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق به قالوا وما هو
قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق
واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا
اخوتاه ردوا علي قميصي لاستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال
اني لم ار شيئا فالقوه فيها وقيل جعلوه في دلو ثم ارسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت
وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل اليه ملك فحل يديه واخرج
له صخرة في البير فاجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابرهيم الذي
كساه الله اياه من الجنة حين القي في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه
الملك اياه حين القي في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما القي يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يغنيه
عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب قال له انك اذا خرجت
استوحشت فقال له اذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب
المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستانس
في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما القي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد
ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم القي في الجب فقال
الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتي عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمانية عشرة سنة
وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهوذا ياتيه بالطعام فذلك قوله تعالى
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا يعني لتخبرن اخوتك ٥
قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحي حقيقة فبعث اليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره
انه سينبئهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا
هل كان بالغا في ذلك الوقت او كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره سبعة عشر سنة
وقال اخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة
كما قال في حق عليه السلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن احد يبلغه رسالة ربه لان عيسى صح
فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة
والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك
يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحي الهام كما في قوله واوحى ربك
الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وقوله وهم لا يشعرون يعني بايحائنا اليك وانت في البئر بانك
ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه ربما ازداد حسدهم له وقيل

ان

ان الله اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود
من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون
تحت امره وقهره قوله تعالى وجاؤا اباهم عشاء يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا
الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجرا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب
جعلوا يبكون ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع لذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال مالكم يا بني اصابكم شيء في غنمكم قالوا لا
قال فما اصابكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج
يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل ايضا وسمي المترامبان
بذلك يقال تسابقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدي يعني نشتد
ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين ايهما اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد
والمعنى نستبق الى الصيد وتركنا يوسف عند متاعنا يعني عند ثيابنا ٥ فاكله الذئب يعني في
حال سباقنا وغفلتنا عنه ٥ وما انت بمؤمن لنا يعني وما انت بمصدق لنا ٥ ولو كنا صادقين
يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدقنا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا
في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك امارة تدل
على صدقنا ٥ وجاؤا على قميصه يعني على قميص يوسف ٥ بدم كذب اي مكذوب فيه قال ابن عباس
انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا اباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم
يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب
وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذئب انت اكلت ولدي وثمرة فؤادي فانطقه الله عز وجل وقال والله
ما اكلته ولا رايته ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بارض
كنعان فقال جئت لصلة قرابة فاخذوني واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب
هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم ٥ قال يعقوب ٥ بل سولت لكم انفسكم امرا
يعني بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب
الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من
يوسف وهونته في اعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم اكله الذئب كانه قال ليس الامر
كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون ٥ فصبر جميل اي فشاني صبر
جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر
ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك ٥ والله المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب
وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون قوله عز وجل وجاءت سيارة وهم القوم
الذين يسيرون سموا سيارة لسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطاوا
الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمران يرده الرعاة
والمارة وكان ماؤه ملحا فلما القي يوسف فيه عذب الماء فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين
يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله فارسلوا واردهم فادلى دلوه والوارد هو
الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر ودلوتها
اذا اخرجتها فلما ادلاها تعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف احسن من الغلمان وذكر البغوي

مايكون

بغير سند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطي يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة
وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب
الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين قال م
والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت
شعاع النور من ثناياه لا يستطيع احد وصفه كان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام
يوم خلقه وصوره قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف وراه مالك بن ذعر كاحسن ما يكون من
الغلمان قال يعني الوارد وهو مالك بن ذعر يا بشراي يعني يقول الوارد لاصحابه البشرى هذا غلام وقرئ
يا بشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان
جدران البير بكت على يوسف حين خرج منها واسروه بضاعة قال مجاهد اسره مالك بن ذعر
واصحابه من التجار الذين كانوا معه وقالوا انه بضاعة قال مجاهد استبضعناه لبعض اهل
الماء الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان
يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخاهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه
بالقتل سرا من مالك بن ذعر واصحابه والقول الاول اصح ان مالك بن ذعر هو الذي اسره بضاعة من اصحابه
والله عليم بما يعملون يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير
ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان ياتي يوسف بالطعام فاتاه
فلم يجده في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا
ويقال انهم هددوا يوسف حتى كتم حاله ولم يعرفهم وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك
قوله تعالى وشروه اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرى على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما
وجب حمل هذا الشرى على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء
واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر
واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرى على بابه بثمن بخس قال الضحاك ومقاتل
والسدي بخس اي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعني منقوصها
وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف يعني ناقصة العيار وقال قتادة بخس اي
ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي قليل وعلى الاقوال
كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء الطفيف دراهم
معدودة فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون اقل من اربعين درهما
انما كانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين وهي اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم
فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين
فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من امه وابيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما
فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما
وكانوا فيه من الزاهدين يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة
الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين
ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم

ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد
وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس
قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق اظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب
قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم
اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه
قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز
وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن ثروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك
لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا
مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب
ابن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة
سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني
قطفير من اهل مصر لامراته وكان اسمها راعيل وقيل زليخا اكرمي مثواه يعني اكرمي منزله ومقامه عندك
والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بعناه
بربح او يكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ او نتخذه ولدا يعني نتبناه وكان حصورا ليس
له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان
ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها استاجره ان خير من استاجرت
القوي الامين وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني كما مننا على
يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض ولنعلمه من تاويل
الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها والله غالب على امره يعني يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره
ولا راد لقضائه لا يغلبه شيء وقيل الضمير راجع الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف
بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه ولما بلغ اشده يعني منتهى شبابه وشدته وقوته
قال مجاهد ثلاثا وثلاثين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال
الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم آتيناه
حكما وعلما يعني آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في
القول وعلما بتاويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها
والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي
والعلم هو العلم النظري وكذلك يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك نجزي المحسنين
قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما
صبر يوسف وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح
ودعته الى نفسها ليواقعها وغلقت الابواب اي اطبقتها لشدة حرصها وقالت هيت لك اي

قوله هيت لك ورفعت الى الكمان معنا بالحورانية تعال وقال عكرمة هلم وقال مجاهد هي لغة عربية

اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة عربية هي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل
هي بالعبرانية واصلها هيتالج اي تعال فعربت فقيل هيت لك قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب
وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها فوقع على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في
القسطاس ولغة العرب للفرس في التنور ولغة العرب للترك في الغساق ولغة العرب للحبشة في ناشئة
وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم اتيناه
حكما وعلما يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين فحسبه في ناشئة الليل وبالجملة
فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هيت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناه تهيأت لك
قال يعني قال يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما دعوتني اليه انه ربي يعني ان العزيز
قطفير سيدي احسن مثواي اي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الهاء في انه ربي راجعة الى الله تعالى يقول
ان الله ربي احسن مثواي يعني انه اواني ومن بلاء الجب نجاني انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا الفعل
فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه الاية هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتناء والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر
اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت
به اي ارادته وقصدته فكان همها عزما على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه
قال ان عروه هو عمرو بن ضابئ البرجمي هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها هم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه
محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس
منها مجلس الخاتن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير
والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى جيد
المراة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما
قاله قدماؤهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما ارادت امراة العزيز
مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف
ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك قال هي اول ما يسيل
على خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط
فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من
شبق الشباب ما يجد الرجل وهي امراة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى
تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام على تفسير البرهان الذي راه يوسف
عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الاية المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذا الذي
قاله المفسرون في هذه الاية عن هذه الرذيلة وتبيان عصمته من هذه الخطيئة التي نسبت اليه قال
بعض المحققين الهم همان هم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة
العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم
مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان
عملها فاكتبوها سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا
لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل
ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده
حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة زاد في
رواية او محاها ولا يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفا نقل مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة واما ما لم
توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا
ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم
يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن
المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت
الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الاية وقيل في قوله وهم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها
امتناعه منها وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد
ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام فخر الدين فذكر في هذا
المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه السلام
كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب
فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين
فان الانبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة
والاستغفار كما ذكر عن ادم في قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين وقال في حق
داود عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيئا
من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك في كتابه
كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء مما نقله اصحاب
الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة
اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا
اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه قوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته بقولها انا
راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض

عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود ببراءته فقوله وشهد شاهد
من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فشهد الله له في هذه الاية بنزاهته وبراءته وانه من عباده المخلصين ومتى كان كذلك فليس للشيطان
عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان
الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك
واما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاتن فحاشى ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض
القصاص واصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لم يكاد يصح
بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده
واسرار كتابه وما صدر من انبيائه عليهم السلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل
لولا ان راى برهان ربه فايده قلت فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف
انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان لان الامتناع من ضربها اولى من صرفها للنفس عن الهلاك الوجه
الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك ان يتمزق ثوبه من
قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخاين وان تمزق
من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا
فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان
راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف تعمل
عمل السفها وانت مكتوب في الانبيا وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له
سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل
له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي نودي يا يوسف اتواقعها
انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه ومثلك ان واقعتها مثله اذا وقع على الارض
لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك ان لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي
لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه
وقيل انه راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا
فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى
لجبريل ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطية فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وقيل انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد
ابن كعب القرظي رفع يوسف راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وسا سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه راى مثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت
المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت اني استحييت منه ان يراني على معصية
فقال لها يوسف اتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا احق ان استحي من ربي وهرب فذلك قوله
لولا ان راى برهان ربه واما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق

البرهان

البرهان هو النبوة التي جعلها في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل
على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم السلام
من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة
الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله كذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السوء يعني الاثم
والفواحش والفحشا يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشا وقيل السوء الثنا القبيح فصرف
الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني يوسف من عبادنا المخلصين قرئ بفتح
اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه
انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى واستبقا الباب وذلك ان يوسف
عليه السلام لما راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج
والسابق طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى
لا يخرج فذلك قوله وقدت قميصه من دبر يعني شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه
والفيا سيدها لدا الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا
مع ابن عم المراة فلما راته المراة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول قالت يعني لزوجها ما جزا
من اراد باهلك سوا يعني الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان
يسجن اي يحبس في السجن ويمنع التصرف او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب
لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل
وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرهن عن نفسه قال يعني يوسف هي راودتني
عن نفسي يعني طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام ما كان يريد ان يذكرها
القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال
هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال
سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس وروى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جا في الصحيح ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة وقصتهم
مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد
لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي قال السدي هو ابن عم المراة فحكم فقال ان كان قميصه قد من قبل اي
من قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت وهو من الصادقين
وانما كان هذا الشاهد من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد من كثرة
العلامات الدالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان في الظاهر انه مملوك هذه المراة
والمملوك لا ينبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج هاربا منها والطالب
لا يهرب ومنها انهم راوا المراة وقد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا
يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه
العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد بصدقه ايضا فلما راى قميصه قد من دبر يعني فلما
راى قطفير زوج المراة قميص يوسف عليه السلام قد شق من خلفه عرف خيانة امراته وبراءة يوسف عليه السلام

قال يعني قال لها زوجها قطفير انه يعني هذا الصنيع من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن عظيم
فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال
اعظم من مكر النساء قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق
السموات والملايكة والارض والجبال ونحو ذلك وانما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب اعظم من كيد جميع
البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله
انه من كيدكن اي كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراة يوسف عليه السلام
قال هذه المقالة يوسف اي يا يوسف اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع
وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث لهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراتك ثم التفت
الى المراة فقال واستغفري لذنبك اي توبي الى الله مما رميتي يوسف به من الخطيه وهو بري منها وقيل ان
هذا من قول الشاهد للمراة سلي زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك كنت من الخاطين
يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطين ولم يقل من
الخاطيات تغليبا لجنس الرجال على النسا وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النسا بل قصد الخبر عن من
يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل
وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النسا وكن خمسا
وقيل هن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدث
النسا فيما بينهن بذلك وهن امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة
صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود
عبدها الكنعاني عن نفسه بان تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحدث قد شغفها
حبا يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلد
حتى اصاب القلب وقيل ان حبه احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها
حتى لا تعقل شيا سواه انا لنراها في ضلال مبين يعني في خطا بين ظاهر حيث تركت ما يجب على امثالها
من العفاف والستر واحبت فتاها فلما سمعت بمكرهن يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به
وانما سمي قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه
وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا ارسلت
اليهن يعني انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت
مادبة يعني صنعت وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هولا اللواتي عيرنها
واعتدت لهن متكا يعني وضعت لهن نمارق ومساند يتكين عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة
ومجاهد متكا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسايد
يجلس ويتكي عليها فسمي الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده والمتكا
ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جا النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لا اكل متكيا وقيل المتكا الاترج وهو قوله صلى الله عليه وسلم وقيل هو كل شي يقطع بالسكين او يحز بها
يقال ان المراة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها
بحب يوسف واتت كل واحدة منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النسا سكينا لتاكل بها وكان

من عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج
على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واجلسته في مكان
آخر فلما رأينه يعني النسوة اكبرنه يعني اعظمنه ودهشن عند رويته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن
وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروي
ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السما يوسف كالقمر
ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن ابي فروة كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى
تلالو وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن ادم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة
وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونحوه عن
مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وانكر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست
معروفة في اللغة والهاء في اكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النسا قد حضنه لان حضن لا يتعدى
الى مفعول قال الازهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول ما
تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على هذا المعنى قال
الازهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه ها الوقف لا ها
الكناية وقيل ان المراة اذا خافت او فزعت فربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان
ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من امر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين
الرازي وعندي انه يحتمل وجها اخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن راين عليه نور النبوة وسيما
الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الاعتداد
الى المطعوم والمنكوح وعدم الالتفات اليهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيبة
فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال ومحمل الاية
على هذا الوجه اولى وقطعن ايديهن يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن انهن هزام
يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسسن الا
بالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب
ماتت جماعة منهن وقلن يعني النسوة حاش لله ما هذا بشرا اي معاذ الله ان يكون هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه
قد ركز في النفوس ان لا شي احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا
من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امراة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رويته
فذلكن الذي لمتنني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد
شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن بعد ما قام من المجلس وذهب وقال صاحب
الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن
به فيجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها

منهن وانفهن فذا صابهن ما اصابها عند رويته ثم ان امراة العزيز قالت ولئن لم يفعل ما امره يعني
ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه ليسجنن اي ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونا من الصاغرين يعني
من الاذلا المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين
توعدته المراة بذلك فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه قيل ان الدعا كان منها خاصة وانما
اضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن
لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعا اليهن جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن احب الي لم يبتل
بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله العافية والا تصرف عني كيدهن اي ما اردن مني اصب اليهن
اي اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه واكن من الجاهلين يعني من المذنبين
وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن
جهالة فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع يعني لدعا يوسف وغيره العليم يعني بحاله
وفي الاية دليل على ان يوسف عليه السلام لما اظلته البلية بكيد النسا ومطالبتهن اياه بالابتلا عاد
لجا الى الله تعالى وفزع الى الدعا رغبة الى الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه
من المعصية وقع فيها فدل ذلك على انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه
به قوله عز وجل ثم بدا لهم يعني للعزيز واصحابه في الراي وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف بالاعراض
وكتم الحال وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني قد
راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فراي حبسه من بعد ما راوا
الايات يعني الدالة على صدق يوسف وبراته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النسا ايديهن وذهاب
عقولهن عند رويته ليسجننه اي ليحبسنه في السجن حتى حين يعني الحين الذي يرون رايهم فيه وقال عطا الى
ان ينقطع مقالة الناس قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل
الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان
العليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما
الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا
لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك
وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام
مسموم فقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل
من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام لدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف
لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا
العبد العبراني نتراايا له رويا فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيا قال ابن مسعود ما رايا شيا
انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رايا رويا حقيقة فراهما يوسف وهما مهمومان فسالهما
عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وانه حبسهما وقد رايا رويا قد غمتهما فقال يوسف قصا علي ما
رايتما فقصا عليه ما رايا وذلك قوله تعالى قال احدهما وهو صاحب شراب الملك اني اراني اعصر خمرا
يعني عنبا سمي العنب خمرا باسم ما يوول اليه يقال فلان يطبخ الاجر اي يطبخ اللبن حتى يصير اجرا وقيل
الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني في بستان واذا انا باصل حبلة وعليها ثلاثة

عناقيد عنب فجنيتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الاخر وهو
صاحب طعام الملك اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال اني رايت في المنام كان
فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الطعام وسباع الطير تنهش منها نبينا نبئنا بتاويله
اي اخبرنا بتفسير ما راينا وما يوول اليه امر هذه الرويا انا نراك من المحسنين يعني من العالمين
بعبارة الرويا والاحسان هنا بمعنى العلم وسيل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض
انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع له واذا احتاج احد جمع له شيا
وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن
وجد فيه قوما اشتد بلاوهم وانقطع رجاوهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا
فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن
انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب
السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واحسن اثرك
اي تسريت السجن شيت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك
فقال لهما انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني
عمتي فدخل علي من ذلك بلا واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه رويا هما
كره يوسف ان يعبر لهما حين سالاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره
من اظهار المعجزة والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعلى
واعظم مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين
فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه
واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرويا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير
رويا هما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر
ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب فقال لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا خبرتكما حتى
في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتاكلانه
الا نباتكما بتاويله يعني بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان ياتيكما يعني قبل ان يصل
اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه السلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك
هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرها به ذلكما مما علمني
ربي يعني ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله
فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها
وليس الامر كذلك لان الانبيا عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما
معنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم
التعرض للشي والالتفات اليه بالكلية وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه وخرج
عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده
كذلك وقد كان يوسف معهم وكان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يومنون

بالله وهم بالآخرة هم كافرون فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في
قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة إنكارهم للمعاد وقوله واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق
ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة وأظهر المعجز أظهر أنه من أهل بيت النبوة وأن آباءه كلهم أنبياء وقيل
لما كان إبراهيم وإسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العالية في الدنيا والمنزلة الرفيعة
عند الخلق أظهر يوسف عليه السلام أنه من أولادهم وأنه من أهل بيت النبوة ليستمعوا قوله ويطيعوا
أمره فيما يدعوهم إليه من التوحيد ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء معناه أن الله تعالى لما اختارنا
للنبوة واصطفانا للرسالة وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات
التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شيء زائدة موكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب
الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن
نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك من فضل الله علينا يعني ذلك التوحيد وعدم الإشراك والعلم الذي رزقنا من فضل
الله علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية إليه فهذا من
فضل الله على عباده ولكن أكثر الناس لا يشكرون يعني أن أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها
عليهم لأنهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم إلى الإسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي
في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة لأن الليلة مسروق فيها غير مسروق وقد يجوز
أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة أأرباب متفرقون أي آلهة شتى من ذهب
وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع
ذلك لا تضر ولا تنفع خير أم الله الواحد القهار يعني هذه الأصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق
اسم الإلهية والعبادة أم الله الواحد قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل
هو المنقطع عن القرين والعديم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة لأن
ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه
شيء في خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق
كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء فذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى أن هذه
الأصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة إذا أراد الإنسان كسرها وإهانتها قدر عليها والله هو
الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الأصنام
وأنها لا شيء البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله وإنما قال تعبدون بلفظ
الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة لأنه أراد جميع من في السجن من المشركين إلا أسماء سميتموها
يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها أنتم وآباؤكم يعني من قبلكم
سموها آلهة ما أنزل الله بها من سلطان يعني أن تسمية الأصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان ولا أمر الله
لها وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان
إن الحكم إلا لله يعني أن الحكم والقضاء والأمر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك أمر ألا تعبدوا إلا إياه لأنه هو
المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي سميتموها آلهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله هو الدين المستقيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير
رؤياهما فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا يعني أن صاحب شراب الملك يرجع إلى

منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه أول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعو
به الملك ويرده إلى منزلته التي كان عليها وأما الآخر فيصلب يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث
ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف عليه السلام
قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من الأمر الذي سألتما
عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا شيئا وقال يعني يوسف للذي ظن يعني علم
وتحقق والظن بمعنى العلم أنه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك يعني عند سيدك وهو الملك
الأكبر فقل له إن في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه فأنساه الشيطان ذكر ربه في الكناية هفا
في فأنساه إلى من تعود قولان أحدهما أنها ترجع إلى الساقي وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى
فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل
الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن الكناية
ترجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان
بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائز
إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم
صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت كيف تمكن الشيطان
من يوسف حتى أنساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث أن الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية
فلا يقدر عليه قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما
بين الثلاث إلى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما
دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها
في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف
في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف
اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت
كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما
لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم يبكي الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره الثعلبي
مرسلا وبغير سند وقيل إن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا أخي المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب
العالمين ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالآدميين وعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين
قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا لا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل
من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك إلى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب
البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف
استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي
قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة

هالة وذلك انه راى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية
الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منها شيء وراى سبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن
ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم رؤياه التي راها فذلك قوله وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رؤياي يعني
يا ايها الاشراف اخبروني واعلموني بتاويل رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة
وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج
معناها وهذا اخص من التاويل لان التاويل يقال فيه وفي غيره قالوا يعني قالت جماعة الملا وهم السحرة
والكهنة والمعبرون مجيبين للملك اضغاث احلام يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله
الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف من السجن وذلك
ان الملك لما راها قلق واضطرب وذلك لانه شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل
حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف تاويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى في منامه وسالهم
عن تاويلها فاعجز الله عز وجل بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرؤيا ومنعهم من الجواب
ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما يعني وقال الساقي
الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني
عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة ايام والامة الجماعة
انا انبئكم بتاويله يعني اخبركم بتاويله وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة
والكهنة والمعبرين او اراد الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي
جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا فارسلون فيه اختصار تقديره فارسلني
ايها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة يوسف اي يا يوسف ايها الصديق انما
سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا
لانه صدق في تعبير رؤياه التي راها في السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات فان الملك راى هذه الرؤيا لعلي ارجع الى الناس يعني ارجع بتاويل هذه الرؤيا
الى الملك وجماعته لعلهم يعلمون يعني بتاويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم قال يعني
قال يوسف معبرا للملك الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات
العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تزرعون وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا
سبع سنين دابا يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد فما حصدتم فذروه في سنبله
انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول
الزمان الا قليلا مما تاكلون يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر
لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد السنين المخصبة
سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس ياكلن يعني يفنين ما قدمتم

لهن

لهن يعني يؤكل فيهن كل ما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في
الكلام الا قليلا مما تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث
يحفظ ولا يضيع ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من
الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث وفيه يعصرون يعني يعصرون
العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع
والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب قوله عز وجل وقال الملك ائتوني
به وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف
ان الذي قاله كائن لا محالة قال ائتوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي
الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى فلما جاءه الرسول فابى ان يخرج معه حتى تظهر براءته
للملك ولا يراه بعين النقص قال يعني يوسف للرسول ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك
فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما لها
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت طول لبث يوسف لاجبت الداعي
اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك
الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل بل
ثبت في السجن وراسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله تعالى
ان ربي بكيدهن عليم يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل
العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة العزيز
معهن وقال لهن ما خطبكن يعني ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف عن نفسه انما خاطب الملك
جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امراة العزيز وحدها ليكون استر لها وقيل ان امراة
العزيز راودته عن نفسه وخوفها وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب
قلن يعني النسوة جميعا مجيبات للملك حاش لله يعني معاذ الله ما علمنا عليه من سوء يعني
من خيانة في شيء من الاشياء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق يعني ظهر وتبين وقيل ان
النسوة اقبلن على امراة العزيز يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت فقالت انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما انه من قول المراة ووجه هذا القول ان هذا متصل بما قبله
وهو قول المراة الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم اكذب عليه بل
قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تاكيد
هذا القول فقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول
الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه ليس ببعيد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت
القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

قال يوسف ذلك اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب
يعني في حال غيبته فيكون ذلك من كلام يوسف اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز
بين الكلامين لمعرفة السامعين بذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين
ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى
وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا
اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في
السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح
عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه
رواية عطا عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظ ذلك وهي اشارة
للغايب مع حضوره عندهم قلت قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في
هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله
يقول ذلك الذي فعلته من تردادي الرسول ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته
ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة
التي وقعت لان الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله وما ابرئ نفسي من قول
من على قولين ايضا احدهما انه من قول المراة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب من قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي
عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن
ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال
وما ابرئ نفسي لان الله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل
فان رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات
المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية
والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
ان النفس الانسانية واحدة لها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث
مراتب هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء
فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل عند
ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها
فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله الا ما رحم ربي قال ابن عباس معناه
الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من وهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء
منقطع تقديره لكن من رحم ربي فيعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ان ربي غفور رحيم يعني لذنوب
عباده رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف
وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ايتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي اي اجعله
خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشي من جميع شوايب الاشتراك وانما طلب الملك

ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشيا النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس
وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه الى
اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيا اسبابه
فالهم الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره فلما جا الرسول الى يوسف فقال
له اجب الملك الان بلا معاودة روي ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف
عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن
السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي
من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية
فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان
ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان
الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه العربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى مع حداثة
سن يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم
الملك يوسف لان من سنن الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها وانما يبدا الملك بالكلام وقيل معناه
فلما كلم يوسف الملك قال انى ايها الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها
فاقبل عليه الملك وقال انك اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي
منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك
ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليك وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضايل
والمناقب في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل رؤياي
منك شفاها فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان غرا شهبا حسانا كشف لك عنهن
النيل وطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن
اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات
البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاخترطن السمان فافترسن السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات
في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك اي شي هذا هؤلا خضر مثمرات
وهؤلا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الما اذ هبت ريح فذرت الاوراق اليابسات
السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت ثم
انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منها شيا فما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا
فما هي باعجب مما سمعت منك وما ترى في رؤياي ايها الصديق قال يوسف عليه السلام ارى ان
تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في
الخزاين بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فيرفعوا الخمس

من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من سائر النواحي
للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي
ويكفيني العمل فيه فعند ذلك قال يعني يوسف ﴿اجعلني على خزائن الارض﴾ يعني على خزائن الطعام والاموال
واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها ﴿اني حفيظ عليم﴾ اي حفيظ للخزائن عليم
بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل اني حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وقيل
حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين الخصبة للسنين
الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فعند ذلك قال الملك ومن احق بذلك منك فولاه ذلك روى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه السلام
الامارة والولاية مع ما ورد من كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسالة اعنت
عليها اخرجاه في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها
وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله والرسل اعلم
بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها
وقيل انه علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحي من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم
الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب
فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت
انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا
القدر مذموم في تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير
فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون لبعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به
فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم
انه عالم بمصالح الدنيا نبهه بقوله ﴿اني حفيظ عليم﴾ على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ وكذلك اشارة الى ما تقدم
يعني وكما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى
قربه وادناه منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما
يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس
وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه
بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع
ووضع له عليه ثلثون فراشا وستون مرفقة وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج
فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير
ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه
قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن في مملكته كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه
كله وجعل امره وقضاءه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امراة

الوز

١٧

العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمني فاني
كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك
فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا
يوسف منها واستوسق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان
يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين
المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة
لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت
سنة القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف
هذا اوان القحط فهلك في السنة الاولى من سني القحط كل ما اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر
يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر فلم يبق في ايدي الناس منها شيء وباعهم في السنة
الثالثة بالدواب والمواشي حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة
بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبد ولا جارية وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار
حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة
برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد الا ملكه فصار جميعهم عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم
ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في
هؤلاء فقال الملك الراي رايك ونحن لك تبع قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر
عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل
له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف طباخ الملك
ان يجعلوا غداءه وقت الظهر واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم
جعل الملوك غداءهم نصف النهار واراد بذلك انه قال بعض اهل العلم لم يزل يوسف لا يشبع من الطعام في تلك
الايام يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء يعني نختص بنعمتنا وهي
النبوة من نشاء يعني من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس يعني الصابرين
ولاجر الاخرة يعني ولثواب الاخرة خير يعني افضل من اجر الدنيا للذين امنوا وكانوا يتقون يعني يتقون
ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف في الاخرة من الاجر والثواب الجزيل
افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى ﴿وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون﴾ قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك البلاد جميع البلاد حتى
وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطي احدا اكثر
من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة للناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من
الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل
عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض

يوسف

تحملم

عسرا
اهزة

بيين

فلسطين بغورات م وكانوا اهل بادية وابل وشا فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني ان بمصر ملكا
صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا
مصر فدخلوا على يوسف ۵ فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد اول ما نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم
حتى تعرفوا اليه ۵ وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه
مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك
وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه
الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق
الله تعالى لها فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في ملكات عة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه لتنبئنهم بامرهم
هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم
بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض كنعان ان رعاة
قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار فقال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي
قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من انبياء الله يقال له يعقوب نبي من
انبياء الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال
فكم انتم الآن قالوا احد عشر قال فاين الآخر قالوا هو عند ابينا لانه اخ الذي هلك لامه فابونا يتسلى به
قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا بها احد قال فاتوني باخيكم
الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراود عنه اباه
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت
القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهازا لسفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجههم والجهاز بفتح الجيم
هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال
حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزل واحسن ضيافتهم واعطاهم ما
يحتاجون اليه في سفرهم ۵ قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين ۵
الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه ولا ابخس منه شيئا وازيد حمل بعير آخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك ۵
وانا خير المنزلين يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام
فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم عيون
وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين
وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف
براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف عليه السلام فان لم تاتوني به
يعني باخيكم الذي من ابيكم ۵ فلا كيل لكم عندي يعني ليست الكيل لكم طعاما ۵ ولا تقربون يعني ولا
ترجعوا الي ولا تقربوا بلادي وهذا نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام هوم
ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك ۵
قالوا يعني اخوة يوسف ۵ سنراود عنه اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده ۵

وانا لفاعلون يعني ما امرتنا به قوله عز وجل وقال لفتيانه اجعلوا يعني قال يوسف لفتيانه وهم
غلمانه والتي عة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت
دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها
الطعام وغيره ۵ لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم ۵ اذا انقلبوا الى اهلهم يعني اذا رجعوا الى اهلهم ۵
لعلهم يرجعون اليك واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا
فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت عليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك
على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه شيئا آخر من المال لان الزمان كان
زمان قحط وشدة وقيل انه راى ان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لوم لشدة حاجتهم اليه
وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه
واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان
ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء واولاد انبياء
وقيل اراد برد البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لابيه واخوته على شدة الزمان ۵ فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من اولاد يعقوب
ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤوه عني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي
عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم
واخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل
الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم
تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن لنمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا اخانا وهو
قوله تعالى اخبارا عنهم ۵ فارسل معنا اخانا يعني بنيامين ۵ نكتل قرئ بالياء يعني يكتل
لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا ۵ وانا له لحافظون يعني حتى نرده
اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة ۵ قال يعقوب ۵ هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم
مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم وانا له لحافظون فما فعلتم فلم يحصل
الامان والحفظ هنا لكم فكيف يحصل هاهنا ثم قال فالله خير حافظا يعني ان حفظ الله له
خير من حفظكم له فعند ذلك التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور ۵ وهو ارحم
الراحمين وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما
فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين
يوسف او ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة القحط
وضيق الوقت احوج الى ذلك قوله تعالى ۵ ولما فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل
ان يكون المراد به الطعام او اوعية الطعام ۵ وجدوا بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم وجدوا في متاعهم
ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم ۵ قالوا يا ابانا ما نبغي

يعني ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب
على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اي شيء نطلب
من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن اراد وا بهذا
الكلام تطييب قلب ابيهم ونمير اهلنا يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد
آخر اليهم والمعنى انا نشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما تخاف عليه
حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل
يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداد من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من
ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا قال يعني قال لهم
يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تعطوني عهد الله
وميثاقه والموثق العهد الموكد باليمين وقيل هو الموكد باشهاد الله عليهم لتأتنني به دخلت
اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا
جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال
قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع فلما آتوه موثقهم يعني فلما اعطوه عهودهم
وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لا ننقض ذلك
وكيل يعني انه موكول اليه هذا العهد وقيل حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله
خير حافظا قال الله تعالى وعزتي لاردن كلاهما بعد ما توكلت علي ونقل انه لما
اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم
متوكلا على الله ومفوضا امره الى الله قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة
وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم
ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور
المفسرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين
واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين اخرجه
ابو داود قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قال المازري اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث
وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي
الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا
يجوز تكذيبه وانكاره وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا او تكذيبهم بما يخبر به من امور الآخرة قال وقد زعم
بعض الطبائعيين المثبتين للعين ان العائن ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد
قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير
محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى
وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا ادل ما قالوه ثم

نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان
يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى من عكسه فبطل ما
ما قالوه واقرب طريقة من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن
تتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة
اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجأ العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما
يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة ان يخلق الضرر عند مقابلة هذا
الشخص لشخص آخر وهل ثم جواهر ام لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي
الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطأ في قطعه وانما هو من
الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في
حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ واما صفة وضوء
العائن فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم
وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان
يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان
قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا
تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في
وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله
بقوله وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين
فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر ان الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض
من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره وعليه فليتوكل
المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل هي مدينة
الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب
قضاها هذا الاستثناء منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو
انه اشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد
اهل مصر وخاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه وانه يعني يعقوب لذو علم يعني صاحب
علم لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما
علمناه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل
بما يعلم عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم
وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه
قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان
ناتيك به قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرمهم واكرم
نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي
يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا

اجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله فلما كان الليل امر لهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان
على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف
على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس
معه ثاني فساضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رأينا
هذا فذلك قوله آوى اليه اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين
قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولد هلكت امه قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل من ولد قال
عشرة بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال
بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام
اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يعني يوسف فلا تبتئس يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل
من البوس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبوس بما كانوا يعملون يعني فلا تحزن بشيء
فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته
وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب الاحبار لما قال له
يوسف اني انا اخوك قال بنيامين لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي واذا حبستك عندي
ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني
لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل
ما شئت فذلك قوله عز وجل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه وهي المشربة التي كان الملك
يشرب منها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال
عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب
فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت في وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين
الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من
استوقفهم وحبسهم ثم اذن مؤذن يعني نادى مناد واعلم معلم والاذان الاعلام ايتها العير وهي القافلة في اللغة
التي فيها الاحمال وقال مجاهد هو العير الحمير وقال ابو الهيثم كل ما امتير عليه من الابل والحمير والبغال فهي عير وقول
من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير انكم لسارقون
فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه في خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان
بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يبهت اقواما وينسبهم
الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها
قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخاه قال لست افارقك قال لا سبيل
الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتالم قلبه بسبب
هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون هذا ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من
ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل
ان يكون المنادي ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع
ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم لما طلبوا السقاية

فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن
ضيافتكم ونوف لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها
غيركم فذلك قوله قالوا واقبلوا عليهم اي عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا اي ما الذي تفقدون والفقدان
ضد الوجود قالوا يعني المؤذن واصحابه نفقد صواع الملك الصاع الذي يكال به وجمعه اصوع والصواع
لغة فيه وجمعه صيعان ولمن جاء به يعني بالصواع حمل بعير يعني من الطعام وانا به زعيم اي كفيل
قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم
وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح
هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل
رد الضائع فيكون جعالة او لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه قالوا
يعني اخوة يوسف تالله التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاؤا لاجل
الفساد في الارض والثاني انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على
صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من امرهم انهم شدوا افواه دوابهم لئلا
تؤذي زروع الناس ومن كان هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين
لانهم كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كان هذه صفته فليس بسارق
فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين براءتهم من هذه التهمة قالوا
يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه فما جزاؤه ان كنتم كاذبين يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في
قولكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا يعني اخوة يوسف جزاؤه من وجد في رحله
يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك
سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق
وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم ابيه
في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء له على جرمه
وسرقته فهو جزاؤه يعني هذا الجزاء جزاؤه كذلك نجزي الظالمين يعني مثل هذا الجزاء وهو
ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف
وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق
سنة قال اصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل
وعاء اخيه قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف
لابد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء
اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا
ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا
قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه

وجدوا الصواع فيه فذلك قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان
الصواع يونث ويذكر فلما خرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رووسهم من الحيا واقبلوا على بنيامين
يلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا
منكم بلا ذهبتم باخ فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة
في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم
الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف ٥ كذلك كدنا ليوسف
يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم باسترقاق السارق اي مثل ذلك
الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا
في حق الله عز وجل محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فيقول الكيد
هنا جزا الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتدا فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة
ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزا السارق ان يسترق
كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن
الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبالحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا
ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين
فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من المعاني المذمومة
ويخلص انه وقع بمن يكيده تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة
يكون من المخلوق من اجل ان المخلوق يستوعبه ما ينويه ويضمه والذي يقع به الكيد من
الله تعالى فهو سبب ما حتم الله عاقبته به والذي وقع باخي يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه
شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة بحيث جرى الامر على غير ما قدروا وابى اهلاكه
وخلوص ابيهم لهم بعده وكل ذلك بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لما يشبه من كيد
المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه والهمه عليه على
خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
يعني في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس
اخيه عنده في حكم الملك فالهم الله تعالى يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك ٥ الا ان
يشا الله يعني ان ذلك الامر كان بمشية الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف
واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد ٥ نرفع درجات من نشا يعني بالعلم كما رفعنا درجة
يوسف على اخوته وفي هذه الاية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات
لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجه الهداية والصواب
في الامور كلها ٥ وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم
الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعلم وفي الاية دليل على ان اخوة
يوسف كانوا علما وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه
ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة على العلوم لانه لا يخلو عالم من

يعني اخو يوسف لامه

عالم فوقه قوله تعالى قالوا ان يسرق يعني بنيامين الصواع ٥ فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف
وظاهر الاية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان اخاه الذي هلك
كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه
كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة التي
نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابي امه صنم
وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقيل ان يوسف
جاه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة اخذ
دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سايلا وقال وهب كان يخبا الطعام
من المايدة للفقرا وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه
راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه
فاتاها فقال لها يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة
فقالت لا اعطيكه فقال والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي اياما انظر اليه لعل ذلك
يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت
اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو
صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع
يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم
لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ
له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما
يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم في هذه الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى
قال يعني يوسف ٥ انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير
يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول صالح
عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم
عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج
عليهم في ادعايهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه
بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة ٥ والله اعلم بما تصفون يعني
بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف يا ايها العزيز يخاطبون بذلك
الملك ٥ ان له ابا شيخا كبيرا قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج
الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثني عشر
رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه فقال بنيامين ايها الملك سل
صواعك من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسالني
عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكانوا بنو يعقوب اذا
غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم تقم لغضبه شي وكان اذا صاح القت كل حامل

قال م

جملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسّه احد من ولد يعقوب تسكن غضبه وكان اقوى
الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق
بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق
فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردنّ علينا اخانا او لاصيحنّ صيحة لا يبقى بمصر امراة
حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف
لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسّه او خذ بيده فاتى به فلما مسّه سكن غضبه فقال للاخوة
من مسّني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل
انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركله برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا
معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا
وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من
اولاد الانبياء ٥ فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك ٥ انا نراك
من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفيه الكيل وحسن الضيافة
ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين
قال معاذ الله يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا ٥ ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق ٥ انا اذا لظالمون يعني ان اخذنا
بريئا بذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه
وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه ما فيه من العقوق
وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة
ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا
كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما فعل
ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على
البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف
في خلقه بما يشاء فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما
يريد ان يبرم فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما استيأسوا منه يعني يئسوا من يوسف
ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل يئسوا من اخيهم ان يرد عليهم وقال ابو عبيدة استيأسوا مطلب
اي استيقنوا ان الاخ لا يرد عليهم ٥ خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون
ليس معهم غيرهم ٥ قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا
وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة
والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن
قتله ٥ الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في
يوسف حتى قصرتم في امر يوسف حتى ضيعتموه ٥ فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا
فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة ٥ حتى
ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر فيدعوني اليه ٥ او يحكم الله لي يعني برد اخي علي

بخروجي معكم وتركي او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي ٥ وهو خير الحاكمين لانه يحكم
بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام التلجي الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده
يعقوب عليه السلام ٥ ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته
يا ابانا م الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا له ٥ يا ابانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه
الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق
فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة
قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني لم نقل ذلك الا بعد ان رأينا اخراج الصاع من متاعه
وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء الا بما علمنا وهذه ليست
بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك
واصحابه لانا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سُرِّق بضم السين وكسر الراء
وتشديدها اي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه
الى السرقة واتهموه بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تاويل الا ان هذه القراءة ليست مشهورة
فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا فانا
رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء الا
بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه
سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق
الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله يعقوب وبنيه واورد على هذا القول كيف
جاز ليعقوب ان يخفى هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا
بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كان كافرا ٥ وما
كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة معناه ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا
الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل
وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة
الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم
بذلك ٥ واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز
ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس
هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ٥ والعير التي اقبلنا
فيها يعني واسال القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب ٥ وانا لصادقون
يعني فيما قلنا ٥ وانما امرهم اخوهم الذي اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم
عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف ٥ قال بل سولت لكم انفسكم امرا فيه
اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوا
لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم معكم الى مصر
لطلب نفع عاجل قال لامركم الى الحال الطيب وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم امرا انه سرق وما سرق

فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين
والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته
علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا
اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول الامر
وهو رؤيا يوسف وقوله له لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناها الامر
قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني بحزني ووجدي عليهم الحكيم يعني فيما
يدبره ويقضيه قوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين
لحينئذ تتام حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم
وقال يا اسفى على يوسف والاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه
الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول
كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك فقال اتبكي كل قبر رايته لقبر
ثوى بين اللوى والدكادك فقلت له ان الاسى يبعث الاسى فدعني فهذا كله قبر مالك
فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان
يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه
على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب في قوله
يا اسفا على يوسف وقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر
كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه السلام شكا الى الله لا منه فقوله يا اسفى على يوسف
معناه يا رب ارحم اسفي على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين انه قال نداء
يعقوب للاسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا الهي ارحم اسفي او
انت رائي اسفي وهذا اسفي فنادى الاسف في اللفظ والذي يبتغيه سواه في المعنى ولانه اذا لم
ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفى على يوسف شكوى
الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت
محنته قال يا اسفى على يوسف اي اشكو الى الله شدة اسفي على يوسف ولم يشك الى احد من
الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وابيضت عيناه من الحزن اي عميتا من شدة
الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة
البكا من كثرة البكا وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج
من العين فهو كظيم اي مكظوم وهو الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة هو الذي يردد
حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف
عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي
ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني ايها الصديق فقال يوسف ارى صورة
طاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب
الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي

يدخلوها

يدخلونها اطهر الارضين وان الله قد طهر بك السجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال
يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين
قال لانه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين
والحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره
وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال
فما له من الاجر يا جبريل قال اجر مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالي ما
لقيت ان رايته قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف يعني لا تزال تذكر
يوسف ولا تفتر من حبه يقال ما فتي يفعل ذلك اي ما زال ولا محذوف في جواب القسم لان موضعها معلوم
فحذفت للتخفيف كقول امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا الوبل واوصالي اي لا ابرح قاعدا
وقاله مجاهد وقوله حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا وقال هي هو الحرض ما دون الموت
يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الفاسد في الجسم والعقل من الحزن
او الهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعني لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف
او تكون من الهالكين يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شي لم يعلموا حقيقته قطعا قلت بنوا
الامر على الاغلب الظاهر اي نتوهمه ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك قال يعني يعقوب عند ما راى قولهم له وغلظتهم
عليه انما اشكو بثي وحزني الى الله اصل البث اثارة الشي وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم
والسر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان
بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون انما اشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم
قال ابن الجوزي روى الحاكم ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال
اما الذي اذهب بصري فالبكا على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال
يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكو الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى
الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب
ان الله يقريك مالي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما
ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال رب خطيئة اخطاتها فاغفر
لي فقال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سيل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل ان الله اوحى
اليه وعزتي وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال اي
رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه شمة قبل ان
اموت ثم اصنع ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول ابشر فوعزتي
لو كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو
صائم فلم تطعموه منها شيئا وان احب عبادي الي الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه
ال م
المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى
من اراد ان يطعم فليات يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى
الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لانك شويت عناقا وقترت

على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها
فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبيا قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات
الابرار سيات المقربين وانما يطلب من الانبيا من الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم فيعقوب عليه السلام
من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من ابنائه بمحنة فصبر فابرهيم عليه السلام
القي في النار فصبر ولم يشك الى احد واسمعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واسحق ابتلي بالعمى فصبر
ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلي بفقده ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك او ضعف بصره
من كثرة البكا عليهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى احد شيا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثنا الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الاخرة
مع من سلف له من اباءه ابرهيم واسحق عليهما السلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به
عتب ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم
بكى على ولده ابرهيم عند موته وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا فظهر العذر لا يقدر الانسان ان م
على دفعه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى من رحمته
واحسانه ياتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه
اليه وروي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل
قبضت روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله ما
لا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبروه
بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند
ذلك قال يعني يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس طلب الخبر بالحاسة
وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحا يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس
وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست
عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان
يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد
عن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما السلام حين حبس بنيامين عنده [illegible] من
يعقوب اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل
بنا البلا اما جدي ابرهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار واما ابي فشدت
يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب
به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن
اخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا
نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف كتاب
ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شا الله تعالى فذلك قوله
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا اي ولا تقنطوا من روح الله وقيل
من فضل الله وقيل من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني ان المومن
على خير يرجو من الله ويصبر عند البلا فيناله به خير او يحمد عند الرخا فيناله خير والكافر بضد

ذلك قوله تعالى فلما دخلوا عليه فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه
يعني على يوسف قالوا يا ايها العزيز يعنون يا ايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يوميذ
مسنا واهلنا الضر يعني الشدة والفقر والجوع وارادوا باهلهم من خلفوا ورآهم من العيال وجينا ببضاعة
مزجاة يعني جينا ببضاعة ردية كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البايع واصل الازجاء في اللغة
الدفع قليلا قليلا والترجية بدفع الشي لينساق كترجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر
وحاجة غير مزجاة من الحاجة يعني هي قليلة يسير دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك
البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او لردآتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه
البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل
كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضرا وقيل كانت سويق
المقل وقيل كانت الادم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الردية مزجاة
من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جينا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان
وليست مما ينتفع بها وقيل انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن
يدفعها فاوف لنا الكيل يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى انا نريد
ان تقيم لنا الزايد مقام الناقص والجيد مقام الردي وتصدق علينا يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين
الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسالونه من المسامحة
يشبه الصدقة وليس بها واختلف العلما هل كانت الصدقة حلالا للانبيا قبل نبينا ام لا فقال سفين
ابن عيينه ان الصدقة كانت حلالا للانبيا قبل نبينا ام لا فقال سفين بن عيينه انه الصدقة كانت
حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر جمهور العلما ذلك وقالوا ان حال
الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم يانفون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم لان الصدقة
اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن من سواه واجيب عن قوله وتصدق علينا
انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم في المسامحة وايفا الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة
وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل في دعايه اللهم تصدق
علي لان الصدقة لا يكون الا ممن يبتغي الثواب وروي ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال
ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك
والضحاك وتصدق علينا يعني برد اخينا الينا ان الله يجزي المتصدقين يعني بالثواب الجزيل
قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مومن قال يعني قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه في الجب الذي من اجله حمل يوسف ومعنى على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي انهم لما
كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه
ببيعه من مالك وفيه اخره وكتب لهم فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان لنا عبد
فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم لتستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوا
قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا
ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة عليهم
ورحمهم فبكى وقال لهم هذا القول وقيل ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه لم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما

تعلمتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف
وما اجنبتم ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت
وهل عرفت من خالفت لم يرد بذلك نفس الاستفهام ولكنه اراد تفضيح الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون
المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية
تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف
معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا
ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشته وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم
قالوا له لما اتهم بالصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا اذ انتم جاهلون هذا يجري مجرى العذر لهم يعني
انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون
بما يؤول اليه امر يوسف قوله عز وجل قالوا ائنك لانت يوسف قرئ على سبيل الاستفهام ووجه هذه
القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه تبسم فراوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا
يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف وقرئ على الخبر ووجه ما قال
ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان
له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها
وقالوا ائنك لانت يوسف وقيل قالوه على التوهم ولم يعرفوه حتى قال انا يوسف قال بعض العلماء انما اظهر
الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر
والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني
باخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي
وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت وهو الى ما ترون وهو قوله قد من
الله علينا يعني بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة
وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا انه من يتق ويصبر يعني يتق الزنا
ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل
يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذا
حاله قالوا يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه تالله لقد آثرك الله علينا
اي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضل
والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر
وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاها الله لك دون اخوتك وقيل
فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء ايضا فليس له عليهم فضل واجيب
عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم لهذا الاعتبار لان من جمع له بالنبوة
والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وما كنا في صنيعنا بك الا خاطئين
ولهذا اختير لفظ الخاطي على المخطي والفرق بينهما ان يقال خطي خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد
وقيل يجوز ان يكون اثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الاي لان خاطئين اشبه بما قبلها
قال يعني يوسف لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة

احدكم

احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله اليوم قولان احدهما
انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتوبيخ
والتوبيخ وانا لا اثربكم اليوم ويبتدئ اليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب
عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن حال ابيه
فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا
بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه
قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات
ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد راسها وعلقها
في عنق يوسف كالتعويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القي يوسف في البير
عريانا اتاه جبريل واخرج ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاء جبريل واخرج ذلك
القميص فامره بان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي
في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات
بصيرا قال المحققون انما علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد
البصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه قد عمي من كثرة البكاء وضيق الصدر بعث
اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح
قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله واتوني باهلكم
اجمعين قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامراة
ولما فصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم يعني قال
يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح الصبا استاذنت ربها في ان تاتي يعقوب بريح يوسف
قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة
ثمان ليال وقال ابن عباس من مسيرة الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت
ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص
فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من
الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال
الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون اي تنسبوني
الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلومون وقيل تجهلون وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمون
فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان
الاولاد لصلبه كانوا غائبين عنه تالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عندهم
ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
والضلال الذهاب عن طريق الصواب فلما ان جاء البشير وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود
جاء البشير بين يدي العير قال ابن عباس هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص

ملطخًا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذيب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره بانه حي فافرحه
كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا واخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف
اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا ۝ فالقاه على وجهه يعني فالقى البشير قميص يوسف على
وجه يعقوب ۝ فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره
بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا ۝ وروي
ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اي
دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة ۝ قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب
حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف ۝ استغفر لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا
من الله ۝ انا كنا خاطئين يعني فيما صنعنا ۝ قال سوف استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين ان يعقوب
اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من
داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ رفع
يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم
يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم
الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيف وعشرين سنة وقال
طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف
استغفر لكم ربي قال حتى اسال يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي انه هو الغفور يعني
لذنوب عباده ۝ الرحيم بجميع خلقه قال عطا الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها الى
الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال
اصحاب الاخبار ان يوسف عليه السلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتي راحلة وجهازا وسالهم ان ياتوه بيعقوب
وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما
بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك
الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة الاف من الجند وركب
اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد ابنه يهوذا
فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل
واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب
بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد
بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان
القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى فلما دخلوا
فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه يعني ضم اليه ابويه قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا
وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هو ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان
الله احياها ونشرها من قبرها حتى سجدت ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح ۝ وقال ادخلوا مصر
قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال

ادخلوا

ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان لقوله
ادخلوا مصر مستوطنين فيها ۝ ان شاء الله آمنين قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى
الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال
ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام
تقديم وتاخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا
يدخلها احد الا بجوازهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون
قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم واني ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم ۝ ورفع
ابويه على العرش يعني السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو ۝ وخروا له سجدا يعني
يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود والانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود
من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو
اكبر منه واعلى منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه
ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول
الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة بالارض وهذا مشكل لان السجود على هذه
الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما
سجدت الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر
هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان
ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وهو قوله وخروا
له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام قلت يحتمل ان يكون المعنى خروا
لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي
ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر والسجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا
له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان
ذلك جائزا في ذلك الزمان ۝ وقال يعني وقال يوسف عند ما راى ذلك يا ابت هذا تاويل رؤياي من
قبل يعني تصديق الرؤيا التي رايت في حال الصغر قد جعلها ربي حقا يعني في اليقظة واختلفوا
فيما بين رؤياه وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال
ابو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست
وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون وقال عبد الله بن شوذب سبعون سنة وقال الفضيل
ابن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان
عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام
مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة
وقوله وقد احسن بي يعني الي يقال احسن بي والي بمعنى واحد ۝ اذ اخرجني من السجن انما ذكر انعام الله
عليه في خروجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته
بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه
من الجب وسبب ذلك ان خروجه كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا

لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم
نعمة عليه وجاء بكم من البدو يعني من البادية واصل البدو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد
يعني يظهر والبدو خلاف الحضر واهل البادية خلاف اهل الحضر وكان يعقوب واولاده اصحاب مواشي فسكنوا
البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ
دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف
اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان
والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان
كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في
الحقيقة قيل لو كان فيها الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره لكن للشيطان
فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذكرنا قدر الله اياه على ذلك ان ربي
لطيف لما يشاء يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر
باللطف عما لا يدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق
الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اي حسن الاستخراج تنبيها
على ما اوصل اليه يوسف حيث القاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول
الفرق وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيبة الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث حصل
ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه انه هو العليم بمصالح عباده الحكيم في جميع افعاله
قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين
سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده
حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه السلام بمصر فعل
يوسف ما امره به ابوه فحمل يوسف جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص
اخو يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا واربعين سنة فلما
دفن يوسف اباه رجع الى مصر قالوا فلما جمع الله شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا
زايل سريع الفناء لا يدوم سال الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال رب اي يا رب قد اتيتني
من الملك يعني ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك اخر والملك
عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير وعلمتني من تاويل الاحاديث يعني تعبير
الرؤيا فاطر السموات والارض يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال
فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق اوجده وابدعه انت وليي يعني انت معيني ومتولي
امري في الدنيا والاخرة توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة
في الحال ام لا على قولين احدهما انه سال الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يتمن احد من الانبياء
الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفي والقول الثاني انه
سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذا سنين كثيرة
فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام
وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ

صالح

صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها فانية زايلة سريعة
الذهاب وان نعيم الاخرة دايم لا نفاد له ولا زوال ولا يمتنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت
لضر نزل به فان تمني الموت عند وجود الضرر ولا البلاء مكروه والصبر عليه اولى وقوله والحقني
بالصالحين اراد بدرجة الانبياء وهم ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام قال علماء
التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين وفي التورية مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امراة
العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة
وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل
من حجارة المرمر وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء
بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم راوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل
بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب
الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل
وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان اخرجه موسى عليه السلام وحمله معه حتى دفنه
بقرب ابايه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكرت لك يا محمد من
قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار له الملك بعد الرق من انباء الغيب يعني من اخبار
الغيب نوحيه اليك يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية
دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد
اخر غير بلده الذي نشا فيه وانه صلى الله عليه وسلم نشا بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة
الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة علم بذلك ان الذي اتى به هو وحي ونور
قدسي سماوي فهو معجزة له باقية الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعني وما كنت يا محمد
عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم يعني حين عزموا على القاء يوسف في الجب وهم يمكرون يعني بيوسف
وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت
على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف على
اخبرهم بها على وفق ما عندهم في التورية لم يسلمون فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم
لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له وما تسئلهم عليه من اجر يعني على تبليغ الرسالة
والدعاء الى الله من اجر يعني اجرا وجعلا على ذلك ان هو الا ذكر للعالمين يعني ما هو يعني القران
يعني عظة وتذكير للعالمين وكاين من اية يعني كم من اية دالة على التوحيد في السموات والارض يمرون
عليها يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اي لا يلتفتون اليها والمعنى
ليس اعراضهم عن هذه الايات الظاهرة الدالة على وحدانية الله باعجب من اعراضهم عنك يا محمد
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض
قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس
انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه انها نزلت

في تلبيتهم مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك وقال عطا هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا في الدعا
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم
وقال قتاده وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة يعني
فجاة وهم لا يشعرون يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم قل
قل يا محمد لهولاء هذه سبيلي يعني طريقتي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام
وسمي الدين سبيلا لانه الطريق المودي الى الثواب والجنة ادعو الى سبيل ربك الله يعني الى توحيد
الله والايمان به على بصيرة يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل
انا ومن اتبعني يعني ومن امن بي وصدق بما جيت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد
قال حق على من اتبعه وامن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن ثم الكلام عند قوله الى الله
ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند
الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم محمد م
ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرايقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم وقوله وسبحان الله اي
وقل سبحان الله يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركا والاضداد
والانداد وما انا من المشركين يعني وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله غيره قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملايكة
نوحي اليهم هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا
اليك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك من اهل القرى يعني
انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل
البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النسا وقيل انما لم يبعث
الله نبيا من البادية لغلظهم وجفايهم افلم يسيروا في الارض يعني هولا المشركين المكذبين
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر
هولاء ويحذرهم من عذابنا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يعني فعلنا هذا باوليانا واهل
طاعتنا ان انجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة خير لهم يعني لاهل الخير
من الدنيا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي هي لان العرب تضيف الشي الى نفسه
كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه افلا تعقلون يعني فتتفكرون وتعتبرون
فتومنون قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل قال صاحب الكشاف حتى متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا
استياسوا عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف الابتدا يستانف بعدها

ومعنى استياس الرسل ايس من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي
كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراة على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم
فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك ومنه قوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراة للمرسل اليهم
التقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم لم يومنوا بهم نزل بهم العذاب
وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم
وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شيت قلت ان ذكرهم قد
جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الذين
من قبلهم مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس
انه قال حتى اذا استياس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا
من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم
الايمان اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي
كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاوهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاهم نصرنا فجاة من غير احتساب
وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا
بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب
الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب
من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح
احد الجانبين على الاخر فغير جايز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس
بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابي بكر الانباري انه قال هذا غير
معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس لانه من متاول تاوله
عليه والاخرى ان قوله جاهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا
رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطا عظيما لا يستحقون ظفرا
ولا نصرا او تنزيه الانبيا وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا
الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه
ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعني وايقنوا
يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى
قول قتاده وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان
يصدقوهم وظنوا ان من امن بهم قد كذبوهم في وعد الظفر والنصر لتاخيره من قومهم قد فارقوهم
وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلا واستبطاء النصر فاتاهم النصر وعلى هذا القول الظن

بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من امن لهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان من امن
لهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لابطائه وتاخره عنهم وطول البلا بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلاً وقيل ان هذا
التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت ذلك لبطو
النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين حمل
الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة ابن الزبير انه سال عايشة عن قوله تعالى حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم
وما هو بالظن فقالت يا عروة اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله
لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى اذا استيئست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا
ان اتباعهم كذبوا جاهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال
قال ابن عباس حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك
وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير
فذكرت ذلك له فقال قالت عايشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شي قط الا علم انه كاين
قبل ان يموت ولكن لم يزل البلا بالرسل حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم يكذبونهم وكانت
تقروها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى جاهم نصرنا يعني جا نصر الله النبيين فنجي من نشا
يعني عند نزول العذاب بالكافرين ننجي المومنين المطيعين ولا يرد باسنا يعني عذابنا
عن القوم المجرمين يعني المشركين قوله تعالى لقد كان في قصصهم يعني في خبر يوسف واخوته
عبرة اي موعظة لاولي الالباب يعني يتعظ بها اولوا العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة
الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة الشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل
والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب بعد
القايه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة
الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار
دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال
في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص
وان فيها عبرة لمن اعتبر بها ما كان حديثا يفترى يعني ما كان هذا القرآن حديث يفترى
ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه
لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلما ثم انه جا بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة
من السما من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما
في التوراة من ذكر قصة يوسف وتفصيل كل شي يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شي تحتاج
اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه
العباد في امر دينهم ودنياهم وهدى يعني الى كل خير ورحمة يعني انزلناه رحمة لقوم يومنون الاهم لم

الذين

الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد وهي مكية

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه
قال الحسن وسعيد بن جبير وعطا وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ايتين احدهما قوله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول
الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس
انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر الايتين وقال بعضهم المدني
منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاثة وقيل خمس واربعون اية وثمانمائة
وخمس وخمسون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وستة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

المر قال ابن عباس معناه انا الله اعلم وارى وروى عطا عنه المر قال معناه انا الله الملك
الرحمن تلك ايات الكتاب الاشارة بتلك الى ايات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة
اي ايات السورة المسماة بالمر والمراد بها الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى والذي
انزل اليك يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك
الاخبار والقصص التي قصصتها عليك هي ايات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة
المنزلة والذي انزل اليك يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك يا محمد الحق اي هو الحق
فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة اراد بايات الكتاب القرآن والمعنى هذه ايات الكتاب
الذي هو القرآن ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك
هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض ولكن اكثر الناس لا يومنون يعني مشركي مكة نزلت هذه
الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته وعجايب
قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد جمع عمود وهي الاساطين
والدعايم التي تكون تحت السقف وفي قوله ترونها قولان احدهما ان الروية ترجع الى السماء
يعني وانتم ترون السما مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من
فوقها علاقة تمسكها والمراد بنفي العمد بالكلية قال اياس بن معوية السما مقببة على الارض
مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس
والقول الثاني ان الروية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا
القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسما عليه
مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول هو
الصحيح وقوله ثم استوى على العرش تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية
وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لما خلقا له من المنافع فهما مقهوران يجريان على ما يريد كل يجري لاجل
مسمى يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل
المسمى درجاتها ومنازلها يعني انهما يجريان في منازلها ودرجاتها الى غاية ينتهيان اليها ولا

وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة
والبطوء في الحركة ۞ يدبر الامر يعني ان الله تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه بقضيته بمشيته وحكمته
على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل
على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه
وقدرته ۞ يفصل الايات يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان
الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات وما
فيها من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات
الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال
هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته ۞ لعلكم بلقاء ربكم توقنون يعني انه
تعالى ذكر هذه الدلايل الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقايه والمصير اليه بعد
الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين
صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك
يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى وهو الذي مد الارض لما ذكر الدلايل الدالة على
وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلايل
الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي والله هو الذي مد الارض وبسطها على وجه الماء وقيل
كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض مسطحة كالاكف
وعند اصحاب الهيئة ان الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد
ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها
وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة ۞
وجعل فيها يعني في الارض ۞ رواسي يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه
غيره قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض ۞ وانهارا يعني وجعل في الارض انهارا
جارية لمنافع الخلق ۞ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين احمر واصفر
وحلوا وحامضا ۞ يغشي الليل النهار يعني يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء
النهار ۞ ان في ذلك لايات اي لدلالات ۞ لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع
وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر
قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في الاء الله ولا تفكروا
في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك
لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها قوله عز وجل
وفي الارض قطع متجاورات يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه
طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ۞ وجنات يعني بساتين
والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض

واليه الاشارة بقوله من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعها اصل
واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل واحد ۞
وغير صنوان هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير صنوان المتفرق ۞ يسقى بماء واحد يعني
اشجار الجنة وزروعها والماء جسم رقيق مايع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح
۞ ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعوم ۞
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل
والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم
وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة
في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورة فينزل عليها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها
وشجرها وتخرج نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء مالحا قيل
انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من ادم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم
فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القران احد
الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكرت ۞ لايات لقوم يعقلون يعني
فيتدبرون ويتفكرون في الايات الدالة على وحدانيته قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم
العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل
بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه
تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد
ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين بل اعجب امرهم وقيل
معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى
خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال فعجب
قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشاة الاخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء
الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت فقد انكروا القدرة
وان الله على كل شيء قدير ومن انكر فهو كافر مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان
الاعادة اهون من الابتداء وهذا موضع التعجب وهو قولهم ۞ ائذا كنا ترابا يعني بعد الموت ۞ ائنا لفي
خلق جديد يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم ۞ اولئك
الذين كفروا بربهم وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان
من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن انكر هذا فهو كافر ۞ واولئك
الاغلال في اعناقهم يعني يوم القيمة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل
اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيمة كما يقاد الاسير الذليل بالغل ۞ واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ۞ ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وذلك ان
مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان

هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ○ وقد خلت من قبلهم المثلات يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا لمن يرتدع غيرها به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان ○ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا ○ وان ربك لشديد العقاب يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ○ ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا اي هلا ○ انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه يعني مثل عصى موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقنعوا بما راوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ○ انما انت منذر اي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس اليك من الآيات شيء ○ ولكل قوم هاد قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل وقال ابو صالح الهادي هو القايد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات اخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص واحد او اثنين او اكثر ○ وما تغيض يعني وما تنقص الارحام ○ وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المراة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهر فان رات خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذاء والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال حماد بن سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين ○ وكل شيء عنده بمقدار يعني بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل ان الله تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه ان الله تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره ○ عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والمشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس ○ الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال ○ المتعال يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزهه عن جميع

النقائص

النقائص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو منكم من اخفى القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ○ ومن هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمته ○ وسارب بالنهار اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار اري الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيته اذا كتمته ○ وسارب بالنهار اي متوار داخل في سرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما اضمرته القلوب او نطقت به الالسن وسواء من اقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل ○ له معقبات يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان كان الملائكة ذكورا لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال له اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه وان تجبر على الله وضعه وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدع يدخل فيه شيء من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله واذنه ما لم يجيء القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه مما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء ياتيه يريده الا قال له الملك وراءك الا شيء ياذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات قال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه

ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر
ابن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال
اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان
اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا
يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين
وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث
يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل
تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان عامر قد اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل
عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر
يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال
يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية
فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه
فقال غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء
ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك
الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب واجراه
حتى مات على ظهره واجاب الله عز وجل دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل
فمات بالطعن واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شان هذه القصة
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني
ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي
بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات
من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله ان الله لا يغير ما بقوم خطاب لهذين
عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم الله عليهم
حتى يغيروا ما بانفسهم يعني من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند
ذلك يحل نقمته بهم وهو قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا يعني هلاكا وعذابا فلا مرد له يعني
لا يقدر احد ان يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره وما لهم من دونه من وال يعني وليس من
دون الله من وال يلي امرهم ويدفع العذاب عنهم قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية

من

من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني والله الذي
يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان
عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر
بالمطر كالمسافر ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له
في نزول المطر نفع كالزارع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه
والطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا مطرت قحطت واذا لم تمطر
اخصبت وينشئ السحاب الثقال يعني بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها
فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل ١
السحاب الغيم فيه ماء او لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل
السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره الماء او لانجراره في سيره ويسبح
الرعد بحمده اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع
منه تسبيحه واورد على هذا القول انه عطف عليه قوله والملائكة من خيفته واذا كان
المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون
الرعد اسم ملك من الملائكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته
وجبريل وميكائيل قال ابن عباس اقبلت اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا
عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها حيث شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب حتى ينتهي حيث امر
قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب
يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا واراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب لها
وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب قال ابن عباس
من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده وهو على كل شي قدير فان اصابه
صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان هذا الوعيد لاهل الارض شديد وفي ا ع م
بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت
عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
انه قال الرعد موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحوز الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح
الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل
ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد تسبيح لله عز وجل
لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص فكان وجود
هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود موجود خالق قادر متعال
عن جميع النقائص والالام يكون ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شي الا يسبح بحمده

وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من
خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهولا الملائكة
اعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملائكة فهم خائفون خاضعون
طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى ه ويرسل الصواعق جمع صاعقة
وهي العذاب النازل من البرق فيحرق من يصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو
ثم تكون فيه نار او عذاب او موت وهي في ذاتها شي واحد وهي الاشيا الثلاثة تنشا منها
فيصيب بها يعني بالصواعق ه من يشا يعني فيهلكه بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن
علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر ه وهم يجادلون في الله يعني
يخاصمون في الله وقيل الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت
الحبل اي احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم
ربك امن در ام ياقوت ام ذهب فنزلت صاعقة من السما فاحرقته وسئل الحسن عن
قوله ويرسل الصواعق الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم
نفرا من اصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني
اليه مم هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رايت رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا
اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا وقال اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه
فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيا بل قال اخبث فقال ارجعوا
اليه فرجعوا اليه فبينا هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيا اذ ارتفعت
سحابة فكانت فوق روسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس
عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم استقبلهم نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم
احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قال قد اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشا وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل هي واو الحال فيكون
المعنى فيصيب بها من يشا في حال جدالهم في الله وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة
وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا
اذا اراد به سوا وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل
اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه
حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من الحول والحيلة والميم زائدة ثم
اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة
وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد
القوة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر

انه اشد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق يعني لله دعوة الحق الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد
وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما
ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة
على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تدعى فيستجيب
الدعوة ويعطي الداعي سواله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع فيه ولا يجدي دعاوه
الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن
الحسن الله هو الحق وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الاية الدعا بالاخلاص
والدعا الخالص لا يكون الا لله تعالى ه والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم الهة
من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها ه لا يستجيبون لهم بشي يعني لا يجيبونهم بشي يريدونه
من نفع او دفع ضر ان دعوهم ه الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه يعني الا استجابة
كاستجابة الما لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط
كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا
يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى
دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الما بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم
تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الما ناشرا اصابعه
لا يكون في يده منه شي ولا يبلغ الى فيه منه شي وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي
يرى الما بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه بلسانه فلا ياتيه ابدا هذا
معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير وهو عديم الحبل
فلا هو يبلغ الى قعر البير ليخرج الما ولا الما يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الما
ودعاوه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس
كالعطشان اذا بسط كفيه في الما لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الما ولا الما يبلغ
فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام
حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله ه وما دعاء الكافرين يعني عبادتهم ه
الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية
لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة

وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه
الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملايكة ومن في الارض يعني المومنين طوعا وكرها يعني من المومنين
من يسجد لله طوعا وهم المومنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المومنين وليسوا
منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم
وعبادتهم خوفا من المومنين الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان
جميع الملايكة والمومنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار
من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن
في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود
الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس او جن فانهم يقرون
لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات
والارض ساجد لله بهذا المعنى وبهذا الاعتبار لان قدرته ومشيته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون
له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو والغدوة والغداة من اول النهار قبيل الى نصف
النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل وهو العشية والاصال العشايا
جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سوا كان
المومن او الكافر قال مجاهد ظل المومن يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جا في التفسير ان الكافر
يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما
تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها
من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر
لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما فصل
وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه
السجدة والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون
غير الله من رب السموات والارض اي قل يا محمد يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما
فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك لذلك
فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا
اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل الله اي قل يا محمد الله وقيل انما جا السوال والجواب من
جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شي فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين
افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب
السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا
ضرا فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمومن الذي يعبد الله
فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن والمعنى كما لا يستوي الاعمى

والبصير

والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمومن وكما لا يستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر
بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركا هذا استفهام انكار يعني اجعلوا لله شركا
خلقوا كخلقه يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم
من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم
بقوله ام جعلوا لله شركا خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله عندهم وهذا استفهام
انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المتفرد بخلق
ساير الاشيا والشركا مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا
كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله قل الله خالق كل شي اي قل يا محمد لهولا المشركين الله خالق
كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شي من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى
شي وهو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو الواحد المتفرد بخلق الاشيا كلها القهار لعباده
حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته قوله عز وجل انزل من السما ما لما شبه الله عز وجل
الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى
انزل من السما ما يعني المطر فسالت اودية بقدرها اودية جمع واد وهو المنفرج بين الجبلين
يسيل فيه الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال الما في الوادي فهو كما يقال
جرى النهر اي جرى الما في النهر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملاها
وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ملاها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل
لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون
واد فلهذا السبب جا هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما يعني قرانا وهذا
مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع
للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب
بالاودية لان الاودية تستكن فيها الما وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والمعرفة ببركة نزول
القران فيها وهذا خاص بالمومنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القران ق عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا
فكانت منها طايفة طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت
الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك
ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع
بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وغيره في
معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فمهموز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله وكان
منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والباء كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب
على غير قياس وقيل هو جمع اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولا يسرع فيها
النضوب وفي رواية الهروي اخاذات بالخا المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي يمسك الما
وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من

الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله روي
بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه الفهم في الاحكام واما معنى الحديث وهو مقصوده فان
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلماء الارض ثلاثة انواع
وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب
فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى والعلم
فيجيء به قلبه فيحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلم بما رزقت من صفاء الفهوم
النوع الثاني من انواع الارض ارض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك
الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام
ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذه منهم فينتفع
به هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث
من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا
ينفعون غيرهم والله اعلم وقوله تعالى فاحتمل السيل زبداً الزبد ما يعلو على وجه الماء عند
الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من
ذلك الماء زبداً رابياً يعني عالياً مرتفعاً فوق الماء طافياً عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر
فقال تعالى ومما توقدون عليه في النار الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد ثم جعل تلك النار تحت
الشيء ليذوب ابتغاء حلية يعني لطلب زينة والمقصود من هذا ذكر ما يذاب بالنار وهو الذهب والفضة وان لم
يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما او متاع يعني او لطلب متاع آخر مما ينتفع به
كالحديد والنحاس والرصاص ونحوها مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به كالحديد والنحاس
والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع
زبد مثله يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا اذيب فله ايضاً زبد مثل زبد الماء فالصافي من
الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي
لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر
الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله فاما الزبد فيذهب
جفاء يعني ضائعاً باطلاً والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد الى جنباته وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت
الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب واما ما ينفع الناس يعني الماء
الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب فيمكث في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك
يضرب الله الامثال قال اهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا
في وقت من الاوقات على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله
كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصافي من هذه الجواهر
يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل
فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل المؤمن

والمتق

واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد
الذي لا ينفع البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد وعلى ما قسم لها في
الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شيء فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور اذا سال وادي
قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب
جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب البواطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق
وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى قيل اللام
في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى
ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك
يضرب الله الامثال تم استانف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين
يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الحاصلة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع
والذين لم يستجيبوا له يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وماتوا عليه لو ان لهم ما في الارض جميعاً
ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة اولئك يعني الذين
لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله
لا يغفر له منه شيء ومأواهم يعني في الآخرة جهنم وبئس المهاد يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة
وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش لهم في جهنم قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من
ربك الحق فيؤمن به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن
ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام
وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو حمزة او عمار والثاني هو الاعمى وهو ابو جهل وحمل
الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصاً والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره
الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر
والجاهل لا يهتديان لرشد وهما واقعان في المهالك انما يتذكر اولوا الالباب يعني انما يتعظ ذوو
العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار قوله عز وجل الذين يوفون
بعهد الله يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته
حالاً بعد حال وقيل اراد بالعهد هنا ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق
ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به فهو تاكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون ما
امر الله به ان يوصل قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصلون بينهم بالايمان بهم ولا
يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من
اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال ابتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه
وينسأ له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مع الاهل والاقارب والاحسان

وهذه القطع قوله وأن ينسأ له في أثره الأثر هنا الأجل وسمي الأثر أجلاً لأنه تابع للحياة وسابقها
ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الأجل وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله له في عمره فكأنه قد زاد
فيه والثاني أن يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم
فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى ويخشون
ربهم يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية
خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ويخافون سوء الحساب تقدم
معناه والذين صبروا يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب
وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع (في الهامش: تركهم)
المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل
جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس على ما
يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما
ذكروا إنما قيد الصبر بقوله ابتغاء وجه ربهم لأن الصبر ينقسم إلى نوعين الأول الصبر المذموم وهو أن
الإنسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع
وقد يصبر لئلا يشمت به الأعداء فكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلاً تحت قوله
ابتغاء وجه ربهم لأنها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو أن يكون الإنسان صابراً لله راضياً
بما نزل به من الله طالباً في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله
ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه وأقاموا الصلاة يعني الصلاة
المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها إتمام أركانها
وهيئاتها وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فإن لم يتهم
بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها سراً وإن كان متهماً بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها علانية
وقيل المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه إلى الإمام وقيل المراد بالسر صدقة
التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى ويدرءون بالحسنة السيئة
قال ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيء وهو معنى قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات
ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عملت سيئة فاعمل
بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع
ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى تخرج إلى الأرض
وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير (في الهامش: الشر)
وقال القتيبي معناه إذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة

ردوا عليهم رداً معروفاً وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال
عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت إنما هي تسع خلال فيحتمل أنه عد
خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين لها من الثواب فقال
تعالى أولئك يعني من أتى بهذه الأعمال لهم عقبى الدار يعني الجنة جنات عدن يعني بساتين إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به (في الهامش: جنات عدن)
يدخلونها يعني الذين تقدم وصفهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يعني من صدق من آبائهم
بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج إن الإنسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة
فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي
والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله
الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم
الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به إذ كل من عمل صالحاً في عمله فهو
يدخل الجنة قال الإمام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة
وزوجة ولعل الأولى من مات عنها أو ماتت عنه وما روي أنه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم
طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء أن تحشر في جملة أزواجه
كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من أبواب الجنة
وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد بالتحية من الله والتحف والهدايا سلام عليكم
يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول هاهنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم
الله من الآفات التي كنتم تخافون منها وأدخلكم بما صبرتم في الدنيا على الطاعات وترك المحرمات (في الهامش: داره)
وقيل إن السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثواباً للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم
دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار
كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم
وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفاً عليه قال إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا
دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة
الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن
فيقول للذي يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن
ائذنوا له فيقول الذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل
فيسلم ثم ينصرف فنعم عقبى الدار يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم العقبى الدار التي
أنتم فيها والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من
الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين
ينقضون عهد الله ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لأنهم الذين نقضوا عهد الله
من بعد ميثاقه وخالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما وثق على أنفسهم من الاعتراف
والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة
ويفسدون في الأرض يعني بالكفر والمعاصي أولئك يعني من هذه صفته لهم اللعنة يعني الطرد عن

عن رحمة الله يوم القيمة ولهم سوء الدار وهي النار لان منقلب الناس في العرفة الى دورهم ومنازلهم فالمومنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحيوة الدنيا يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام وما الحيوة الدنيا يعني بالنسبة الى الاخرة الا متاع اي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر يستمتع بها ثم تذهب كذلك الحيوة في الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد اية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى فلاية قل لهم يا محمد ان الله يضل من يشاء فلا ينفعه نزول الايات وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله ويهدي اليه من اناب يعني ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من قوله اناب وتطمئن قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقران والطمانينة لقلوب المومنين والطمانينة والسكون انما يكونان بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المومنين وتستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكن قلوب المومنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل والطمانينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمانينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت الوعيد لله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية اخرى عنه ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال ابرهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى فعلى من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كلما استطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها قال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره البغوي بهذين الحديثين بغير سند وروي بسنده موقوفا

عاص

على ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التورية على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله بن شهر بن حوشب عن ابي امامة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى وحسن ماب يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم يعني كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبياء من قبلك الى امم قد خلت ومضت لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك يعني لتقرا على امتك الذي اوحينا اليك من القران وشرايع الدين وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الالهة وهو يدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى قل اي قل يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت يعني عليه اعتمدت في اموري كلها واليه متاب يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل ابن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبحن معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا فان عيسى كان يحيي ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي فاذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض يعني شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى باحيائها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرانا فعل به كذا وكذا لكان هذا القران نظيره كقول الشاعر

فاقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اراد لو شيء اتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقال

عن امرك ... اومن ... ما ...

اخرون جواب لو تقدم تقديره الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يومنوا به لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا
اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ثم قال تعالى
بل لله الامر جميعا يعني في هذه الاشيا وفي غيرها ان شا فعل وان شا لم يفعله افلم ييأس الذين امنوا قال
اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه
اللفظة فقال الليث وابو عبيدة الم ييأس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر اقول لهم بالشعب
اذ ياسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم معنى الم يعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر الم
ييأس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العشيرة نائيا يعني الم يعلم الاقوام وقال قطرب
ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشي وتيقنك
به يأيسك من غيره وقيل لم يرد ان الياس في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان ياس الذين امنوا
من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفايه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما
وجدت العرب تقول يئست علمت قال وهذا الحرف في القران من الياس المعروف لا من العلم بمعنى م
وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الايات اشراب المسلمون لذلك وارادوا
ان يظهرها ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هولا ويعلموا
علما يقينا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان
معناه افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هولا لان الله لو يشا لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى
الاية قولان احدهما ان ياس بمعنى علم والقول الثاني انه من الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك
اهل السنة بقوله ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشا هداية جميع الخلق ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا يعني من الكفر والاعمال الخبيثة قارعة اي نازلة وداهية
تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس
اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل يعني السرية او
البلية قريبا من دارهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم حتى ياتي وعد
الله يعني بالنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيمة
لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب النبي صلى
الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل ولقد استهزي
برسل من قبلك وذلك ان كفار مكة انما سالوا هذه الاشيا على سبيل الاستهزا فانزل الله هذه الاية
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزا فكذلك قد استهزي
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة ثم اخذتهم يعني بالعذاب
بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار فكيف كان عقاب يعني
فكيف كان عقابي لهم افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت يعني افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما
عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابه
محذوف تقديره كمن ليس بقايم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره

العجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركا يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها
لله شركا قل سموهم يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد ام تنبئونه يعني
ام تخبرون الله بما لا يعلم في الارض يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا
للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريكا ام
بظاهر من القول يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل
معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته بل زين للذين كفروا مكرهم قال ابن عباس زين
لهم الشيطان الكفر انما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان
القا الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل عليه سياق الاية
وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله وصدوا عن السبيل قري بضم الصاد ومعناه
صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى
وقري وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان ومن يضلل الله فما له من
هاد الوقف عليه بسكون الدال وحذف اليا في قراة اكثر القرا لهم عذاب في الحياة يعني بالقتل
والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم ولعذاب الاخرة اشق يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ
الامر على النفس وشدته بما يكاد يتصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو
الصدع وما لهم من الله يعني من عذاب الله من واق يعني من مانع من عذابه قوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دايم يعني
لا ينقطع ابدا وظلها يعني انه دايم ابدا لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه بقول
ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل على حركات اهل الجنة لا تنتهي الى سكون دايم كما يقوله ابو
الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل
انها لو كانت مخلوقة لوجب ان يفنى وينقطع اكلها لقوله كل شي هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة
مخلوقة لقوله اكلها دايم يعني لا ينقطع قال ولا ننكر ان يكون في السموات جنان كثيرة يتمتع بها
الملايكة ومن يعد حيا من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روي في الاثار الذي يذهب اليه
ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من ايتين احدهما
قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دايم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على
هذين العمومين سقط دليلهم فتخصص هذين الدليلين بالدلايل الدالة على ان الجنة مخلوقة
منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى تلك
عقبى الذين اتقوا يعني ان عاقبة اهل التقوى هي الجنة وعقبى الكافرين النار يعني في الاخرة
قوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك من ربك في المراد بالكتاب
قولان احدهما انه القران والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت مدة نزول القران
ومن الاحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود

والنصارى من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن جملة لانهم
كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن جملة لانه قد ورد
فيه اثبات الله تعالى واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني ان المراد
بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام
واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلثون من الحبشة وعشرة ممن
سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى
وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في الابتداء فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه
من اهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في
القرآن فرحوا بذلك فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من
ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما
قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن قل اي قل يا محمد انما امرت ان اعبد الله
يعني وحده ولا اشرك به اليه ادعو يعني الى الله والى الايمان به ادعو الناس واليه مآب يعني مرجعي يوم القيمة وكذلك اليه
انزلناه حكما عربيا اي كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا
بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما
كان القرآن سبب الحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن
والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى ولئن اتبعت اهواءهم قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائه فتوعده الله تعالى على اتباع اهوائهم في ذلك وقال ابن السائب
المراد به متابعة آبائهم في الصلاة الى بيت المقدس بعدما جاءك من العلم يعني بانك على الحق وان
قبلتك هي الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم
على تبليغ الرسالة والقيام باوامره ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم
قدرا واعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ما لك من الله من ولي ولا واق يعني
من ناصر ولا حافظ قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك روي ان اليهود وقيل المشركين
قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا
لو كان كما يزعم انه رسول من الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة
وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد وجعلنا لهم ازواجا وذرية
فانه قد كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان
لابيه داود عليه السلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك وتجعلونه قادحا
في نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا
يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله هذا جواب لبعض الشبه
وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير
هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر

فالهم

فالهم ان يقترحوا عليه شيئا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل
فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها لكل اجل كتاب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول
العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله فاجاب الله ان لكل قضاء قضاه كتابا
قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتابا قد اثبته
فيه وقيل في الاية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب
منها وقت ينزل فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر اصحابه بامر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله
من تلقاء نفسه فاجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن
جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من
ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة
والشقاوة ويدل على صحة هذا القول ما روي عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله
فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك
ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلم ق عن ابن مسعود حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات
يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل
النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل عمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان
الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا يتغير عما قدره الله وعلمه في الازل
فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقي سعيدا
وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث
وبين قوله يمحو الله ما يشاء قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق
وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين
جا ٢ استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
فدل ذلك على ان الآجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة الصحيح
منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الآخرة
وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انه بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح
المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فانه ان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم

الله في الازل ما سيقع من ذكر وهو معنى قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت فهو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوق من نقص
الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينتقل
من الشقاوة الى السعادة وكذلك العاصي ويمحو وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد
يرتد المسلم والعياذ بالله فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا
الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم
واصل المحو ذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الاية على ظاهرها فجعلها
عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة
والشقاوة والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود قالا يمحو السعادة والشقاوة
ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول
اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة فامحني واثبتني في
اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود
وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلثين سنة هكذا
ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك
وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي
لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الاية على الخصوص في
بعض الاشياء دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا
عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني آدم واقوالهم فيمحو الله من ديوان
الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو
ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب او عقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله
حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله
ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو
في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء اجله فيذهب به ويثبت من لم
يجئ اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها
وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو
الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن القمر
اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في
اول كل سنة حكمها فاذا مضت محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا
ويثبت الاخرة وقيل هذا في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء
والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن
الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا

يمحو

يمحو الا شيئا ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر مسئلة استدلت الرافضة
على مذهبهم في البداء بهذه الاية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيئا ثم يظهر له خلاف ما
اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل
لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير
والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى وعنده
ام الكتاب يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ ام
الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه نسخت الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب
اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله ما يشاء منه ويثبت ما يشاء وام
الكتاب الذي لا يغير شيء منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة
خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة
يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال
علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون قوله وان ما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم
يعني من العذاب او نتوفينك يعني قبل ان نريك ذلك فانما عليك البلاغ يعني ليس عليك
الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ وعلينا الحساب يعني وعلينا
ان نحاسبهم يوم القيامة فنجزيهم باعمالهم قوله عز وجل اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها
يعني اولم ير كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا نأتي الارض يعني ارض الشرك
ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد
نقص من دار الشرك والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض
حوالي اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من
المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واخرابا كان ذلك نقصانا في ديارهم
وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده
ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض فنخربها
ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها
وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين
نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم
بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا
قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل
والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال
سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس
وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول المراد الاطراف
العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي
لهذه اللغة بقول الفرزدق واسال بنا وبكم اذا وردت منى اطراف كل قبيلة من يمنع قال يريد اشراف

كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام
فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ان هذا الوجه ايضا لا يليق بهذا الموضع وتقريره ان يقال اولم يروا
ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال
واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة في الدنيا فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء
الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا
يحسن اتصال هذا الكلام بما قبله قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه
والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه
بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب
حكمه احد بتغيير ولا نقض وهو سريع الحساب قال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه
للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب
اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقد مكر الذين من قبلهم
يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان
من حيث لا يشعر مثل مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا
يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وارادته
فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي
هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل
فعلهم ومكروا مثل مكرهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يكون
الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين يعلم ما تكسب كل نفس يعني ان جميع اكتساب العباد
وافعالهم معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه
فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك فكان الكل من الله ولا يحصل شيء الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين وسيعلم
الكفار وقرئ الكافر على التوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين وهم
خمسة نفر من كفار مكة لمن عقبى الدار والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان
العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون
الجنة قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله
امره الله بقوله قل اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين انكروا نبوتك كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
والمراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات
والايات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله ومن عنده علم الكتاب يعني
يشهد على صحة نبوتك يا محمد واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس
انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى
بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما فيشهد بذلك
من شهد به وانكره من انكره منهم وقيل انهم مؤمنو اهل الكتاب يشهدون ايضا على
نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله

ابن سلام

ابن سلام اسلم بالمدينة وقال ابو بشر لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام
فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده
علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يستشهد على
صحة حكمه بغيره وهذا القول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال
يشهد بهذا زيد والفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي
قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من
لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم هذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله اعلم
بمراده

تفسير سورة ابرهيم صلى الله عليه وسلم وهي مكية

سوى قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى اخر الايتين وهي احدى وقيل اثنتان وخمسون اية وثمانمائة
واحدى وستون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الر كتاب انزلناه اليك يعني هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات الى النور يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات
الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل على
ان طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات
الى النور فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو
لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا باذن
ربهم يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به
عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد
الله قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو وقرأ
الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض
يعني ملكا وما فيها عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي
له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في
السموات والارض من عذاب شديد يعني معد لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الاخرة يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة ويصدون عن سبيل
الله اي ويمنعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف
الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء
في ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن بجهة الحرام
اولئك يعني من هذه صفته في ضلال بعيد يعني عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال ذي
بعد او فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين لهم يعني ما يأتون وما يذرون فان قلت

لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً بدليل قوله يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره أنه مبعوث إلى العرب خاصة فكيف يكون وجه الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثاً إلى الخلق لأنهم تبع للعرب ثم إنه يبعث الرسل إلى الأطراف فيترجمون لهم بألسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل أنه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم غيرهم من أجناسهم في عموم الدعوة وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم في ذلك فإذا فهموه وتنوقل عنهم انتشر عنه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير العرب وإذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يعني أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والبيان والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب الحكيم في جميع أفعاله قوله عز وجل ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المراد بالآيات المعجزات التي كانت لموسى عليه السلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور يعني أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وذكرهم بأيام الله قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والنقمة فاجتزأ بذكر الأيام عن ذلك لأن ذلك كان معلوماً عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الأيام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله وقيل بأيام في حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكاً بعد أن كانوا مملوكين إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالآيات وإن كان فيها عبرة للكافة لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولأن الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله إلا لمن يكون صابراً شاكراً أما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم لما أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الأمر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا إنعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم فإن قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت إنما حذفت الواو في سورة البقرة لأن قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول جاءني القوم زيد وعمرو إذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة لأن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير للعذاب ويستحيون نساءكم

يعني

ويذكرهم

يعني يتركوهن أحياء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فإن قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا كان ذلك بلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم لأن البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لأنه موافق لأول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فإن قلت هب أن تذبيح الأبناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء بلاء قلت كانوا يستخدمونهن ويتركوهن تحت أيديهم كالإماء فكان ذلك بلاء وإذ تأذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ومعنى تأذن أذن أي أعلم ولا بد في تفعل زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم يعني نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وها هنا دقيقة وهي أن العبد إذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه وإحسانه إليه اشتغل بشكر تلك النعم وذلك يوجب المزيد وبذلك يتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات إلى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعم حتى يزيدنا من فضله وكرمه وإحسانه وإنعامه وقوله ولئن كفرتم المراد من الكفر هاهنا كفران النعمة وهو جحودها لأنه مذكور في مقابلة الشكر إن عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولم يشكرها وقال موسى إن تكفروا يعني أنتم يا بني إسرائيل ومن في الأرض جميعاً يعني والناس كلهم جميعاً فإنما ضرر ذلك يعود على أنفسكم وحرمتموها الخير كله فإن الله لغني يعني عن جميع خلقه حميد أي محمود في جميع أفعاله لأنه فيها متفضل وعادل ألم يأتكم نبأ يعني خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطاباً من موسى لقومه والمقصود منه أنه عليه السلام كان يخوفهم الهلاك مثل من تقدم وهلاكهم والذين من بعدهم يعني من بعد هؤلاء الأمم الثلاثة لا يعلمهم إلا الله يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم إلا الله لأن علمه محيط بكل شيء إلا علمه من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله هم أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلاً ومنه قوله وقروناً بين ذلك كثيراً وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس أنه قال بين إبراهيم وعدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم لأنه لا يعلم أولئك الآباء إلا الله وقوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات فردوا أيديهم في أفواههم وفي معنى الأيدي والأفواه قولان أحدهما أن المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا على أيديهم غيظاً قال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل

وردوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني انهم وضعوا
الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم في افواههم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك
وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما
يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم معناه
ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد اي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم
بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد
يده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد اجابوا بالتكذيب وهو قوله
ردوا رسلهم ◦ وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا علم
اليهم لانهم لو اقروا بان الرسل ارسلوا اليهم لكانوا مؤمنين ◦ وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب
يعني موجب للريبة او موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا يطمئن الى الامر الذي يشك فيه
فان قلت انهم قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر او داخل
فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم
في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في ذلك ◦ قالت رسلهم يعني مجيبين لامهم ◦ افي الله شك
يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه ◦ فاطر السموات والارض يعني وهل
تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما ◦ يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني
ليغفر لكم ذنوبكم اذا امنتم وصدقتم ومن صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لكم
ما بينه وبينكم من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ◦ ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الى انقضاء
اجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب ◦ قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ◦ ان انتم اي ما انتم ◦ الا بشر مثلنا يعني
في الصورة الظاهرة لستم ملائكة ◦ تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم هذا
الا صدنا عن الالهة التي كان اباؤنا يعبدونها ◦ فاتونا بسلطان مبين يعني بحجة واضحة بينة على صحة
دعواكم ◦ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا
قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك ◦ ولكن الله يمن على من
يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله يعني وليس لنا مما خصنا الله به من النبوة
وشرفنا به من الرسالة ان ناتيكم باية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك ◦
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في دفع شرور اعدائهم عنهم ◦ وما لنا ان لا نتوكل على الله يعني
ان الانبياء قالوا انا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل
عليه في دفع شروركم عنا ◦ وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق النجاة ◦ وبين لنا الرشد
ولنصبرن لام القسم تقديره والله لنصبرن ◦ على ما اذيتمونا يعني به من قول او فعل ◦ وعلى
الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت
نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في
التثبت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى

وقال

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
ايها الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على
ملتهم في اول الامر حتى يعودوا اليها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب
وفيه وجه اخر وهو ان الانبياء عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم
اظهروا لهم المخالفة فدعوهم الى الله قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم
واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشئوا على التوحيد لا يعرفون غيره ◦ فاوحى اليهم
ربهم يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله واوليائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات ◦ لنهلكن
الظالمين يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ◦ ولنسكننكم الارض من بعدهم يعني من
بعد هلاكهم ◦ ذلك يعني ذلك الاسكان ◦ لمن خاف مقامي يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة
فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها فهو كقولهم ندمت
على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله ◦ وخاف وعيد اي وخاف عقابي قوله عز وجل
واستفتحوا يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء
الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك
انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب ◦ وخاب يعني
وخسر وقيل هلك ◦ كل جبار عنيد الجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء
منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا
وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على قرينه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله
مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال قتادة هو الذي ابى ان يقول لا اله الا
الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعند ويخالف ◦ من ورائه جهنم يعني
امامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعني انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى
امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سيأتيك ◦ ويسقى يعني في جهنم
من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد
بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله ◦ يتجرعه اي يتحساه ويشربه لا بمرة
واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه ◦ ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه
يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين كاد صلة والمعنى يتجرعه
ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون
الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت
اقوم اي قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها وليس بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه
وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن ابي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه
شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله ووقعت فروة راسه اي جلدة راسه

شبهها بالغزوة للشعر الذي عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت يعني ان
الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابرهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من
جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله
وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها
من جوفه فتنفعه الحياة ومن ورائه يعني امامه عذاب غليظ اي شديد وقيل هو الخلود في النار
قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف هذا كلام مستأنف
منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يتلى عليكم مثل
الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال
سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقال الفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد فحذف
المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب
والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف
وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليل
ماطر لان البرد والحر والمطر يوجد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها
وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه
الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منه شيء وكذلك اعمال
الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي
فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف
وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع
بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم
الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا
ابدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التي عملوها
في الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء
لا ينتفع به وهو قوله لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا على شيء يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يرون
ثواب اعمالهم في الآخرة ذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت
هو الضلال البعيد فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده الم تر ان الله خلق السموات
والارض بالحق يعني لم يخلقها باطلا ولا عبثا وانما خلقها لامر عظيم وغرض صحيح ان يشأ
يذهبكم يعني ايها الناس ويأت بخلق جديد يعني سواكم اطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على
خلق السموات والارض فانه يقدر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق آخرين سواهم كان الاول
لانه القادر الذي لا يصعب عليه شيء وقيل هذا خطاب للكفار يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم يا معشر
خيرا منكم واطوع لله وما ذلك على الله بعزيز يعني بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان
جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم
ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله

والمعنى

والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضاء واورده بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان
معنى الاتباع كل ما اخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود فقال
الضعفاء للذين استكبروا وهم القادة والرؤساء انا كنا لكم تبعا يعني في الدين والاعتقاد فهل
انتم مغنون عنا من عذاب الله يعني دافعون عنا من عذاب الله من شيء من هنا للتبعيض والمعنى هل
تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا قالوا يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين
للتابعين لو هدانا الله لهديناكم يعني لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما اضلنا
دعوناكم الى الضلالة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع
ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص يعني من مهرب ولا
منجى مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام
فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار
بلى يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فردت الخزنة عليهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء
الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم
ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم فقال انكم ماكثون
فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا
فطال صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
يعني ابليس ما لنا من محيص قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر يعني فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة
يقول لهم واهل النار النار اخذ اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق
فيه اضمار تقديره فصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعني الوعد وقيل انهم اني قلت لكم لا بعث
ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما
وعدتكم به الا ان دعوتكم هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم يعني بما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله
وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على
الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى بي اجبتموني يعني من غير حجة ولا دليل ما
انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا
فيه اني كفرت بما اشركتمون من قبل يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرأت من
ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك ان
الظالمين لهم عذاب اليم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتوني فيأذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي
من اطيب ريح شمها احد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي الى ظفر
قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير

الذي

ابليس هو اضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك انت
اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم
وعد الحق الآية وقوله تعالى وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما شرح احوال المؤمنين
السعداء وما اعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة
مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة اشير اليه بقوله خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين احدهما
قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله وانعامه الثاني قوله تحيتهم فيها والرب تعالى
يحييهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة
قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة لما شرح الله عز وجل احوال الاشقياء واحوال
السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى الم تر يعني بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامي
اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون
الخطاب لكل فرد من الناس فيكون المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبها
والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما من الآخر ويصور
وقيل هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء آخر كلمة طيبة هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس
وجمهور المفسرين كشجرة طيبة يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود
وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن
شجرة تشبه او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا تؤتي اكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في
نفسي انها النخلة ورأيت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما
منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيئا فقال لان تكون قلتها احب
الي من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع
الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول
الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية اخرى عنه انها المؤمن وقوله اصلها
ثابت يعني في الارض وفرعها في السماء يعني اعلاها في السماء يعني ذاهبة في السماء تؤتي اكلها كل حين يعني تعطي ثمرها
كل حين باذن ربها يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره
هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة
والحسن ستة اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقال علي بن
ابي طالب ثمانية اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت
يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل ابدا
ليلا ونهارا صيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد
ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطري الرطب فاكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه
الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من اوجه احدها ان كلمة

فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بهذه الكلمة او الملائكة يحيونهم

الاخلاص

الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه
الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك
فرع هذه النخلة عال في السماء الوجه الثالث ان ثمرة هذه النخلة تأتي في كل حين ووقت وكذلك
ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله
صعدت الى السماء وجاءت بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان
في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع راسها تموت كالآدمي بخلاف سائر
الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان
بالشجر على الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قائم وفرع عال
وكذلك لا يتم الايمان الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله تعالى
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني
وتذكير ومواعظ لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الحنظل
قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها
الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء اجتثت يعني استؤصلت وقطعت
من فوق الارض ما لها من قرار يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها اصل ثابت
في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا
لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظل اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح قوله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت لما وصف الله تعالى الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة اخبر في هذه
الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله
في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل
الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله في الحياة الدنيا
يعني في القبر عند السؤال وفي الآخرة يعني يوم القيامة عند البعث والحساب والقول الاول الذي عليه الجمهور اصح
ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم اذا سئل في القبر
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وفي رواية ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال
له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان العبد اذا وضع في قبره وتولى وذهب عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان
له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك
الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع
الى حديث انس واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت

ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم معناه وزاد
في رواية أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس ولفظه أن رسول الله هذا م
صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فإن هداه الله قال كنت
أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسأل عن شيء بعدها فينطلق
به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان لك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني
حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وإن الكافر والمنافق إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره
فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل
فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير
الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت
أو قال إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول
في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا
نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم
فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وإن
كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول
ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه
ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار
فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير
وبيده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين
أو ثلاثا زاد في رواية وقال إن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من
ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان
له وما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما
يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة
وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وإن الكافر فذكر موته
قال وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان
ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري
فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له
بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه زاد في رواية ثم يقيض
له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق
والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود وعن عثمان بن عفان قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت
فإنه الآن يسأل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو

في

في سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكذا أو كذا فأقبل بوجهه فقال إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
وذكر الحديث بطوله وفيه فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا
حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي أخرجه مسلم
بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى إنما يثبتهم في القبر بسبب كثرة
مواظبتهم على الشهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كان مواظبته على شهادة الإخلاص
أكثر كان رسوخها في قلبه فينبغي للعبد المسلم أن يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته
من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكونه فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته
على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل
الله التثبيت في القبر وحسن الجواب والتسهيل بفضله ومنه وكرمه وإحسانه إنه على كل شيء قدير
وقوله تعالى ويضل الله الظالمين يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما
يشاء يعني من التوفيق والخذلان والهداية والإضلال والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع
أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله عز وجل ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا أخرج عن ابن عباس في قوله
ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله قال هم كفار أهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد
نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار قال النار يوم بدر وقال عمرو وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش نحروا
يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم
يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا إلى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه أن الله تعالى لما أنعم على
قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان فاختاروا
الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لأنه
لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعم أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا
قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى جهنم
يصلونها وبئس القرار يعني المستقر وجعلوا لله أندادا يعني أمثالا وأشباها من الأصنام وليس
لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبيه والمثل علوا كبيرا ليضلوا عن سبيله
يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق قل تمتعوا أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار عيشوا في
الدنيا أياما قلائل فإن مصيركم إلى النار يعني في الآخرة قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا
يقيموا الصلاة يعني أقيموا الصلاة يعني الواجبة وإقامتها إتمام أركانها وينفقوا مما رزقناهم قيل او ليعتبوا
أراد بهذا الإنفاق إخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر
وحمله على العموم أولى لأنه يدخل فيه إخراج الزكاة والإنفاق في جميع وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقون
أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية إخراج الزكاة الواجبة
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم ولا خلال
يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا
شراء ولا مخالة ولا قرابة إنما هي الأعمال إما أن يثاب بها أو يعاقب عليها فإن قلت كيف نفى الخلة
في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين

قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة
وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا ترى انه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان يوم
القيمة احوال مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض
اذا كانت المخالة لله في محبته قوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكرها هنا بعض فوايد هذه الآية
الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شي اراده فقوله الله الذي خلق السموات والارض
انما بدا بذكر خلق السموات والارض لانها اعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق
المختار وانزل من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لارتفاعه مشتق من السمو وهو
الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الما
من الثمرات رزقا لكم الثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من
ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره لما ذكر الله انعامه بانزال المطر واخراج الثمرات لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته
على عباده بتسخير السفن لتجري على الما لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها
من بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجري حيث شيتم ولما كان ما
البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمار ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون
لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دايبين الداب العادة المستمرة
دايما على حالة واحدة وداب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دايما
فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضا عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس
دوبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدابان في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة
واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان
الليل وبه يعرف انقضا الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم
الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضيا والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على
عباده وتسخيره لهم ليس بعود ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمراد
انه ما لا ياتي على بعضها العد والحصر والمعنى واتاكم من كل شي سالتموه شيا فحذف الشي الثاني اكتفا
بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوا
لان نعمه علينا اكثر من ان تحصر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر
احد على حصرها والعد لها لكثرتها ان الانسان لظلوم كفار قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الزجاج هو
اسم جنس ولكن يقصد به الكافر لظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر
لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال
شكرها كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا يعني ذا امن يومن فيه واراد بالبلد مكة
فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق
بينهما انه سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها فيها ولا يخافون وسال في الثاني

واتاكم من كل ما سالتموه

لما ذكر الله تعالى الانعام العظيمة التي انعم بها على عباده وسخرها لهم

ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابرهيم دعا ربه
ان يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثاني ان الانبيا
عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفايدة في قوله اجنبني وبني عن عبادتها
الوجه الثالث ان ابرهيم سال ربه ايضا ان يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير
من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب الى ابرهيم عليه السلام قلت الجواب
عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابرهيم عليه السلام
لما فرغ من بنا الكعبة دعا بهذا الدعا والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم
يقدر احد على اخراب مكة واورد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرب الكعبة ذو السويقتين اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا
يعني الى قرب القيمة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين
الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل اهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه اكثر العلما من
المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف
الناس من حولهم واهل مكة امنون من ذلك حتى ان من التجا الى مكة امن على نفسه وماله وحتى ان
الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم استانست لعلمها انه
لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب
عن الوجه الثاني من وجوه ايضا الاول ان دعا ابرهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت
فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى
يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعا هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة
الى فضل الله ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشي لم ينفعه الله به فلهذا السبب
دعا لنفسه بهذا الدعا واما دعاه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات
فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابرهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد احد منهم الوجه
صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعا
ولا شك ان ابرهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي
دعا لمن اذن الله في ان يدعو له فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعا لهم لان دعا الانبيا مستجاب
وقد كان من نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعا من العام المخصوص
الوجه الرابع ان هذا مختص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الآية فمن
تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
وقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة يعني الاصنام
لا تعقل شيا حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول
فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني فانه مني يعني فمن تبعني على
على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر
اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل

معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي في القرب والاختصاص ومن عصاني يعني في غير الدين فانك
غفور رحيم قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون
الشرك فانك غفور رحيم وشرح ابو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع
وعقد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجها
اخر وهو ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهذا يقرر ان ذلك
غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر
فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام والهداية الى الصواب
قوله عز وجل اخبارا عن ابرهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم خ
عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على
سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم
في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء
ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي
ليس فيه انيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت
اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم ثم دعا بهؤلاء الدعوات ثم رفع يديه فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من
ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط
فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترا احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم
سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى
احدا فلم ترا احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي
الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها
وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام
اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت
ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله
وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا
فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء
فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق
لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس
فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية
منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا

ابرهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته اخرجه البخاري بالطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض
ذريتي وهو اسمعيل بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع وهو مكة والواد بين جبلين جبل ابي قبيس
وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره
وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله
محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائرين له
محرمون على انفسهم اشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه عتق من الجبابرة او من
الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابرهيم بعد
ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا فقد كان في سالف الزمان
وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق
علمك انه سيحدث في هذا المكان ربنا ليقيموا الصلاة اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني اسكنت
قوما من ذريتي وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا اي لاجل ان يقيموا او لكي
يقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس قال البغوي جمع الوفد تهوي اليهم اي تحن وتشتاق
اليهم قال السدي امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي افئدة من الناس اي قلوب
جماعة من الناس فحمله جمع فؤاد قال ابن الانباري وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من
الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهري الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلها جارحة واحدة
والفطنة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال افئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك
والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس
فهم المسلمون تهوي اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوي
اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال
ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما اقوال
المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تنزع اليهم وفي هذا
بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بان يرزقهم
حج البيت ودعا لسكان مكة من ذريته لانهم ينتفعون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد
جمع ابرهيم عليه السلام في هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته وارزقهم من الثمرات
يعني كما رزقت سكان القرى وذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك
الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى
اليه ثمرات كل شيء وقوله لعلهم يشكرون يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم
وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعين
بها على اداء العبادات واقامة الطاعات ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني انك تعلم السر كما تعلم
العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا
فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وامه حيث اسكنتهما بواد

غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابرهيم الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء قيل هذا من تتمة قول ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم
الغيب من شيء في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تصديقا لابرهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قال ابن عباس ولد اسمعيل لابرهيم وهو ابن تسع
وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابرهيم باسحق
وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من اعظم المنن
لانه سن الياس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسحق واسمعيل في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسحق
بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابرهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسحق
وذلك انه لما عظمت المنة عليه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اسمعيل واسحق فلا يرد على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقته اسمعيل
وامه لان الذي صح في الحديث انه دعا بما تقدم عنه بقوله رب اني اسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون
اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله اعلم بحقيقة
الحال ان ربي لسميع الدعاء كان ابرهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي
من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما اكرمه به من اجابة دعائه فعند
ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك
كلام فلان اذا اعتد به وقبله رب اجعلني مقيم الصلاة يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها
في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار
لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي واراد بهم المؤمنين من ذريته ربنا وتقبل دعاء يعني سأل
ابرهيم عليه السلام ربه ان يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابرهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ربنا
اغفر لي فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى طلب المغفرة
له من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء من الذنوب فما وجه طلب المغفرة قلت المقصود
منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية
لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف استغفر ابرهيم لابويه وكانا كافرين
قلت اراد ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم
وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وللمؤمنين يعني واغفر للمؤمنين
كلهم يوم يقوم الحساب يعني يوم يبدو ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه
للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى
لا يرد دعاء خليله ابرهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة
سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية

فالمقصود منه انه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم وفيه تهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة
الغافل عنه بل ينتقم منه ولا يتركه مغفلا عنه قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم
الناس به انه غافل حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان المخاطب
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله
غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله يا ايها الذين آمنوا
آمنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا
الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد
والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة
الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير
النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله
فمن جوز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال
شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة
والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة مسرعين وهذا قول
ابي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى
واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الآية ان احوال اهل الموقف يوم القيمة بخلاف الحال المعتاد
فاخبر انهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل
الساكت مقنعي رؤسهم الاقناع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا
رؤسهم الى السماء وهذا خلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال
الحسن وجوه الناس يوم القيمة الى السماء لا ينظر احد الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع
اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم
هواء اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من
افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الآية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة
الخوف وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هواء اي مترددة تهوي في اجوافهم ليس لها مكان تستقر
فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن اماكنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى
السماء من هول ذلك اليوم وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيمة
وهو قوله يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا
اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا
به فينفعهم ذلك وهو قوله نجب دعوتك ونتبع الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا
اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية
كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا اياهم

وضربنا لكم الأمثال يعني الأمثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال
الماضين من الأمم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب
والهلاك قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود إلى الذين سكنوا
في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل إن المراد بقوله
وقد مكروا الكفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله وإذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله وعند الله
مكرهم يعني جزاء مكرهم وقيل إن مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني
وإن مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه أن مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو
ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن أبي طالب في الآية قولا آخر وهو أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج
إبراهيم في ربه فقال نمرود إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى
أربعة أفرخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبرن واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من
أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربعا في أطراف التابوت وجعل على رؤوس تلك الخشبات لحما ثم قعد
هو في التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنسور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور
كلما رأت اللحم طرن إليه فطارت النسور يومها أجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب
الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له إن السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الأسفل
فانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور
يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى ففعل
فإذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريد قال
عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فأخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد إليه
السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر الهواء وقيل طائر أصابه السهم فلما رجع إليه السهم
ملطخا قال كفيت إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات إلى أسفل وينكس اللحم ففعل
فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أن قد حدث
حدث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله وإن كان مكرهم لتزول منه
الجبال استبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال إن الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على
مثل هذا الأمر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر وإعلاء
الكلمة وإظهار الدين فإنه ناصر رسله وأولياءه ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره فلا تحسبن الله
مخلف رسله وعده إن الله عزيز أي غالب ذو انتقام يعني من أعدائه قوله عز وجل يوم تبدل الأرض
غير الأرض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما أنه تبديل لصفة الأرض والسماء
والأرض لا ذواتها فأما تبديل الأرض فتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها
وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها
شيء إلا ذهب وتمد مد الأديم وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها ويطمس شمسها وقمرها وتكون

وكونها

وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روي
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة
النقي ليس فيها علم لأحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة هي البيضاء إلى حمرة وهذا شبهها
بقرصة النقي وهو الخبز الأبيض الجيد الفائق المائل إلى حمرة كأن النار ميلت بياض وجهه إلى الحمرة
وقوله ليس فيها علامة لأحد لتبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل
به والقول الثاني هو تبديل ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا
التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك
فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال
أبي بن كعب في معنى التبديل بأن تصير الأرض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد
ابن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ
أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين
النواوي في شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاي ويجوز إسكان الزاي وهو ما
يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء قال أهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفؤها
بالكف بيده أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا
الكلام في اليد في حق الله تعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شيء ومعنى الحديث
أن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة أو الرغيف العظيم ويكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير
فإن قلت إذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ
تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل
أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا
وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة
قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين
يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حبرا من اليهود سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر
ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب
والله أعلم بمراده وقوله تعالى وبرزوا يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه
للحساب الواحد القهار وصف نفسه تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه
والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريده
وقوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم إلى بعض يقال قرنت الشيء
بالشيء إذا شددته معه في رباط واحد في الأصفاد يعني في القيود والأغلال قال ابن عباس يقرن
كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد يقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي القيود
وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم إلى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل

ماليس من قطران القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتبوت كالزفت يدهن به اذا جرب وهو الهناء يقال
هنأت البعير اهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال
النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب
من قطرآن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره وتغشى وجوههم النار
يعني تعلوها وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب يعني اذا
حاسب عباده يوم القيمة هذا بلاغ للناس يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس
ولينذروا به يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني وليستدلوا
بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من
المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر مكية

باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة واربع وخمسون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك
آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب او بالقرآن المبين
الكتاب الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب
الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا واي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل
اراد بالكتاب التورية والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول
ليس بالقوي لانه لم يجر للتورية والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما
جمع بين وصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي
يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل
وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة رجل
شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب ود يود الذين كفروا وقيل ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود فيه
يتمنى الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يود واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين
كفروا لو كانوا مسلمين على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ
يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك
هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيمة
وشدائده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج
ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا
رأى الكفار ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين
فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج
الله المؤمنين من النار ويدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في
النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين
قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب

فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون منها فحينئذ يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال والى هذا ذهب ابن عباس
في رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم يعني النخعي فان قلت ربما وضعت للتقليل
وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيمة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب
الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل
ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا
لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من
المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد
ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب
لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو
في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قال ربما
ود وقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها
ويلههم الامل يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى فسوف يعلمون
يعني اذا وردوا القيمة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ حظه من الدنيا ولذاتها
ولم يأخذ حظه من طاعة الله عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد اخر فمتى
يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ايثار التلذذ ان
والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المؤمنين قال علي بن ابي طالب انما
اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن
الحق وما اهلكنا من قرية يعني من اهل قرية والمراد هلاك الاستئصال الا ولها كتاب معلوم
اي اجل مضروب ووقت معين لا نتقدم العذاب عليه ولا نتأخر عنه ولا ياتيهم الا في الوقت الذي
حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها من زائدة في قوله من امة كقولك ما جاءني من احد
يعني احدا وقيل هي على اصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك افادة عموم النفي آكد ومعنى
الآية ان الاجل اسم لوقت الموت وهو وقت الموت او نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله وما يستاخرون
وانما دخل الا في اجلها لارادة امة واخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال قوله عز وجل
وقالوا يعني مشركي مكة يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القرآن والمراد به محمدا صلى الله عليه وسلم انك
لمجنون انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي
فظنوا ان ذلك جنونا فلهذا السبب نسبوه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله
وانه اتى بهذا القرآن العظيم انكروه ونسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من
غيره ربما نسبه الى الجنون وقيل انما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون على طريق الاستهزاء
وقيل معناه يا ايها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعائك
الرسالة لو ما تأتينا بالملائكة قال الزجاج والفراء لو ما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا تاتينا بالملائكة يعني
ليشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ان كنت من الصادقين يعني في ادعائك الرسالة

ما ننزل الملائكة الا بالحق يعني بالعذاب او وقت الموت وهو قوله وما كانوا اذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة
اليهم لم يمهلوا ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم
يومنوا ويصدقوا انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن انزلناه عليك يا محمد وانما قال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم
وانا له لحافظون الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي انزلناه على محمد لحافظون يعني من
الزيادة فيه او النقص منه او التغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء
كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة
واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد
محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم
يعني وانا لمحمد حافظون ممن اراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله تعالى
لما ذكر الانزال والتنزيل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه امرا
معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية
الى اقرب المذكور اولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية
حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر
فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانه لو ارادوا الزيادة فيه او النقصان منه لتغير نظمه
وظهر ذلك لكل عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك المراد ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه
وصانه من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال آخرون بل اعجز الله الخلق عن
ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر
الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك
بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين لما تجرى كفار مكة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساوا الادب عليه فاخبر الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار من قديم الزمان مع انبيائهم كذلك فلك يا محمد
اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف
تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في
شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة
الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينتشر عنه فقوله في شيع الاولين
من باب اضافة الصفة الى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ في الطريق
والدخول فيه والسلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب
والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه اي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي قومك
وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين آية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعانده

قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله تعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن
ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الآية
على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه اي كذلك نسلك
الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذه اللفظة
فلا يمكن ان يكون الضمير عائدا اليه واجيب عنه بانه تعالى قال وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال والله اعلم وقوله تعالى لا يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل بالقرآن وقد خلت سنة الاولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل
ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل
من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تاتينا بالملائكة
بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله
بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد والضمير في
قوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انه للملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى
لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار فراوا بابا في السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول
الثاني انه للمشركين وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب
فينظروا الى ملكوت السموات والارض وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا
انما سحرنا وهو قوله تعالى لقالوا انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سدت ابصارنا ماخوذ
من سكر النهر اذا حبس ومنع الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم
حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد
النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكون يقال
سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا
سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة
فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا
ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا
يعني البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنا عشر برجا
وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان
وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة
على ثلاثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تمام
دور الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية بروجا بروج الشمس

والقمر يعني منازلها وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام
قال ابو اسحق يريدون بنجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور
وزيناها يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها
وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شيء وخلقه وصوره وحفظناها يعني السماء من كل شيطان
رجيم اي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت
الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع
فما منهم احد يريد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس
فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا
هذا والله حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث
الا من استرق السمع هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اي لحقه
شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطعة ثم سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق
شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان
الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء ليسترقوا السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ
ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه او جنبه او حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا ادبيوم
يضل الناس في البوادي خ عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء
ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا علم
قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضه
فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته
ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب
قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا
يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء فصل اختلف العلماء
هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انه لم
يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدو امره وكان ذلك اساسا
لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب
لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب
ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال ان اول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي
من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب
فقالوا له الم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم

التي تهتدي

التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم
هي التي يرمى بها فهو هلاك الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي
ثابتة على حالها فهو لامر اراده الله بهذا الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي
صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرها ذكر
الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال
ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب والقول الثاني ان ذلك
كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر
قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله انا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة
هذا القول ما روي عن ابن عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار
انهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا
نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها
لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش
ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح اهل هذه السماء ثم قال الذين يلونه
حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى
يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فيخطف الجن السمع فيقذفون الى اوليائهم ويرمون بها فما جاؤا به على
وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون ويزيدون اخرجه مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان
قبل مبعثه ولكنه لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم
قال بشر بن ابي خازم وهو جاهلي والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما
انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدري يتبعه
نقع يثور تخاله طنبا والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السماء وحراستها صونا
لاخبار الغيوب والله اعلم قوله تعالى والارض مددناها يعني بسطناها على وجه الماء
الماء يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب
الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا
عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح
العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة اجاب اصحاب التفسير
بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم
بمراده وكيف هي الارض والقينا فيها رواسي يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله تعالى لما خلق
الارض على الماء مادت وتحركت فاثبتها بالجبال وانبتنا فيها اي في الارض لان انواع النبات
المنتفع بها تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله من كل شيء موزون

وانبتنا فيها اي من المعادن من كل شي موزون قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال
مجاهد وعكرمة اي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج
اليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشيا
الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشي الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل
ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشيا كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن
والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام
موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض
نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون ايضا
وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدرات بالوزن وجعلنا لكم فيها معايش
جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك
ومن لستم له برازقين يعني الدواب والوحوش والطير انتم لا تكسبونها ولا ترزقونها
رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله وما من دابة الا على الله رزقها ويكون من في قوله ومن لستم له برازقين
بمعنى ما لان من لا تعقل كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فيكون من على
اصلها ويدخل معهم من لا يعقل من الدواب والوحوش وان من شي الا عندنا خزائنه الخزائن جمع الخزانة
وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشي للحفظ يقال خزن الشي اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل
اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم والدواب والوحوش والطير ومعنى عندنا
انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض
حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السما قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشا
الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السما كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما
ويحرم اخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف
المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد
الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تاويل قوله
وان من شي الا عندنا خزائنه وارسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني للشجر والسحاب وهو قول
الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الما فحملت فكذلك
الرياح كالفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل
الما فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم
الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض
فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية القاحها السحاب لقوله بعده
فانزلنا من السما ما قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السما الا بعد ان تعمل الرياح الاربع
فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو عبيد لواقح
هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح
وان القحت غيرها لان معناها النسب كما يقال درهم وازن اي ذو وزن واعترض الواحدي

على هذا فقال هذا البيت يحسن لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب
الرازي عنه بان قال هذا البيت يشي لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره اللقحة فله
نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها
حاملة للسحاب والدليل عليه قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا يكون الريح
لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب قال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها
عقيم اذا لم تات بخير وورد في بعض الاخبار ان اللواقح الرياح الجنوب وفي بعض الاثار ما هبت ريح
الجنوب الا وانبعث عينا غدقة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما
ارسلت به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي
صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم
الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى فانزلنا
من السما ما يعني المطر فاسقيناكموه يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا
جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ما ولبنا اذا كان
لشفته فاذا جعلوا له ما لشرب ارضه او ماشيته يقال اسقيته وما انتم له بخازنين يعني
المطر بخازنين يعني ان المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين وانا لنحن نحيي
ونميت يعني بيدنا احيا الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان
قوله وانا لنحن بصيغة الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ونحن الوارثون وذلك بان نميت جميع
الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو
الباقي بعد ذهاب غيره والله تعالى هو الباقي بعد فنا خلقه الذين امتعهم بما اتاهم في
الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما اتاهم كان ابتداء منه تعالى فاذا فني جميع الخلائق رجع
الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه
قوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين عن ابن عباس
كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا من احسن الناس فكان بعض
الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف
المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
اخرجه النسائي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابي الجوزا نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس
وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوي وذلك ان النسا كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف
الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف الرجال ومن النسا من في قلبها
ريبة فتتقدم الى اول صف النسا لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف النسا اخرها وشرها اولها
اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن عباس اراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستاخرين من لم

علق الله تعالى بعد، وقال مجاهد المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستاخرون المبطئون عنها وقال
الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في اول الوقت والمستاخرين الموخرين لها الى اخره وقال مقاتل اراد
بالمستقدمين والمستاخرين في صف القتال وقال ابن عيينه اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا
وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال
قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف
المقدم فنزلت الآيه ومعناها انما تجزون على النيات فاطمانوا وسكنوا فيكون معنى الآيه على القول الاول
المستقدم للتقوى والمتاخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيله والمتاخر للعذر
ومعنى الايه ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شي من
احوال الخلق ٥ وان ربك هو يحشرهم يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين
والآخرين على ما ماتوا عليه م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات
عليه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره
وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي ٥ من صلصال يعني من الطين اليابس
الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا
نضب عنه الما تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي
وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن ٥ من حما يعني من الطين الاسود ٥ مسنون اي متغير
قال مجاهد وقتاده هو المنتن المتغير وقال ابو عبيده هو المصبوب تقول العرب سننت
الما اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين
هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة
من تراب الارض واليه الاشاره بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
ان ذلك التراب بل بالما فخمر حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشاره بقوله من حما مسنون
ثم ذلك الطين الاسود المتغير صور صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح
فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشاره بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا
تحجر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ٥ والجان خلقناه من قبل يعني من قبل آدم قال
ابن عباس الجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقال قتاده هو ابليس وقيل الجان ابو الجن
وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون وياكلون ويشربون ويحيون ويموتون
كبني آدم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان
من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا ياكلون
ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار وسموا جنا
لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتي المتمرد
الكافر والجن منهم المومن ومنهم الكافر ٥ من نار السموم يعني من ريح حارة تدخل مسام الناس
من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال الريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة
التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين

انه حكيم عليم

السما

السما والحجاب فاذا احدث امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك
الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل نار السموم من نار
جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه
الآيه وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الجن
الذين ذكروا في القران من مارج من نار وخلقت الملايكة من النور قوله عز وجل واذ قال ربك
للملايكة اني خالق بشرا سمي الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد ٥ من صلصال
من حما مسنون تقدم تفسيره ٥ فاذا سويته يعني عدلت صورته واتممت خلقه ٥ ونفخت فيه
من روحي النفخ عبارة عن اجرا الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح في النشاة الاولى وهو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحي واضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف
والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيجي الكلام على الروح في تفسير سورة
سبحان عند قوله ويسالونك عن الروح ان شا الله تعالى ٥ فقعوا له ساجدين الخطاب للملايكة
الذين قال الله لهم اني خالق بشرا امرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود
تحية لا سجود عبادة ٥ فسجد الملايكة يعني الذين امروا بالسجود لآدم ٥ كلهم اجمعون قال سيبويه
هذا توكيد بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الآيه فقال لو قال فسجد الملايكة احتمل ان يكون
سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر ان الكل سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقي احتمال اخر
وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة
واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين
معرفة فلا يكون حالا وروي عن ابن عباس ان الله تعالى امر جماعة من الملايكة بالسجود لآدم
فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم ٥ فسجدوا الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين يعني مع الملايكة الذين امروا بالسجود لآدم ٥ قال يعني قال الله يا
ابليس ٥ لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اراد ابليس انه افضل من
آدم لان آدم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في
قياسه افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله ٥ قال فاخرج منها
يعني من الجنه وقيل من السما ٥ فانك رجيم اي طريد ٥ وان عليك اللعنة الى يوم الدين
قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السموات
والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو
يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال وان عليك اللعنة
فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك معها عذابا مستمرا دايما لا انقطاع له ٥ قال رب
انظرني اي اخرني ٥ الى يوم يبعثون يعني يوم القيامة واراد بهذا السوال انه لا يموت ابدا لانه
اذا امهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا موت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا الشي
سال الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله تعالى بقوله قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلايق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة

مالك الا تكون مع الساجدين قال لم

وهو ما بين النفختين وقيل لم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة
في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه احد الا الله تعالى
فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل
لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني
اليوم الذي عينت وسألت الانظار اليه قال رب بما اغويتني الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب
القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم في الارض وقيل هي باء السببية يعني بسبب
كوني غاويا لازينن لهم في الارض يعني ازين لهم حب الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم اجمعين يعني بالقاء
الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق
واغوائهم ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة
والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك
وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة
الاخلاص فعل الشيء خالصا عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يخلو
ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او لمجموع الامرين اما ما كان لله تعالى
فهو الخالص المقبول وما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما من كان مراده مجموع الامرين فان
ترجح جانب الله كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل
يقابل المثل فيبقى القدر الزائد فان كان للجانبين رجح احدهما قال يعني قال الله تبارك وتعالى
هذا صراط علي مستقيم قال الحسن معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد
الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج على شيء وقال الاخفش معناه علي الدلالة
على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه
طريقك علي اي لا تفلت مني وقيل معناه علي استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والي يؤدي
الى كرامتي ورضواني ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما
قال لازينن لهم في الارض الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين
فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد من عبيده سواء كان من المخلصين او لم يكن من المخلصين
قال اهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال
معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهؤلاء ثنية الله
الذين هداهم واجتباهم من عباده الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين
فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين
يعني موعد ابليس واشياعه واتباعه لها يعني لجهنم سبعة ابواب يعني سبع طبقات قال علي
ابن ابي طالب تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب
بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم جزء مقسوم يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء

وجزأته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل قسم منهم
دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في
الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية
النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل
الشرك وفي السابعة المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد
صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون
المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في المعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية
في الجنات وقيل يحتمل ان يكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص
كل واحد من اهل الجنة بعيون او تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل
فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره ودوره فينتفع
هو بها ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري من جنان بعضهم الى جنان بعض
لانهم قد طهروا من الحقد والحسد ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او بعض
ملائكته بسلام آمنين يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات
ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة
والبغض والحقد والحسد فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في
القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة
وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اخوانا يعني في المودة والمحبة والمخالطة
وليس المراد منه اخوة النسب على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس
رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس على سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء الى الجابية متقابلين يعني يقابل
بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا اراد
ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم
فيها يعني في الجنة نصب اي تعب ولا اعياء وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص
من الله تعالى في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال
بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله عز وجل نبئ عبادي اي اخبر عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني
لمن تاب منهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين
ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير
سند وان عذابي هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال
لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه
خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم
خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم

قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك

الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار
وفي الاية لطايف منها انه تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما
اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف
على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في
التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخال اللام على قوله الغفور الرحيم وهذا يدل على   الالف دع
تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي
هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى
فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابرهيم هذا معطوف
على ما قبله اي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابرهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا
ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف مصدر ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابرهيم
هم الملايكة الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابرهيم بالولد وليهلكوا قوم لوط اذ دخلوا عليه يعني اذ
دخل الاضياف على ابرهيم عليه السلام فقالوا سلاما اي فسلموا سلاما قال يعني ابرهيم انا منكم
وجلون اي خايفون وانما خاف ابرهيم منهم لانهم لم ياكلوا طعامه قالوا لا توجل يعني لا تخف انا نبشرك
بغلام عليم يعني انا نبشرك بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرايع
والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابرهيم من كبره وكبر امراته فقال ابشرتموني يعني بالولد
على ان مسني الكبر يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب فبم تبشرون يعني فباي شي تبشرون
وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر قالوا بشرناك بالحق يعني بالصدق
الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا تكثر ذريته وهو اسحق فلا تكن من القانطين يعني فلا تكن
من الايسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير قال يعني ابرهيم ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون يعني ومن ييئس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابرهيم لم يكن من القانطين
ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملايكة انه قنط فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان
القانط من رحمة الله ضال لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من جهل
كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب
للضلال قال يعني ابرهيم فما خطبكم يعني في شانكم وما الامر الذي جيتم فيه ايها المرسلون والمعنى ما الامر   فما خطبكم
الذي جيتم بسببه سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملايكة انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعني لاهلاك قوم مجرمين الا ال لوط يعني اشياعه واتباعه من اهل دينه انا لمنجوهم اجمعين
الا امراته يعني امراة لوط قدرنا يعني قضينا وانما اسند الملايكة القدر الى انفسهم وان كان ذلك
لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك امرنا ونحن فعلنا وان كان
قد فعلوه بامر الملك انها لمن الغابرين يعني من الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات
ومن الاثبات نفي فاستثنى امراة لوط من الناجين ملحقة بالهالكين فلما جاء ال لوط المرسلون
وذلك ان الملايكة عليهم السلام لما بشروا ابرهيم بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه

ولما دخلوا على لوط قال انكم قوم منكرون وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زي
شباب مرد حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل
ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم ولا اعرف من اي الاقوام انتم ولا لاي غرض
دخلتم علي فعند ذلك قالوا يعني الملايكة بل جيناك بما كانوا فيه يمترون يعني جيناك بالعذاب
الذي كانوا يشكون فيه واتيناك بالحق يعني باليقين الذي لا شك فيه وانا لصادقون يعني فيما
اخبرناك به من اهلاكهم فاسر باهلك بقطع من الليل يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشي
وبعضه واتبع ادبارهم يعني واتبع اثار اهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم احد يعني حتى لا
يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات
الى وراه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تعرج على شي وقيل جعل ترك الالتفات
علامة لمن ينجو من ال لوط ولئلا يتخلف احد منهم فيناله العذاب وامضوا حيث تومرون قال
ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن وقيل الحيث لم يامركم جبريل وذلك
ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر يعني
واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه
بقوله ان دابر هولاء مقطوع مصبحين يعني ان هولاء القوم يستاصلون عن اخرهم بالعذاب وقت
الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيما لشانه وجاء اهل المدينة يعني
مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط
والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملايكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم في المدينة
وقيل ان امراته اخبرتهم بذلك وكانوا شبابا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى
داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال يعني قال لوط لقومه ان هولاء ضيفي وحق على
الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره ما يلزمه
العار بسببه واتقوا الله يعني خافوا الله في امرهم ولا تخزون يعني ولا تخجلون قالوا يعني قوم
لوط الذين جاءوا اليه اولم ننهك عن العالمين اولم ننهك عن ان تضيف احدا من العالمين وقيل
معناه اولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل
معناه الست قد نهيناك ان تدخل في احد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة قال يعني قال
لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه هولاء بناتي يعني ازوجكم اياهن ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا
الحرام وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي صلى الله عليه وسلم كالوالد لامته ان كنتم فاعلين
يعني ما امركم به لعمرك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد
قال ابن عباس ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته
والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقايه مدة حياته وقال
النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة
عليه انهم لفي سكرتهم يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني يترددون متحيرين

وقال قتادة يلعبون فأخذتهم الصيحة مشرقين يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب
الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
عليهم حجارة من سجيل تقدم تفسيره في سورة هود إن في ذلك يعني الذي نزل بهم من العذاب
لآيات للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين
ويعضد هذا التأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة
المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر
الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات
وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني يحصل بدلائل التجارب والخلق والأخلاق
يتعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج
حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر
في سمة الدلالة تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته وإنها يعني قرى قوم لوط لبسبيل
مقيم يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه
القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز إلى الشام
يشاهدون ذلك ويرون أثره إن في ذلك يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم لآيات
للمؤمنين يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين يعني
كان أصحاب الأيكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا
أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل
إليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله وهو قوله تعالى فانتقمنا منهم يعني بالعذاب وذلك
أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله
سحابة كالظلة فالتجؤوا إليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم
جميعا وإنهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة لبإمام مبين يعني بطريق واضح
مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع إلى الأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما
وإنما سمي الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع ولأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده قوله عز وجل
ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين
المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز وأهل الحجاز إلى الشام
وأراد بالمرسلين صالحا وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لأنهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل
وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم
خلقها وقرب ولادها وغزارة لبنها وإنما أضاف الآيات إليهم وإن كانت لصالح لأنه مرسل إليهم
بهذه الآيات فكانوا عنها يعني عن الآيات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين إليها وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين يعني من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف فأخذتهم

الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني وقت الصبح فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك
والأعمال الخبيثة (ق) عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي
قوله تعالى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق يعني لإظهار الحق والعدل وهو أن يثاب
المؤمن المصدق ويعاقب الفاجر المكذب وإن الساعة لآتية يعني وإن القيامة لتأتي ليجازي المحسن
بإحسانه والمسيء بإساءته فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد
واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والإعراض منسوخ بآية
القتال وقيل فيه بعد لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن
يعاملهم بالعفو والصفح الذي ليس فيه جزع ولا خوف إن ربك هو الخلاق العليم يعني أنه تعالى خلق
خلقه ويعلم ما هو فاعله وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود
قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال
لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير
من هذه السبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الآية قاله الحسين بن الفضل
قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لأن هذه السورة مكية بإجماع أهل التفسير ليس
فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصح أن يقال إن سبع قوافل جاءت
في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فأنزل الله هذه الآية وأخبرهم أن هذه السبع
آيات هي خير من هذه السبع قوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها أنها فاتحة
الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس في رواية الأكثرين عنه
وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية عنه ومجاهد في رواية عنه وعطاء وقتادة في آخرين
ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي
خ عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية
فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات بإجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها
بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل
لأنها مقسومة بين العبد وبين الله تعالى نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني
دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث المذكور في فضائل
الفاتحة وقيل سميت مثاني لأن كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك
نستعين اهدنا الصراط المستقيم فكل هذه ألفاظ مثناة كلها مثل قوله وقال الحسين بن الفضل
لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد إن الله تعالى استثناها

وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب
ثنيت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله
وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من
افضل سور القرآن لان الله افردها بالذكر في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع ان الفاتحة
من اجزاء القرآن واحد سوره فلا بد وان يكون لاختصاصها بالشرف والتفضيل القول الثاني
في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول عمر وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس
في رواية عنه وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع الطول هي سورة البقرة وال عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة
الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على
هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطول مكان التوراة
واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه البغوي
باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر
والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطول انما نزلت بالمدينة فكيف يمكن ان
تفسير هذه الاية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال
هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الاية بهذه السور القول
الثالث ان السبع المثاني هي السور التي دون الطول وفوق المفصل وهي
المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول الرابع ان
ان السبع المثاني هو القرآن كله وهذا قول طاوس ووجه هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني وسمي القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف
يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف الشيء على نفسه
قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة او السبع الطول فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن
اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف
عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
التي هي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لا تمدن عينيك يا محمد الى ما متعنا به ازواجا يعني اصنافا منهم يعني من الكفار
متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى
انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى
الدنيا والرغبة فيها وروي ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الاية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام
النظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه ولا تحزن عليهم يعني ولا تغتم على
ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففي النهي عن الالتفات الى

اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مريم
ما قاتلا لا يموت قال النار ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من
فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف
ابن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا
خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت وقوله تعالى واخفض جناحك
للمؤمنين يعني لين جانبك للمؤمنين وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره
بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين وقل اني وقل لهم يا محمد اني انا النذير
المبين لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ
ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني انا النذير بالعقاب لمن عصاني مبين
بين النذارة كما انزلنا على المقتسمين يعني انذركم عذابا كعذاب انزلناه على المقتسمين قال
ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد سموا بذلك لانهم امنوا
ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة
انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد هذه السورة لي وقال اخر هذه السورة لي وانما فعلوا
ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وكفر
اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب اراد بالمقتسمين كفار قريش قال قتادة
سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم
بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها
وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين وقال لهم
انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه
كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاءوا الى صدقكم فذهبوا وقعدوا
على انقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة
منا فانه مجنون كاهن شاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاءوا وسألوه عما قال
اولئك المقتسمون قال صدقوا وقوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين خ عن ابن عباس في قوله
الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤوه اجزاء امنوا ببعضه وكفروا ببعضه
قيل هو جمع عضو من قولهم عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم جعلوا القرآن اعضاء
متفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو
جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني انهم جعلوا القرآن سحرا
فوربك لنسألنهم اجمعين اقسم الله بنفسه انه ليسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين
عما كانوا يعملون يعني عما كانوا يقولون في القرآن وعما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع
الضمير في لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى وقال جماعة

من اهل العلم عن لا اله الا الله حق اليقين عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وما ذا اجابوا المرسلين
فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس
لا يسألهم هل عملتم لانه اعلم بهم منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام
وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لنسألنهم اجمعين
سؤال التوبيخ والتقريع وجواب آخر وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه قال في الآيتين ان يوم القيمة يوم طويل فيه مواقف
فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها نظيره قوله عز وجل فاصدع بما تؤمر قال ابن عباس اظهر
ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي افرق بالقرآن بين الحق والباطل
امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن
عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو واصحابه واعرض عن المشركين
اي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام
باستهزائهم وهو قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين واكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية
القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون
منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع
بما امرك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك كما كفيناك المستهزئين وكانوا
خمسة نفر من رؤساء قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن
المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد
ابن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله
بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا
ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة قال الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب
الى امه قال المفسرون ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون
بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا
محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من
خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه برد يماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد
فمنعه الكبر ان يطاطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها ومات
ومر بهما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى
اخمص قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلته يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب
فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت
رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا
يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل
بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال
اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه

بالشوك

بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني
رب محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجده يا محمد فقال بئس عبد الله على انه خالي فقال
جبريل قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم
فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث
ابن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاومى جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا
فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات
فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه منهم من الاستهزاء بك والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى
فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر وعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله فسبح بحمد ربك قال
ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك
قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
حزبه امر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين السبب في زوال الحزن عن القلب
اذا اتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف (فوائد)
قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يأسف على فقدها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض
العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة كانه يقول يا رب انما يجب علي عبادتك سواء اعطيتني ما
احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي ما شئت واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى (الموت)
يأتيك اليقين وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما
دمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي
الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا
وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه
لقد رأيته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها او قال شريت
له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النحل مكية

الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس
وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة في قتل حمزة وهي قوله ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا الى يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل
قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان
تسمى سورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اتى امر الله يعني جاء ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجي بعد ما اتى ومعنى الآيه اتى امر الله تقول العرب اتاك امر الله وعدا فلا تستعجلوه يعني وقوعا والمراد به مجي القيمة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما راوا انه لا ينزل شي قالوا ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس روسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الآيه قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قد قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآيه وقتل النضر يوم بدر صبرا ٥ سبحانه وتعالى عما يشركون يعني تنزه الله وتعظم بالاوصاف الحميده عما يصفه به المشركون قوله ينزل الملائكة بالروح يعني بالوحي ٥ من امره وانما سمي الوحي روحا لان به تحيى القلوب من موت الجهالات وقال عطا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والبا بمعنى مع يعني تنزل الملائكة مع الروح وهو جبريل ٥ على من يشا من عباده يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق ٥ ان انذروا يعني بان اعلموا ٥ انه لا اله الا انا فاتقون اي فخافون وقيل معناه مروهم بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن ٥ خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون تقدم تفسيره خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة فيه نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجا بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآيه ونزل فيه ايضا قوله من يحي العظام وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما قال م
يقع فيه من الخصومة في الدنيا ويوم القيمة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة قذرة فصار رجلا جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل والانعام خلقها لكم لما ذكر الله عز وجل انه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في ساير ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يتقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا فقال تعالى لكم فيها دفء قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدا بقوله لكم فيها والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها

جمال

جمال ولما كان منافع هذه الانعام ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ٥ ومنافع يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وساير ما ينتفع به من الانعام ٥ ومنها تاكلون يعني من لحومها فان قلت قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب والكلة يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل ٥ وقوله تعالى ولكم فيها يعني في الانعام ٥ جمال اي زينة ٥ حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما يكون هذه الاراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت سمع للابل رغا وللشا ثغا يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها ويتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس ٥ فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملا البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جايعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج اليه من الآت السفر ٥ الى بلد يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والى الشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين ٥ لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه ٥ الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشي والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤوف يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع رحيم يعني بهم قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الايه عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنسا ٥ وزينة يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها فصل احتج بهذه الآيه من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر فلما لم يذكره علمت

تحريم اكلها لان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها
فعلمنا انها مخلوقة للركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر فلما لم يذكره
الله علمنا تحريم اكله ولان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب
فقال لتركبوها لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح
وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسما
بنت ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت
ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم
خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال
والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من اباح لحوم الخيل عن هذه الاية بان ذكر الركوب
والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هذان المنفعتان بالذكر لانهما معظم
المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من
هذا التحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم بل
المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه
في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال
والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت
السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير اخذنا به جمعا بين النصين والله اعلم قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته
على سبيل التفصيل ذكر بعده ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات
الله عز وجل في البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصى او يحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا ذكرها
على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني ما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل
النار في النار مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله
ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل
القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا ادى الى مطلوبك وفي الاية حذف
تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه
وعلى الله بيان طريق الحق بالبراهين والايات ومنها جاير يعني ومن السبيل سبيل
جاير عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجاير منها
اليهودية والنصرانية وساير ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرايع والفرايض
وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جاير الاهوا
والبدع ولو شا لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى ما شا هداية الكفار وما
اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفا الشي لانتفا غيره فقوله ولو شا لهداكم معناه

ولو

ولو شا هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شا هدايتهم فلا جرم ما هداهم
قوله عز وجل هو الذي انزل من السما ما لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع
والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السما وهو من اعظم النعم على العباد فقال هو الذي انزل يعني والله
الذي خلق جميع الاشيا هو الذي انزل من السما ما يعني المطر لكم منه يعني من ذلك الما شراب يعني تشربونه
ومنه يعني ومن ذلك الما شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدي عن اهل
اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى على الشتا واما دق الشجر فصنفان
احدهما تبقى له اروم في الشتا كالبقول وقال ابو اسحق كل ما نبت على الارض فهو شجر وانشد
يطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه
الاية يعني الكلا ومعنى الاية انه ينبت بالما الذي انزل من السما ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى
كل الشجر فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السايمة اذا خليتها ترعى
وسامت هي اذا رعت حيث شات ينبت لكم به اي بذلك الما الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع والحب
الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبهه لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من
الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذا وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل
في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر ساير الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على
عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا
لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على
الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فاخبر
الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات بامره يعني لامره انها مقهورات تحت قهره
يصرفها كيف يشا ويختار ارادته ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله انه خلق هذه
النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان كل
من كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره
وتسخيره لما اراده منهم وما ذرا لكم في الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب
والانعام والاشجار والثمار مختلفا الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه دليل قاطع على كمال قدرته ولذلك ختم هذه الاية
بقوله ان في ذلك لاية لقوم يذكرون يعني فيعتبرون ونبه بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لما ذكر
الله تعالى الدلايل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من
نطفة وخلق ساير الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من اثار قدرته
وعجايب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير
البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع

به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع الانتفاع به فقال تعالى
وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطري
مزيد فايدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى
ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث
بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية
قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النسا بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة
الثالثة قوله وترى الفلك يعني السفن مواخر فيه يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك
انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال
مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني انها اذا جرت
يسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن
مواخر يعني مواقر اي مملوءة متاعا ولتبتغوا من فضله يعني الارباح بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون
يعني انعام الله عليكم اذا رايتم صنع الله فيما سخر لكم والقى في الارض رواسي يعني جبالا ثقالا ان تميد
بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله
الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا
وقد ارسيت الجبال فلم تدر الملائكة مما خلقت الجبال وانهارا يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى
الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم
عيون الانهار واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها
في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون يعني
بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون
بها في اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون
وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات
الليل وقال مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي
اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال قتادة
انما خلق الله النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة السماء ومعالم الطرق ورجوما للشياطين فمن قال
غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله عز وجل افمن يخلق كمن لا يخلق لما ذكر الله عز وجل من عجايب
قدرته وغرايب صنعته وبديع خلقته ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا
المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المتفرد
بخلقها جميعها على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر
ولا تنفع ولا تقدر على شيء افمن يخلق كمن لا يخلق لما ذكر الله عز وجل من عجايب قدرته وغرايب صنعته
وبديع خلقته ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة المذكورة في

الايات

الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه تعالى هو [ب] هذه الاشيا الموجودة المرئية
بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة لانها
جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة
وهو الله خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله افلا تذكرون يعني ان هذا القدر
ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم
وعقل واعتبر بما ذكر بقي في الاية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل
فكيف تعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام
الهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى قوله بعد هذه والذين يدعون من
دون الله لا يخلقون شيا فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق
المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على
سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه
ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة
في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشيا
الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيا البتة والله اعلم وقوله تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه النظر
الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك
مما انعم به عليه في نفسه وفيما انعم الله به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا
حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا تهتدي
الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم
نفوسكم فلا تقدرون عليه ان الله لغفور يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم
رحيم يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي والله يعلم ما
تسرون وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي
صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم الله انه عالم بكل احوالهم سرها
وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر
عجزها في الاية المتقدمة ذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما
بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم
وصف الله هذه الاصنام [بانها] لا تخلق شيا وقوله هنا لا يخلقون شيا فقط والمذكور في هذه الاية
انهم لا يخلقون شيا وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فايدة التكرار اموات
اي جمادات ميتة لا حياة فيها غير احيا يعني لغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة
كما تزعمون لكانت احيا غير جايز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي
الذي لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا تستحق العبادة فمن عبدها

عبدوها فقد وضع العبادة في غير موضعها ﴿وما يشعرون﴾ يعني هذه الاصنام ﴿ايان يبعثون﴾ يعني متى يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيمة حتى تتبرا من عابدها
وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيمة حتى تتبرا من عابدها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوها
الاصنام متى يبعثون قوله تعالى ﴿الهكم اله واحد﴾ يعني ان الذي يستحق العبادة هو اله واحد والاصنام متعددة فكيف تستحق العبادة ﴿فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة﴾ يعني جاحدة لهذا المعنى ﴿وهم مستكبرون﴾ يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا ﴿لا جرم﴾ يعني حقا
﴿ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين﴾ يعني عن اتباع الحق م عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمط حق فلان اذا احتقره ولم تره شيا وكذا معنى غمصته اذا انتقصت به وازدريته
قوله عز وجل ﴿واذا قيل لهم﴾ يعني لهؤلاء الذين لا يومنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم ﴿ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين﴾ يعني احاديثهم واباطيلهم ﴿ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة﴾ اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان حملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوا في الدنيا لا تكفر عنهم شيا يوم القيمة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هولاء الكفار بهذا التكميل فايدة ﴿ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ يعني ويحصل للروساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والتسبب فيه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرييس والكبير اذا سن سنة حسنة او سن سية قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا للكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الروساء لان ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ وقوله تعالى ﴿وان ليس للانسان الا ما سعى﴾ قال الواحدي لفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير

جايز

جايز لقوله عليه السلام لا ينقص ذلك من اثامهم شيا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الروساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد ﴿الا ساء ما يزرون﴾ يعني الا بيس ما يحملون فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابرهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السما ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح في السماء خمسة الاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السن الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذين نشا اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابرهيم مثل طسم وجديس ولام كل هولاء عرب فتكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير وقوله ﴿فاتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فقصفت بنيانهم من اعلاه واتاهم بزلازل فقلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملت تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبياء الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه قوله تعالى ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وما توا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم ﴿واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم واشتده كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ﴿ثم يوم القيمة يخزيهم﴾ يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم في الدنيا وفي الاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ﴿ويقول﴾ يعني ويقول الله لهم يوم القيمة ﴿اين شركاي﴾ يعني في زعمكم واعتقادكم ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان ﴿قال الذين اوتوا العلم﴾ يعني المومنين وقيل الملايكة ﴿ان الخزي﴾ يعني الهوان ﴿اليوم﴾ يعني في هذا اليوم وهو يوم القيمة ﴿والسوء﴾ يعني العذاب ﴿على الكافرين﴾ وفايدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فتكون اعظم في الهوان والخزي ﴿الذين تتوفاهم الملايكة﴾ يقبض ارواحهم وهم ملك الموت واعوانه

ظالمي انفسهم يعني بالكفر فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل بهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني فلا فائدة لكم في انكاركم قال عكرمة عني بذلك من قتل من الكفار يوم بدر فادخلوا اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض فلبئس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المومن وذلك انهم لما سالوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سالوا المومنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدا فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضعفة من الواحدة الى العشر الى السبع مايه الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله ولدار الاخرة خير يعني ما لهم في الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام به يدخلونها يعني تلك الجنان لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها الانهار يعني تجري الانهار في هذه الجنات تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في الجنات ما يشاون يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل الا في الاخرة في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاون يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة

للانزال

والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون لهم يعني الملائكة سلام عليكم تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشيا كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شي بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشا فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ونعمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون يعني هولاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تاتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيمة كذلك فعل الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في انكار البعثة فقالوا لو شا الله منا الايمان لحصل جيت او لم تجي واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فايدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي افعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكانت حكمة الله تعالى وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم ليامرهم

فاصابهم سيات ما عملوا يعني فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة

بعبادة الله وينهاهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال بمشيته فمن هداه فهو المهتدي ومن اضله فهو الضال
وهذه سنة الله في عباده انه يامر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء الى الايمان ويضل
من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قولهم
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز
بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله ولا حرمنا من دونه
من شيء يعني الوصيلة والسائبة والحام والبحيرة فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيرها كذلك
فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهو الفعل
الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس
اليهم هداية انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا
يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا اي اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل
كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل معبود عبد من دون الله
فمنهم يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل من هدى الله يعني هداه الله الى دينه والايمان به وتصديق
رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجبت عليهم الضلالة بالقضاء السابق
في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف
في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم به في سابق علمه فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل
امر من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم
على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله عز وجل ان تحرص على هداهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء واثابهم وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل
قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل معناه لا يهتدي من اضله الله وقرئ
بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين يعني ما نعين
يمنعونهم من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين
كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه
بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله لا يبعث الله من
يموت فنزلت هذه الآية قاله ابو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار
البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه
وبلي امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه
فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك واكذبهم في قولهم فقال تعالى بلى يعني بل يبعثهم
بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله خلق الانسان
واوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد
اعدامه لان النشأة الثانية اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي وعد

من البعث بعد الموت وعدا عليه حقا لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفقهون كيف يكون
ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من امر البعث ويظهر
لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم
للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد الله
لانه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى ليشتمني ابن ادم وما ينبغي ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له فاما
شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بداني وفي رواية كذبني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني
وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن
سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون
فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة
وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر اخوانه
صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلا انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله
فباعوه منه فمر ابو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع واما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون
فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا
اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل
المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت
بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب وقوله تعالى
لنبوئنهم في الدنيا حسنة يعني لننزلنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها
لهم دار هجرة والمعنى لننزلنهم في الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة وروي ان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول له خذ بارك الله
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر في الاخرة افضل ثم تلا هذه الآية وقيل معناه
لنحسنن اليهم في الدنيا بان نفتح لهم مكة ونمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ننصرهم
على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية
الى الدين ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم واشرف مما اعطاهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل

الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون ان اجر الآخرة اكبر
مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله في
الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين الذين صبروا يعني في الله
على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن وعلى الجهاد
وبذل الانفس والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله
الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها
على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات
والصبر على المصائب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى
بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق قوله عز وجل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الآية جوابا للمشركين بمكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما
ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني مثلك نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية
من اول مبدأ الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة
فاسألوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما امرهم الله بسؤال اهل الكتاب لان
كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم رسلا منهم مثل
موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا امثالهم فاذا سألوهم فلا بد وان يخبروهم بان الرسل
الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب
لاهل مكة يعني ان كنتم يا اهل مكة لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل
المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا نوحي اليهم ولم نبعث ملائكة وقيل معناه وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله
فاسألوا اهل الذكر يعني اهل العلم والمعنى فاسألوا اهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا
تعلمون انتم ذلك والبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تكامل به امر الرسالة لان مدار امر الرسول
على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني
الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وانزلنا اليك الذكر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين
لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما اجمل من احكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة
والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن
والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم
على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه
هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون
المجمل فيه دون المحكم المبين المفسر ولعلهم يتفكرون يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به

الى الله تعالى

أفأمن

أفأمن الذين مكروا السيئات فيه اضمار تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالغوا في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر
اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد
بهم كفار مكة ان يخسف الله بهم الارض يعني كما خسف بقارون من قبلهم او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما اهلك قوم لوط وغيرهم او يأخذهم في تقلبهم يعني
في تقلبهم في الاسفار فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس
يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان يأخذهم في ليلهم ونهارهم
وفي جميع احوالهم فما هم بمعجزين يعني بسابقين الله ويفوتونه بل هو قادر عليهم او يأخذهم على تخوف
قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال
تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه اللغة هذيل فعلى هذا القول يكون
المراد به انه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو من
من الخوف فيحتمل انه تعالى لا يأخذهم بالعذاب اولا بل يخيفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال
الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يأخذ طائفة فيتخوف الآخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم
والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب يأتي من السماء او بآفات تحدث
دفعة او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه تعالى ختم الآية بقوله
فان ربكم لرؤوف رحيم يعني انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى اولم يروا قرئ
بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة الى ما خلق الله من شيء يعني من جسم قائم له ظل
وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا
بنفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل احواله ويتفكر فيه ويعتبر به يتفيأ ظلاله يعني
تميل وتدور من جانب الى جانب فهي في اول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في آخر النهار الى حالة
اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فاء يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال
الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت
عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف
الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي
الظلال عن اليمين والشمائل قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وانت
متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء
كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة و
الضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمائل فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان
المراد به الجمع للايجاز والاقتصار في اللفظ وقيل اليمين راجعة الى لفظ الشيء وهو واحد
والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع سجدا لله في معنى هذا السجود قولان احدهما
ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب وسجدت

النخل اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشيا التي لها ظلال فهي منقادة لله مستسلمة لامره غير
ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وعنه قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شي لله والقول
الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال
تشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شي ساجد لله سوا كان ذلك
الشي يسجد لله او لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله وهم داخرون اي صاغرون
اذلا والداخر الصاغر الذي يفعل ما تامره به شا ام ابى وذلك ان جميع الاشيا منقادة لامر الله تعالى
فان قلت الظلال ليست من العقلا فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون
قلت لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل جاز جمعها بالواو والنون
وهو جمع العقلا قوله عز وجل ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال العلما السجود
على نوعين سجود طاعة وسجود عبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود
الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يحتمل النوعين لان سجود كل شي بحسبه فسجود
المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظة ما
في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب
كتغليب المذكر على المونث ولانه لو اتى بمن التي هي للعقلا لم يكن فيها دلالة على التغليب بل
كانت متناولة للعقلا خاصة فاتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتق من الدبيب
وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه
الانسان لانه ما يدب على الارض وعلى هذا افرد الملائكة في قوله والملائكة لانهم اولوا اجنحة يطيرون
بها وافردهم بالذكر وان كانوا في جملة الملائكة من في السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في
السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود
الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما خلقت له او سجود ما لا يعقل والجمادات
تدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فتدعوا الغافلين الى السجود لله عند التامل والتدبر
وهم لا يستكبرون يعني الملائكة يخافون ربهم من فوقهم هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد
تقدم تفسيره ويفعلون ما يومرون عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما
لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا
على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه
الترمذي وقال ويروى عن ابي ذر موقوفا فصل وهذه السجدة من عزايم سجود القران
فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها وسماعها قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون
له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الاية عن الشرك
وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله
الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين

لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله انما هو اله واحد لان الالهين لا يكونان متساويين
في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية فلذلك قوله انما هو
اله واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون يعني فخافون
والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام عن الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة
الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي
فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه
وله ما في السموات والارض لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية
قوله — وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فلذلك قال وله ما في السموات والارض
يعني عبيدا وملكا وله الدين واصبا يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دايما ثابتا
والواصب الدايم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة
او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة دايمة ابدا افغير الله تتقون يعني انكم عرفتم ان
الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون
غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل
وما بكم من نعمة فمن الله يعني من نعم الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما اعطاكم من
مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه
ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية
ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها
ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض والاسقام فاليه تجارون يعني اليه تستغيثون وتضجون
بالدعا ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل الجوار هو رفع الصوت الشديد
ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتدا منه فان حصل شدة وضر في بعض
الاوقات فلا يفزع الا اليه ولا يدعا الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى
ثم اذا كشف الضر عنكم يعني ثم اذا ازال الشدة والبلا عنكم اذا فريق منكم يعني طايفة وجماعة
منكم بربهم يشركون يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى العوايد
والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذه من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قال فريق لان
فريق المومنين لا يرون كاشف الضر الا الله تعالى ثم قال تعالى ليكفروا بما اتيناهم قيل ان هذه
اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم
وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم الضر
والبلا فتمتعوا لفظه امر والمراد منه التهديد والوعيد فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة
التي ضربها الله لكم فسوف تعلمون يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم
قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا قيل العايد في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين
يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة
لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد
مجاز فكان عود الضمير على المشركين اولى لانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو وبالنون وهو جمع لمن

لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عايد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون
المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام لم يحتج الى
هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله نصيبا مما رزقناهم يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا
من حروثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام تالله اقسم بنفسه
على نفسه انه يسألهم يوم القيمة وهو قوله لتسألن عما كنتم تفترون يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا
في قولكم ان هذه الاصنام الهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور
وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا الملايكة بنات الله وانما
اطلقوا لفظ البنات على الملايكة لاستتارهم عن العيون كالنسا او لوجود لفظ التانيث في
تسميتهم سبحانه نزه نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون لانفسهم
ما يشتهون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي
يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح ولما كان الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن
والغم ايضا يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت
بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة
والمعنى ان هولاء المشركين لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى
ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله وهو كظيم يعني انه ظل ممتلي حزنا وغما يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم الى
ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما حتى
يفكر ما يصنع بها وهو قوله ايمسكه على هون يعني على هوان وانما ذكر الضمير في ايمسكه لانه عايد
الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني ام يخفي ذلك الذي بشر به في
التراب ويئده والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا
يدفنون البنات احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة
او للحمية خوفا عليهن من الاسر ونحوه او الطمع في غير الاكفا فيهن فكان الرجل من العرب
في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة من
صوف وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت
سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمايها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا
بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البير
ثم يهيل التراب على راسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه
بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمي الذي منع الوايدات فاحيى
الوئيد فلم يوءد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايدة
والموؤدة في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى الا سا ما يحكمون يعني بيس ما
يقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون
لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل

وقيل معناه الا سا ما يحكمون في وأد البنات للذين لا يومنون بالاخرة مثل السو يعني
صفة السوء من احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر ولله المثل
الاعلى اي الصفة العليا المقدسة وهي انه له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو
وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقا السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله
بها نفسه وقال ابن عباس مثل السو النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع
في كبريايه وجلاله الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ولو يواخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم
فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى
في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية ثلاثة اقسام
فجعل الظالمين قسما واخرجهم من القسمين الاخرين قلت قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية
الاخرى لان في جنس الناس الانبيا والصالحون ومن لا ينطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط
بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله ما ترك عليها يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على
الارض من دابة يعني ان الله تعالى لو يواخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال قتادة وقد
فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام وروي ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بيس
ما قلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن ادم وقيل
اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الاية ولو يواخذ الله الابا الظالمين
بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابنا فلم يبق في الارض احد ولكن يوخرهم يعني يمهلهم بفضله وكرمه
وحلمه الى اجل مسمى يعني الى انتها اجالهم وانقضا اعمارهم فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
يعني لا يوخرون ساعة عن الاجل الذي جعل لهم ولا ينقصون منه وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيمة والمعنى
ولكن يوخرهم الى يوم القيمة فيعذبهم فلا يستاخرون عن العذاب ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما
يكرهون يعني لانفسهم وهي البنات وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يعني ويقولون ان لهم البنين وذلك
انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافترا على الله تعالى وقيل اراد بالحسنى الجنة
والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث
بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال لا جرم ان لهم النار يعني في الاخرة لا الجنة
وانهم مفرطون قرى بكسر الرا مع التخفيف يعني مسرفون وقرى بكسر الرا مع التشديد يعني مضيعون
لامر الله وقراة الجمهور بفتح الرا مع تخفيفها اي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد
ابن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفرا مقدمون الى النار والفرط المتقدم
الى الما قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
يعني كما ارسلناك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شانهم مع رسلهم التكذيب
ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان الة بالقا الوسوسة في قلوبهم وليس
له قدرة ان يضل احدا او يهدي احدا وانما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه
حتى يقبل وسوسته فهو وليهم اي ناصرهم اليوم ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب

منفورا وراضيا بها ولأنهم لطاعتهم اياه ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
يعني من امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلالة والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة يعني
وما انزلنا الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى والله انزل من السماء ماء يعني
المطر فاحيا به الارض يعني بالماء الارض يعني بالنبات والزروع بعد موتها يعني يبسها وجدوبتها ان في ذلك لآية
يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا لقوم يسمعون يعني سماع انصات وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع
الآذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات وان لكم
في الانعام لعبرة يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك نسقيكم مما في بطونه الضمير عائد الى الانعام فكان حقه ان
يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب
اللفظ مفرد ويكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا
مما في بطونه وقال في سورة المومنون مما في بطونها وهذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الكسائي رده الى ما
يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المورج الكناية مردودة الى النعم وفيه اضمار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن
فاضمر اللبن اذ ليس له ذكر من بين فرث وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا ودم لبنا
خالصا يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رايحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر في
كرشها وطبخته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى
فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو سايغا للشاربين يعني هنيا سهلا يجري في الحلق
بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازي
قول الحكماء في ذلك فقال ولقايل ان يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا
متواليا وما راى احد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته وان
كان من الانعام الى كرشه فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى
الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء
والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة واما السوداء فتذهب الى الطحال واما
المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد
وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع
لحم غددي ابيض فيقلب الله الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض فيصير الدم لبنا
هذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة من الاشياء
الماكولة الحاصلة في الكرش فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم من الكبد ثانيا ثم صفاه الله تعالى بقدرته
فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي
ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان
كثيفا احتبس في الثدي وهو المراد بقوله خالصا يعني من شوائب كدورة الدم والفرث سايغا للشاربين
يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيا مريا قوله عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعني ولكم ايضا عبرة فيما
نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل
والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن مسعود وعمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابرهيم

وابن ابي

وابرهيم وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن ساير ما يتخذ من
النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام
والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا السؤال ان السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي
مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الآية على
تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل
على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ وهو نقيع
التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن
يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سيل
ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم الله من ثمراتها والرزق الحسن ما احل قلت القول بالنسخ
فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم
انها منسوخة راى ان هذه الآية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على
هذه الآية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي
الطعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما
يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ان في ذلك يعني الذي ذكر من انعامه
على عباده لآية يعني دلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الآيات
على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا قاهرا على ما يريد
قوله تعالى واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن
من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج
العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال
قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي
الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال
للكلمة الالهية التي يلقيها الى انبيايه وحي والى اوليايه الهام واما تسخير لما خلق له ومنه قوله واوحى
ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة
التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا
يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من
الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا
الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان تجعل عليهم
اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة
ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان تجعل على باب كل خلية
بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى
بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء
والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل
والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان

لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني اعطاهم وقال يعني النحل يذكر ويونث وهي مونثة في لغة
الحجاز وكذا انثها الله فقال تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون
وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الى الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي الى البيوت
ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تاوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي
يعرشون الكروم ثم كلي من كل الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تاكل جميع الثمار فلفظة كل هنا ليست للعموم
فاسلكي سبل ربك ذللا يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انه
نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه
وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى
مكان اخر حيث شاؤوا وارادوا لا تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف الوانه
يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار ويستحيل في
بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه راى في
بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر فيجمعه النحل
فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك
هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى
بالعسل واجاب عن قوله يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من
بطونها يعني من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك
الازهار التي تاكلها النحل وكذلك يوجد لونها ورائحتها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل
قالت جرست نحله العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحله العرفط
اكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه
يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما ياكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا
لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر
لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس
في الدرجة الثانية فبينهما فرق كثير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ
البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى
فيه يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس وهذا قول ابن عباس وابن
مسعود ان الضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل
هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل
فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما في
الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين العسل والقران وروى نافع ان ابن عمر ما
كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه ال م
شفاء للناس (ق) عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق البني
بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده
الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا

استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا وقد اعترض بعض الملحدين
ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال
فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال
الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء في مثل هذا ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان
احتاجت الى معين في الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال
مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال من امتلاء وهيضة
فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده
اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب
العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب
وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء لو كذبوه
كذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض
وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صدق الله وكذب بطن اخيك
يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك
فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن اخيك
يعني باستعجالك الشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون
شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في
الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب
فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل
معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ
المبرودين وبالجملة فمنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا
قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القران لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة
والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات
واقربها قوله يخرج من بطونها وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون يعني يعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل
والله خلقكم يعني والله اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم يعني عند
انقضاء اجالكم اما صبيانا واما شبابا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني اردأه
واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له اربع مراتب اولها سن النشو والنما وهو
من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف
وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى الاربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة
سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون
نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر
وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون

سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل
والجبن والهرم والبخل اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو بهؤلاء الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى لكي لا يعلم بعد علم شيئا
يعني ان الانسان يرجع الى حال الطفولية فينسى ما كان علم بسبب الكبر قال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له
وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب
عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم
الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه
بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان
المسلم لا يزداد في طول العمر الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد
علم شيئا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال هم الذين قرأوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه
اسفل سافلين يريد الى ارذل العمر ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى ان الله عليم
يعني بما صنع باوليائه واعدائه قدير يعني على ما يريد قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان
الله تعالى بسط على واحد وضيق على واحد وكثر لواحد وقلل على اخر وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق وقتره
كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل
وغير ذلك [illegible] ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم
لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم
هذا الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل
يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل
في معنى الاية ان الموالي والمماليك انا رزقتهم جميعا فهم فيه سواء يعني في رزقه سواء فلا يحسبن الموالي انهم
يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق اجراه الله على ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه
بيان ان الرازق هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته
وعبدوا غيره قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النساء فخلق من ادم حواء زوجته وقيل جعل
لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بادم وحواء خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسعى
ونحفد اي نسرع الى طاعتك فهذا اصله في اللغة ثم اختلف اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي
الحفدة الاختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود ايضا انهم الاصهار فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية
وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم حفدة الاختان والاصهار وقال الحسن
وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من عاونك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل
الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال الكلبي ومقاتل البنين
هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه
انهم بنو المرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك

وبا

وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ورزقكم من الطيبات يعني النعم
التي انعم الله عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله افبالباطل يؤمنون
يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون قيل معناه يصدقون قوله ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام
انكار اي ليس لهم ذلك وبنعمة الله هم يكفرون يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما
احل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض يعني الاصنام التي لا تقدر على
انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معونة شيئا يعني لا يملك من الرزق
شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيئا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على
شيء يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضرر فلا تضربوا لله الامثال يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه
واحد لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق
او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز ان الله يعلم يعني خطأ ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون
ذلك وقيل معناه وانتم لا تعلمون خطأ ما تضربون له الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب
هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك
عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فصريح
العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم يجز التسوية بينهما مع استوائهما
في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق
والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر
فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد
الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد
الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته
هوم والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وقوله تعالى
فهو ينفق منه سرا وجهرا فاثابه الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو
مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما
جميعا لانهما من عباد الله واما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف
لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيئا هل يستوون ولم يقل يستويان
يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذا لا يستوي الكافر
والعاصي والمؤمن والطائع قال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا
هو ابو بكر الصديق ثم قال تعالى الحمد لله حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده
وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجز لا يد لها على احد
ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه اهل المحامد والثناء
الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني ان الحمد لله لا لهذه الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم

وهو الذي يولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه اي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم لا يات بخير يعني لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم هل يستوي يعني هذا الذي هذه صفته هو ومن يامر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات وذو رشد وديانة يامر الناس بالعدل والخير وهو يعني في نفسه على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يمكن ان يامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه وليشملهم به من آثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي اموات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا ياتي بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يامر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يامره بالاسلام وذلك المولى يامر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله فهو الذي لا يات بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يات بخير ابي بن خلف وبالذي يامر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ولله غيب السموات والارض اخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة وهو قوله وما امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا او هو اقرب يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا قال له كن فيكون فهو اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى مهما اراده كان كاسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعات الله وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته الله تعالى وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون امهاتكم

وهي الدلايل السمعيه لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار

وسواكم

وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه قلت ذكر العلماء فيه ان تقديم الاخراج وتاخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانها خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم الم تروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في جو السماء الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك ما يمسكهن الا الله يعني في حال قبضهن اجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى وهو قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالآيات ويتفكرون فيها دون غيرهم قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف او تبيت وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى تستخفونها يعني يخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في اسفاركم وظعن البادية هو لطلب الماء او المرعى ونحو ذلك ويوم اقامتكم يعني ويخف عليكم ايضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالين ومن اصوافها واوبارها واشعارها الكناية عائدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا يعني تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اي كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك ومتاعا يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به الى حين يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكرهما بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثاث ما كثر من آلة البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم والله جعل لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره الى ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا واما الفقير فيستكن بظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما

وما يمنع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم لان النعم عليهم فيها
ظاهرة وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصانا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر
قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسرابيل
ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراساني انما
نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لكم من السهول اعظم واكثر
ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان
اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما
انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا
اصحاب حر وقوله تعالى كذلك يتم نعمته عليكم يعني من نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون
لله الوحدانية والعبودية والطاعة وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى فان تولوا يعني فان
اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد واثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم
لا عليك فانما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت
ذلك ثم ذمهم الله بقوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه
وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من اعظم النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه
وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا قيل
تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي هو انه لما ذكر هذه النعم
قالوا هذه نعم كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما
كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوان الله ولا يشكرونه عليها
واكثرهم الكافرون انما قال تعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كانوا كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ حد
التكليف فعبر بالاكثر عن البعض وقيل اراد بالاكثر الكفار اي الجاحدين المعاندين وقد كان فيهم
من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل
ويوم نبعث من كل امة شهيدا لما ذكر الله تعالى انعامه على الكفار قال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا
يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به ان الشهداء هم الانبياء يشهدون على اممهم بانكارهم نعم الله
عليهم وبالكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام اصلا وقيل لا
يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود
بل يشهدون عليهم ويقرون هم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة
هي الغلظة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه
ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك
على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون ان يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الآخرة ليست
دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم والاستعتاب التعرض لطلب الرضا
وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة واذا رأى الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
العذاب يعني عذاب جهنم فلا يخفف عنهم يعني العذاب ولا هم ينظرون يعني لا يؤخرون ولا يمهلون
واذا رأى الذين اشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني اصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا قالوا ربنا

هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك يعني اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة فالقوا يعني الاصنام اليهم
يعني الى عابديها القول انكم لكاذبون يعني ان الاصنام قالوا للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة
وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد ان الله تعالى
لما بعثها واعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها
حتى تكذب الكفار ويراها الكفار في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة والقوا يعني المشركين
الى الله يومئذ السلم يعني انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا وضل
عنهم يعني وزال عن المشركين ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع
لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يعني انهم ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان
بالله ورسوله زدناهم عذابا فوق العذاب يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله
مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود
عقارب لها انياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب امثال
البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني
خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل
واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة
الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب
صدهم الناس عن سبيل الله بما كانوا يفسدون يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم
عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته
وهو اعدل شاهد عليها من انفسهم يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث
اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان وجئنا بك يعني يا محمد شهيدا
على هؤلاء يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب يعني القرآن
تبيانا لكل شيء تبيان اسم من البيان قال مجاهد يعني ما امر به وما نهي عنه وقال اهل المعاني
تبيانا لكل شيء يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان
النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام
وجميع المامورات والمنهيات او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين وهدى
يعني من الضلالة ورحمة يعني لمن آمن به وصدقه وبشرى للمسلمين يعني وفيه بشرى للمسلمين
من الله عز وجل قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس العدل شهادة
ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان
ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا
وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد
والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا
نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان

وهم

العدل

ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف
للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وقيل يعني بالعدل في الافعال وبالاحسان
في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقول الا ما هو احسن وايتاء ذي القربى يعني ويامر بصلة الرحم وهم
القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن
وتودد وينهى عن الفحشاء قال ابن عباس يعني الشرك الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل
فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة والمنكر قال ابن عباس يعني الشرك والكفر
وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير
على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على
الآخر لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون
سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم
ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف
والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان
وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر في مقابلته وهو ان تنكر احسان من احسن
اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته
البغي وهو ان يتكبر عليهم او يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون يعني انما امركم بما امركم
به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع
اية في القرآن لخير وشر هذه الآية وقال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شيء يحتاج اليه الناس
في امر دينهم مما يجب ان يؤتى او يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه
فقال له الوليد وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك
الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفاء بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في
الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه
الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد هنا هو اليمين قال الشعبي
العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء اذا كان فيه اصلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا
يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ثم راى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر
عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت
في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده
الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يعني بعد تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على
ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفاء بالعهد ان
الله يعلم ما تفعلون يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى

ولا تكونوا يعني في نقض العهد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي
ومقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد مناة بن تيم وكانت
خرقاء حمقاء لها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على
قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف او الشعر او الوبر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة
الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه
المراة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد
وفى به انكاثا جمع نكث وهو ما نقض من الغزل او الحبل بعد الفتل تتخذون ايمانكم دخلا
بينكم يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل
ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه ان تكون اي لان تكون امة هي اربى من امة يعني اكثر واعلى
من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا حلف
حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اي جماعة اكثر من جماعة
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا انما يبلوكم الله به يعني يختبركم بما امركم به من
الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق
ويعاقب المسيء المخالف قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين
واحد وهو دين الاسلام ولكن يضل من يشاء يعني بخذلانه اياه عدلا منه ويهدي من يشاء بتوفيقه
اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو قوله تعالى
ولتسألن عما كنتم تعملون يعني في الدنيا فيجزي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء او يغفر قوله عز وجل
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى
ايمانكم ويامنون اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا النهي تاكيدا عليهم واظهارا لعظم
امر نقض العهد قال المفسرون وهذا في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق
بنقض عهد قبله انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشريعته وقوله
فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية زلت قدمه والمعنى
فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم
عن سبيل الله يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره
نقض العهد فيكون هو ائمة على ذلك ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا
ولكن اوفوا بها انما عند الله يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد هو خير لكم هو
يعني من عاجل الدنيا ان كنتم تعلمون يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى
ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها يعني ويذهب وما عند الله باق يعني من
ثواب الآخرة ونعيم الجنة ولنجزين الذين صبروا يعني على الوفاء بالعهد في السراء والضراء اجرهم
يعني ثواب صبرهم باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فايده ذكر الذكر والانثى
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الايه وارده بالوعد
بالثواب والمبالغه في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم والرحمه اتى بما يفيد التاكيد وازال وهم التخصيص وقوله
وهو مومن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حياة طيبة قال سعيد بن جبير وعطا
هي الرزق الحلال وقال مقاتل يعني العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المومن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان
كان غنيا لان المومن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم
متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المومن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان
مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر
او الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص وكد ولا ينال
من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المومن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياه
الطيبه انما تحصل في القبر لان المومن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد
وقتاده في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب لاحد الحياه
الا في الجنه لان فيها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوه
فثبت بهذا ان الحياة الطيبه لا تكون الا في الجنه ولقوله في سياق الايه ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون لان ذلك الجزا انما يكون في الجنه قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى
الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذه وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان
ساعيا في القا الوسوسه في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذه بالله مانعه من ذلك فلهذا
السبب امر الله رسوله والمومنين بالاستعاذه عند القراه حتى تبقى مصونه من وسواس الشيطان
عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال
الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا ثلث والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ
بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر
وهمزه الموته اخرجه ابو داود الموته الجنون والفا في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الايه
يدل على ان الاستعاذه بعد القراه واليه ذهب جماعة من الصحابه والتابعين وهو قول ابي هريره
واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لان القاري يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس
في قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراه اندفعت تلك الوساوس
وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابه والتابعين ومن بعدهم من الايمه
وفقها الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذه مقدمه على القراه قالوا ومعنى الايه اذا
اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاه فاغسلوا وجوهكم
ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان

الوسوسه انما تحصل في اثنا القراه فتقديم الاستعاذه على القراه لتذهب الوسوسه عنه اولى من تاخيرها
عن وقت الحاجه اليها ومذهب عطا انه تجب الاستعاذه عند قراة القران سوا كانت في الصلاه او
في غيرها واتفق ساير الفقها على ان الاستعاذه سنه في الصلاه وغيرها وقد تقدمت هذه المسله
والخلاف فيها في اول سورة الفاتحه والاستعاذه الاعتصام بالله والالتجا اليه من شر الشيطان
ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المرده من الشياطين
لان لهم قدره على القا الوسوسه في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذه من الشيطان فكان ذلك
اوهم ان له قدره على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله تعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان
يعني ابليس له قدره وولايه على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم
على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذه انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا
وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا
بعصمه الله ولا قوه على طاعة الله الا بتوفيقه ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه
ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون
يعني بالله وقيل الضمير في به راجعة الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون بالله قوله تعالى واذا
بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل الايه وذلك ان المشركين من اهل مكه قالوا ان محمدا يسخر باصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقا نفسه فانزل الله هذه الايه
والمعنى واذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى
والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه فيما يغيره ويبدل من احكامه اي هو اعلم بجميع
ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله
قالوا انما انت مفتر اي مختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزله فما بالهم ينسبون محمدا
الى الافترا والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فايدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب
يامر المريض بشرب دوا ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويامره بغيره لما يرى فيه من المصلحه بل اكثرهم لا يعلمون
يعني يجهلون فايدة الناسخ وتبديل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله يعني القران
روح القدس يعني جبريل نزل بالقران اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحه
الخير والمعنى الروح المقدسه المطهره من ربك يعني ان جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد بالحق
ليثبت الذين امنوا يعني ليثبت بالقران قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا وهدى
وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر وذلك
ان كفار مكه قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان اخر وهو ادمي مثله وليس
هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك
البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكه اسمه بلعام وكان نصرانيا
اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا
يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيره يقال له

يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان
يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى
ابا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فربما مر بهما
النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اذاه الكفار يقعد اليهما فيستروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال
المشركون انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان وقد اسلم وحسن اسلامه وكان
اعجم وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك
فاجاب عنه الله تعالى وانزل هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى
لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون ويشيرون اليه اعجمي يعني هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه
وان كان ينزل البادية ومنه سمي زياد الاعجم كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى
العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب
وهو منسوب الى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب
هو ان الذي يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم
جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو
اعجمي على مثله وان فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت بهذا البرهان
ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون ولا
هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون
اليه اسلم وحسن اسلامه ان الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة ثم اخبر الله
ان الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني انما
يقدم على الفرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله وهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر واولئك
هم الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تعالى انما يفتري الكذب
فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون وان هو الاول قلت قوله انما يفتري الكذب اخبار عن فعلهم
وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول
ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبائر لان الكاذب المفتري
هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول
الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب
قال لا قال الله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى من كفر بالله من بعد
ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه
ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما

سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما
اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة
اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال
شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية وقال
مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا
الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش ففتنوهم عن دينهم
فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة
وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان
ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى ان يقال ان الاية
عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت التكلم على
الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء في الا من اكره قلت المكره
لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة
والله اعلم فصل في حكم الاية قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه
بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات
القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الآخرون
والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو
يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب
لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر لا يجوز له
ان يتلفظ بكلمة صريحة بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك
بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان
افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم
يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير
والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر او يأكل الميتة او لحم
الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان
افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد
وذلك يوجب يمنع من انتشار الآلة فلا يتصور منه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره
فقال الشافعي واكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي

ومن وافقه بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجوده فوجب حمله على
نفي آثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو
القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من
الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة يعني ذلك الاقدام على
الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني لا يرشدهم
الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم بعدم تفقههم واولئك هم
الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع
راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون ثم جاهدوا
وصبروا يعني على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور
رحيم نزلت هذه الآية في عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخوه
لامه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن
اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد
ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي سرح كان قد
اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح
مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله عليه السلام
فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة
فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل
نفس تجادل يعني تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير وشر مشتغلة بالمجادلة لا تتفرغ الى
غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن
نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس
الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها
والمعنى يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته والاهتمام بها ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل
منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني
جزاء ما عملت في الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا بل يوفون
ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب خوفنا
فقال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات
وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم لزفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه
حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى
عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما

تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا
رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش
بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت
عيناي وبه مشت رجلاي فيضرب لهما مثل اعمى ومقعد دخلا حائطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر
والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية المثل
عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة
عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للتشبيه قال الامام
فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا
او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون
شيئا موصوفا ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة
او غيرها والاكثرون من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل
مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اي جعلت القرية
التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته
فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان
المشبه والمشبه به وها هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية
عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم
النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم اي بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان
يكون المعنى ضرب الله مثلا القرية بدلا من مثلا لانها هي المثل لها في المثل فيجوز ان يكون المعنى
ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد
بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه
القرية قولان احدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح
والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم
الجوع قاله الحسن واقول هذه الآية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين
وهو الصحيح لان الله تعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات
موجودة في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم
فيصيبهم ما اصابهم من الجوع والخوف وصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الآية في
قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها
في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة انما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة
فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الآية فقوله تعالى
وضرب الله مثلا قرية يعني مكة كانت آمنة يعني ذات امن لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم
مطمئنة يعني قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب
ياتيها رزقها رغدا يعني واسعا من كل مكان يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله تعالى

يحمل اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات فكفرت يعني هذه
القرية والمراد اهلها بانعم الله جمع نعمة والمراد سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها
عليهم بالجحود والكفران لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك ان الله تعالى
ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا
فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان
احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا
ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم
وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت
تطيف وتغير على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه
صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا يذاق
بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع او يقال فاذاقهم طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف في الاذاقة
فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان
البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس
فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقها ما غشيهم
من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازي
جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو الطعام
فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع الثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه
احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة
تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان
التقدير عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق
بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر
عليهم من الظهور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء
اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرفت الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على
المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت لانه اراد
اهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا في
الامن والطمانينة والخصب ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
اليهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في اذاه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة
وسلط على اهل مكة البلاء الشديد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخراجه
من بين اظهرهم قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل
النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى
لما تقدم في الاية وهم ظالمون يعني كافرين فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا هذا القول متوجه الى المسلمين

هوم

يعني اهل مكة

وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم
رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الاول وهو الصحيح
فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس يريد فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم حلالا طيبا يعني ان
الله احل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم واشكروا نعمة الله يعني التي انعم بها عليكم
ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية في تفسير سورة البقرة فلم نعده هاهنا وقوله تعالى
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام يعني
انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون
اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو قوله تعالى لتفتروا على الله
الكذب يعني لا تقولوا ان الله امركم بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم اوعد المفترين
الكذب فقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه
لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا
يزول عنهم عن قرب فقال تعالى متاع قليل يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فاني
لا بقاء له ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر الاية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انا حرمنا عليهم
ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقوله ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الآية بيان فضل
الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر
المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر
عنه فعل قبيح من كفر او معصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما الجهل بقدر ما يترتب عليه من العقاب
او الجهل بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان من فعل السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من
عمل سوءا بجهالة ثم تاب واصلح العمل في المستقبل فانه يتوب عليه ويرحمه وهو قوله ثم تابوا من بعد ذلك
يعني من بعد عمل ذلك السوء واصلحوا يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة
على التوبة ان ربك من بعدها يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب وامن
رحيم يعني بجميع المؤمنين التائبين قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري
انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث التناهي
في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى فنادته الملائكة
وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق
الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ثم للمفسرين
في معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير ياتم به اهل

صلى الله عليه وسلم

الوجه الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية
وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتاده ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه
وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابرهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله
اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه
ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل
انما سمى ابرهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله قانتا لله يعني مطيعا لله وقيل هو القائم
باوامر الله حنيفا يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل من اختتن وضحى واقام
مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره
شاكرا لانعمه يعني انه كان شاكرا لله على انعمه التي انعم بها عليه اجتباه اي اختاره للنبوة واصطفاه للخلة
وهداه الى صراط مستقيم يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم وآتيناه في
الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم
وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركوا العرب
وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى ال ابرهيم وقيل انه آتاه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني في اعلى
مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمع الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون
من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابرهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امر الله
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم
يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم
مأمورا بشريعة ابرهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر الطبري اي باتباع
في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله حنيفا وما كان من المشركين تقدم تفسيره
قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا
فيه وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال
تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة ايام
لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم
عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد
عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم
اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا
الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم
القيمة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود
يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم
لنا تبع يوم القيمة نحن الآخرون في الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق قال الشيخ محيي الدين

في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول
الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم او الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي
فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة
بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرايعهم فيه فاختلفت احبارهم في تعيينه ولم يهدهم
الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض
وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضله فناظروه ان السبت افضل فقيل
له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال
الشيخ محيي الدين النووي ويمكن ان يكون امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه
ام لهم ابداله وابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه
يعني على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على
نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت
ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك وزاد الواحدي على هذا مقالة وهذا مما اشكل
على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو
اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال آخرون بل الاحد افضل لان الله تعالى
ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وانما اختار الاحد النصارى
بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق
الخلق في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ
فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى ان مبدأ
خلق الاشياء يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة
حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام
والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وهو اولى ووجه اخر هو ان الله تعالى
خلق فيه اشرف خلقه وهو آدم عليه السلام ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة اشرف الايام
لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة واخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئا
فكان ما اختاره الله تعالى لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم قال بعض العلماء بعث
موسى عليه السلام بتعظيم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ
يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة
كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا
اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اي وبال
السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة
وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت
على تحريمه فلم يصطادوا فيه شيئا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة وقوله تعالى وان ربك
ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيمة فيجازي المحسن بالثواب

يوم القيمة

والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة يعني ادع الى دين ربك يا محمد
وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة يعني ادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا تخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما
ينفعهم وجادلهم بالتي هي احسن يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول هم
الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها
فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى
يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم
الثاني هم اصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم
ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة اي
ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء
حكمة وم هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن يعني حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد
بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو موعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم
بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن
اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ
باية السيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انما عليك يا محمد
تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي
فيجزي كل عامل بعمله قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الايات
بالمدينة في شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم
احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن
ابي عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال
المسلمون حين راوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها
احد من العرب باحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه
واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها
لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو
اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحمة الله عليك فانك ما علمت ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني
ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك
فانزل الله عز وجل وان عاقبتم الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد
وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن
المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا به فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال

فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين فقال قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي رجل لا
وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل والانصاف
في هذه الاية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل
ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته
وفي الاية دليل على ان الاولى ترك الاستيفاء للقصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان
الترك اولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة
المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء
القصاص وفيه اجر للصابرين العافين فصل اختلف العلماء هل هذه الاية منسوخة
ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله
ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله
ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ هذا
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم
ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي
والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن
الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وفي ترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء
لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم قوله عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره بتوفيقه
ومعونته ولا تحزن عليهم يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معناه ولا تحزن على
قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني ولا
يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد
وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيدة
الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح
وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة
كانه قال ولا تك في امر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان
الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى
فلا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هو ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء
المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى ان الله مع
الذين اتقوا اي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي والذين هم محسنون يعني

يعني بالعفو عن اذى وهذه المعية يعني بالعون والفضل والرحمة يعني ان اردت ان اكون معك بالعون
والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان
يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية
في المال ولا مال لي ولكن اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة بني اسرائيل

فصل في نزولها قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها
مدني فروي عن ابن عباس انه قال هي مكية الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى
قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق
الاية وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله وان كادوا
ليفتنونك وقوله وان كادوا ليستفزونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات
وقيل واحد عشر اية وخمسمائة وثلث وثلاثون كلمة وستة الاف واربعمائة وستون حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه
الله عن كل شي هكذا ذكره بغير سند قال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت
الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله اسم علم للتسبيح وتفسيره تنزيه الله
من كل سوء وتنقيصه واصله في اللغة التباعد ومعنى سبحان الله تبعيده وتنزيهه عن كل ما لا ينبغي
الذي اسرى بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون
ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف
وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم يا عمرو لا تدعني الا بيا عبدها فانه
اشرف اسمائي وقيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة
ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية
فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل
فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري به في
بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر او اكثر فدلالة تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام
قيل كان الاسرا من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسياتي الكلام فيه بعد وقيل عرج به
من دار ام هاني بنت ابي طالب وهي بنت عمه اخت علي فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم
الى المسجد الاقصى يعني الى بيت المقدس سمي اقصى لبعده عن المسجد الحرام او لانه لم يكن حينئذ
وراه مسجد الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا
لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
واليه يحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرا كان الى بيت المقدس

والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى
قلت كان عروجه الى السماء على المعراج وفايدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده
الى السماء اولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به
عنه من العلامات التي فيها وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السماء فجعل الاسرا الى المسجد
الاقصى كالتوطية لمعراجه الى السماء وقوله تعالى لنريه من اياتنا يعني من عجايب قدرتنا فقد
راى محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الانبياء وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من
في قوله من اياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق ابرهيم عليه السلام وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابرهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم
ولا قايل به فما وجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا ولايات الله
افضل من ذلك واكثر فالذي اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان
افضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابرهيم
صلى الله عليه وسلم انه هو السميع لاقوال محمد ودعايه البصير لافعاله والحافظ له في ظلمة الليل
وقت اسرايه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير
بما ردوا عليه من التكذيب وقيل هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بافعالهم فيجزي كل عامل
بعمله فحمله على العموم اولى

فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من
الاحكام وما قال العلما فيه ق عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع
ومنهم من قال بين النايم واليقظان اذ اتاني ات فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه
فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى
شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد
ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة فقال انس
نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى السماء
الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه
فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى
فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل

من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح
فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء السادسة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا
ابرهيم قال هذا ابوك ابرهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كاذان الفيلة
قال هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان
يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت
المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي
انت عليها وامتك قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على
موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين
صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع
الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت فقال مثله فرجعت فوضع
عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى
فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال
ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد
المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم
فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية اجزي بالحسنة
عشرا وفي رواية بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم
ثم ملئ حكمة وايمانا وفيه فرفع لي البيت المعمور فسالت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي
فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم ق عن انس بن مالك قال
كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن

السماء

الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه
قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من
هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه واهل اليمين اهل الجنة والاسودة
التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى اتى
السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الاولى الدنيا قال انس
ابن مالك فذكر انه وجد في السماوات ادم وادريس وعيسى وموسى وابرهيم ولم يثبت كيف منازلهم
غير انه ذكر انه وجد ادم في السماء الدنيا وابرهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس
قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا عيسى قال
ثم مررت بابرهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابرهيم قال
ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ما
فرض ربك على امتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان
امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت
الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة
المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك ق عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من
مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو
فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة
اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل
ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ماء زمزم فشق جبريل ما
بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من
ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه
ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من
هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا
يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا
ادم عليه السلام قال جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا واهلا بابني نعم
الابن انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال

قال

هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب
بيده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء
الثانية فقالت الملائكة مثل ما قالت الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد
بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة قالوا مثل ما قالت الاولى والثانية
ثم عرج به الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا مثل ذلك كل سماء فيها انبياء
فقد ثم عرج به الى السماء السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا مثل ذلك كل
سماء فيها انبياء قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة
لم احفظ اسمه وابرهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال موسى رب لم اظن ان
ترفع علي احدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه احد الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما يوحي اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم
وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين
صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى
الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى
فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى
موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى
عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه
فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك
يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه
عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعيفة اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف
فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب
فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف
فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها فقال موسى قد والله راودت بني اسرائيل
على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد
الحرام هذا لفظ حديث البخاري واخرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث
ثابت البناني المسند وذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم
وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما اورده على نصه اخرجه مسلم
وهو من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس
قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل

محمد

وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لي
بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابرهيم عليه السلام
مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى السدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة
كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها لم
تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع
الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه هذه رواية مسلم واخرج الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا فما ركبك احد
اكرم على الله منه فارفض عرقا اخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت
الى ربي فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك
خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها من امر الله صري
فلم ارجع فصل قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري
ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن ابي نمر عن انس واحال اهل العلم
ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثني عشر سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت
عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض لا يصح لان هذا كان رؤيا

الامر فيه على شريك وذلك انه
ذكر فيه ان ذلك كان قبل ان

في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة
بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التي رآها من قبل كما انه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية
سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في هذا الحديث اوهام
انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى
اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسراء اقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر
شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل
قال الشيخ محيي الدين واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق واما قوله في رواية شريك وهو نائم
وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا
حجة اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا
كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري
في رواية شريك هذه عن انس في كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق
في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابي نمر
عن انس وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة
من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس
فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت
قبل هذا هي المعول عليها فصل في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة
الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر
في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان
ذلك في المنام والذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء الحقوم
والمحدثين والمتكلمين انه اسري بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل
على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال
كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة
ايضا وعن معوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله
عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق
لسرعته او لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلالئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد
بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا
كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار
والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل
اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة

بخلاف

بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بي حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استاذن ان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه مكروه وفيه ان للسماء
ابوابا وبوابين وان عليها حرسا وقوله وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه
للاسراء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة
هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء اهل
الفضل والصلاح والبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان
في وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابرهيم مسند ظهره الى البيت
المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بي الى سدرة
المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما هبط من فوقها وما
يصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي
الجرة الكبيرة التي تسع قربتين او اكثر قوله فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين
معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته منه اولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم ازل ارجع
بين موسى وبين ربي معناه موضع مناجاة ربي عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرؤيا بين م
وما يتعلق بها فانه سياتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى
قوله فرض الله على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني عشرا
وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس
المراد منه التنصيف واما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني
وقتادة وهي اثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الى اخره ثم قال هي خمس وهي خمسون يعني خمسين
في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل
فعله وفي اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا في صغره وهو عند
حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشرح الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج
وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر
كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قبل تحريمه
وقوله ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ
صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان
والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في
صفة ادم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد
فسر في الحديث بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في
السماء وارواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء فالجواب عنه بانه يحتمل
ان ارواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على ادم مرور
النبي صلى الله عليه وسلم به فاخبر بما راى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فانه شفقة

الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المومن منهم وحزنه على سوء حال الكافر منهم وقوله في ادريس
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليه السلام فيكون
جد النبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابرهيم جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي صلى الله عليه وسلم والابن الصالح كما قال ادم
وابرهيم عليهما السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابرهيم
فليس هو جدا لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس
ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا
لان الانبيا اخوة والمومنون اخوة والله اعلم

فصل في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق احاديث تتعلق بالاسرا قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو
الصديق قال ابن عباس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسري بي اصبحت بمكة فضقت
بامري وعرفت ان الناس مكذبي فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس
اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت
المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكره مخافة ان يجحده الحديث
ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فانتفضت المجالس
وجاوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين
قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع
يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين
الى ابي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس فقال او قد قال ذلك
قال نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل
ان يصبح قال نعم لاني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة فلذلك
سمي ابو بكر الصديق قال وكان في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
المسجد قال نعم فذهبت انعت وانعت حتى التبس علي قال فجي بالمسجد الحرام وانا انظر اليه حتى وضع
دون دار عقيل فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا
يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا
وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته
كما كان فسلوا هل وجدوا الماء حين رجعوا قالوا هذه اية قال ومررت بعير بني فلان وفلان
وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت فسلوهما عن ذلك قالوا
وهذه اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها فقال
كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال
نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع
عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله
لقد قص محمد شيا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه

اذ قال

اذ قال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان
وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة
ما كربت مثله قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من
الانبيا فاذا موسى قايم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قايم يصلي اقرب
الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابرهيم قايم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه
صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال لي قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه فالتفت اليه فبداني بالسلام ق عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش
قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية
لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق بها الحجر وشد به
البراق اخرجه الترمذي فان قلت كيف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف
صلى بالانبيا في بيت المقدس ثم وجدهم في السماوات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة
من الانبيا ببيت المقدس بعد الموت وهم في الدار الاخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم
بالانبيا ببيت المقدس يحتمل ان الله جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم
ثم ان الله تعالى اراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم واما روية
موسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج واما حكم
صلاة الانبيا وهم في الدار الاخرة فهم في حكم الشهدا بل افضل منهم وقد قال الله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا فالانبيا احيا بعد الموت واما حكم
صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا وذلك من اعمال الآخرة قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك
اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس يحتمل ان الله خصهم بخصايص
في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصايص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راهم
يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق قوله تعالى واتينا موسى الكتاب يعني
التوراة وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرايل ان لا تتخذوا يعني وقلنا لهم لا تتخذوا من
دوني وكيلا يعني ربا وكفيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
يعني نوحا فانه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله
فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب يعني اعلمناهم
واخبرناهم فيما اتيناهم من الكتب انهم سيفسدون وهو قوله لتفسدن في الارض مرتين قال
ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في
لتفسدن لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام
وبيت المقدس ولتعلن يعني لتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما

لي قريش

على ابراهيم

يعني أول المرتين قيل إفسادهم في المرة الأولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل
إفسادهم في المرة الأولى قتل شعيا في الشجرة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادًا لنا يعني جالوت
وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنحاريب من أهل نينوى وقيل هو بخت نصر البابلي وهو الأصح
أولي بأس شديد يعني ذوي بطش شديد وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار يعني طافوا بين الديار ووسطها
يطلبونكم ليقتلوكم وكان وعدًا مفعولًا يعني قضاءً كائنًا لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني
رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد وأمددناكم بأموال
وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا يعني أكثر عددًا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم يعني لها ثوابها وجزاء إحسانها
وإن أسأتم فلها يعني فعليها عقاب إساءتها فإذا جاء وعد الآخرة يعني المرة الآخرة من إفسادكم وهو
قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه إليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم
الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله ليسوؤوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويغيظوكم وقرئ بالنون
أي لنسوء الله وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه كما دخلوه أول مرة يعني وقت
إفسادهم الأول وليتبروا ما علوا تتبيرًا يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني إسرائيل إهلاكًا

ذكر القصة في هذه الآيات قال محمد بن إسحق كانت بنو إسرائيل
فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزًا عنهم ومحسنًا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب
ذنوبهم أن ملكًا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيًا يسدده ويرشده
ولا ينزل عليهم كتابًا إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه
شعيا بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
فقال أبشري أوريشلم ومعناه أبشري الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك
الملك يعني صديقة بني إسرائيل وبيت المقدس زمانًا فلما انقضى ملكه عظمت الأحداث فيهم وكان
معه شعيا فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرًا حتى نزل حول بيت
المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعيا إليه وقال يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب
ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل
أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده فقال شعيا لم يأتني
وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته
ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بني إسرائيل فقال إن ربك قد
أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت فلما
قال ذلك شعيا لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى
بقلب مخلص اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف يا الذي لا
تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله منك وأنت أعلم
به مني سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدًا صالحًا فأوحى الله إلى شعيا أن يخبر صديقة
أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فأتاه شعيا
فأخبره فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدًا وقال إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت

وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين
أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقة
فيأمر عبدًا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي
فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علمًا بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له إني قد
كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه
فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك فاخرج فإن
سنحاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه
الطلب في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم بخت نصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك
فلما رآهم خر ساجدًا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال لسنحاريب كيف رأيت
فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم
ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدًا ولم يلقني في الشقوة إلا قلة
عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم
بما شاء إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة
في الدنيا وعذابًا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا فتنذروا من بعدكم ولولا
ذلك لقتلتكم ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم إن
ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يومًا
حول بيت المقدس وإيلياء وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير فقال سنحاريب
للملك صديقة القتل خير مما يفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعيا النبي أن قل للملك
أن أرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا
بلادهم فبلغ ذلك شعيا الملك ففعل فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع
الناس فأخبرهم كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص
عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان
أمر سنحاريب تخويفًا لبني إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث
بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابن ابنه بخت نصر فعمل بعمله وقضى بقضائه
فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك
حتى قتل بعضهم بعضًا وشعيا نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا
قم في قومك أوحي على لسانك فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا أرض انصتي فإن
الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم
على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاذتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى
مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضًا

حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطية لا يدرون انى جاءهم الحين ان البعير مما
يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي
سمن فيه فينتابه وان هولاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الحين وهم اولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر
ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خوآ زمانا لا عمران فيها وكان
لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي او يقال ضيع وهو حكيم
فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط لها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان
والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا قويا امينا فلما
اطلعت جا طلعها خروبا قالوا بيست الارض هذه نرى ان نهدم جدارها ويدفن نهرها ويقبض
قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم
الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذي
اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وان قد قضيت قضاهم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي عليهم
بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان يتقربوا الي بالتقوى والكف عن ذبح
الانفس التي حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمايها يشيدون لي البيوت
مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المسا
جد ويزينونها ويخربون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست
اسكنها واي حاجة الى تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح
فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا
ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عوا الكلاب الذياب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله
فسلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب
المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه
بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك حرمتي
محارمي ام كيف تزكو صدقاتهم عندي وهم يتصدقون باموال غيرهم انما اجر عليها اهلها
المغصوبين ام كيف استجيب دعاهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما
استجيب للداعي اللين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا
المساكين يقولون لما سمعوا الكلام وبلغتهم رسالاتي انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة
وتاليف مما يولف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو
شاوا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت
السموات والارض قضا اثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا لا بد انه واقع
فان صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا
يقدرون على ان ياتوا بما يشاون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضيه فاني مظهره على الدين
كله ولو كره المشركون فان كانوا يقدرون على ان يولفوا ما يشاون فليولفوا مثل الحكمة

التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السما والارض ان اجعل النبوة
في الاجرا وان اجعل الملك في الرعا والعز في الاذلا والقوة في الضعفا والغنا في الفقرا والعلم في الجهلة
والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القايم بها ومن اعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون فاني من ضالين
باعث لذلك نبيا اميا اعمى من عميان ضلالا من ضلال ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته
خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا واخلاصا لي
يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون
ديارهم واموالهم ابتغا رضاي الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد لي رضواني
في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على
رووس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماوهم
واناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل
العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت
له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها
فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرايل بعد ذلك رجلا منهم
يقال له ناشية بن اموص وبعث اليهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران
وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا
فبعث الله ارميا الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا
المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ائت قومك من بني اسرايل فاقصص
عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز
ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى او لم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان
القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شيت اني معك ولن يصل اليك شي معي فقام ارميا
ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب
المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم
ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث اهل
بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستماية الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده
ووطى الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم

نزعة ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس
كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده
واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولاء الصبيان
الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وفرق
من بقي من بني اسرائيل ثلث فرق ثلثا اقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بانية بيت المقدس
وبالصبيان السبعين الالف حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله عز وجل
ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بختنصر
واصحابه ثم ان بختنصر اقام في سلطانه ما شاء الله ثم راى رويا عجيبة اذ راى شيا
اصابه فانساه الذي راى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا من ذراري الانبيا
وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها قال ما اذكرها ولين لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن
اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاووه فقالوا رايت تمثالا
قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وراسه
وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله صخرة من السما
فدقته فهي التي انسيتها قال صدقتم فما تاويلها قالوا تاويلها انك اريت ملك الملوك بعضهم كان الين ملكا
من بعض وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا الفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد
منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن من الفضة ثم الحديد ملكك
فهو اشد واعز مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السما فدقته نبي يبعثه الله
من السما فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبختنصر ارايت هولاء الغلمان
من بني اسرائيل الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نسانا منذ كانوا معنا لقد
راينا نسانا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شانكم بهم
فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا
اصابنا البلا بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال
وحنانيا وعزاريا وميشايل ثم لما اراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل
ارايتم هذا البيت الذي اخربت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهولا
اهله كانوا من ذراري الانبيا فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات
والارض ورب الخلايق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم
فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السما العليا
فاقتل من فيها واتخذها ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلايق قال
لتفعلن او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل بقدرته بعوضة فدخلت
منخره حتى عضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات
شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له راسه
ليري الله العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني اسرائيل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا

على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى احيا اوليك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام
دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل
فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير
ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا واخرتنا غيره قال افتحب
ان يرد اليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه
ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتى ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه
من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيا
قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم
الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى
وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت ال داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه
فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بني اسرائيل
بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من
روسا جنوده بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني كنت قد حلفت بالاهي لين ظفرت على
اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتله فامره
ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا
يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقال يا بني اسرائيل ما شان هذا الدم يغلي اخبروني
خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يتقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمان
ماية سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل
منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على
ذلك الدم سبعماية وسبعين روحا من روسهم فلم يهدا الدم فامر بسبعماية غلام من غلمانهم فذبحهم
على الدم فلم يهدا فامر بسبعة الاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فلما راى
بيورزاذان ان الدم لا يهدا قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طالما
ملكتم في الارض تفعلون ما شيتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر ولا انثى الا قتلته
فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة
من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه فقتلناه
فهذا دمه قال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل
هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا
ابواب المدينة واخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس وخلا في بني اسرائيل ثم قال يا
يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن
ربك قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم
القتل وقال امنت بما امنت به بنو اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال لبني اسرائيل ان خردوس

امرنا ان اقتل بني اسرائيل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم يظن خردوس الا ان ما في الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بوزرادان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرائيل او كاد وهي الوقعة الآخرة التي انزل الله ببني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بخت نصر وجنوده والآخرة خردوس وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بني اسرائيل كثير وكثيرة وكانت لهم الرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوي بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا اعطاها ما سألت سألت راس يحيى بن زكريا ان يؤتى به في طست ففعلت فلما راودها قالت لا افعل حتى تعطيني ما اسألك قال فما تسألين قالت راس يحيى ابن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتي براسه حتى وضع بين يديه والراس يتكلم يقول لا يحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي فامر بتراب فالقي عليه فرقا الدم يغلي فلا زال يلقي عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي سجنا ومحبسا وقيل الحصر الذي هو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار في الآخرة ويدع الانسان اي على نفسه وولده وماله بالشر يعني قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين اي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا اما

يعني القرآن

في الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام فهذا اقوى دليل على انهما مدبرين يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا في الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني ان يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسة مظلما لا يستبان فيه شيء وجعلنا آية النهار مبصرة اي يبصر فيها الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكوا عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا اي باختلاف الليل والنهار عدد السنين والحساب اي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شيء فصلناه تفصيلا يعني وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم فبيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر هما نعمتان من الله على اهل الدنيا وكل ذلك تفضلا منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان كالقلادة او الحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في العنق وهو مما يشينه ونخرج له يوم القيامة يقول الله تعالى ونحن نخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قيل تبسط للانسان صحيفتان ويوكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه في قبره فلا تنشران الى يوم القيامة اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك وقيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني محاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يواخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنب نفسه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة عليهم وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها في معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الاية يدل على انه تعالى بما ذا امرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها هلاك استيصال والدمار الهلاك والخراب ق عن ام المومنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اي المكذبة من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية تخويف لذلك كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معوية اخره وقيل القرن مائة سنة ويروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني انه عالم بجميع المعلومات راي لجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد ان نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي القدر الذي نشاء لا ما يشاء هو لمن نريد ان نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له اي في الاخرة جهنم يصلاها اي يدخلها مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله ونيته فان من اراد الغرور والسعي بما كان له من العمل وترك ما امر به والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة من عطاء ربك اي نرزقهما جميعا ثم يختلف بهما

الحال

الحال في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لا حظ للكفار في الاخرة انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقامة قوله لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اي وامر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام فخر الدين في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين الا تعبدوا الا اياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما في اول العمر واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد نفخت فيه لتزيله فتقول اف ثم انهم توسعوا فذكروا هذه الكلمة عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله ولا تنهرهما اي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قيل هو ان تقول يا ابتاه يا اماه ولا يسميهما باسمائهما ولا يكنيهما وقيل هو ان تقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل اي الن لهما جانبك واخفض لهما حتى لا تمتنع من شيء احباه من الرحمة اي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اي وادع الله لهما ان يرحمهما رحمته الباقية واراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى

وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فترحمهما وقيل في معنى هذه الآية
ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان
اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنبو وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها
بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما **فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين** ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن
صحابتي قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم
انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل الجنة م
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال احي
والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى
الوالد وسخط الرب في سخط الوالد اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو اصح عن ابي الدرداء
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فاضع ذلك الباب
او احفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ق عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين
قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من بر الوالدين
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير او عقوقهما ان تكونوا صالحين اي ابرارا مطيعين قاصدين
الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وبرهما وقيل او فرطة
منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر مما لا يخلو منه البشر شيء يودي لهما اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم مما فرطت منكم فانه كان للاوابين اي للتوابين غفورا قال سعيد
ابن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ
به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه
الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما يحزبه وينوبه وعنه انهم المسبحون
وعنه هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد
ابن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين
اذا رمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى
وان تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها
والفصال جمع فصيل وهو اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب
والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون
بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين قوله تعالى وآت ذا القربى قيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم امره الله تعالى ان يؤتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه
وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة وان يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة
وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا

محاويج

محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة وقال الشافعي لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده او الولد
على الوالد فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا اي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا
ولو انفق درهما او مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال
في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة
في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين يعني اولياءهم واعوانهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وقيل
امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه شر من الشيطان والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو اخوهم
وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا للنعم فما ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى مثل فعله قوله عز وجل واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي
صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك
عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها اي انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم قولا ميسورا اي لينا جميلا اي
عدهم وعدا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان تقول لهم رزقنا الله واياكم من فضله قوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا
ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا
وقتا آخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظر
فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك اي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها
ولا تبسطها اي بالعطاء كل البسط اي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح
واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما اي عند
واصحابكم
الله لان المسرف غير مرضي وقيل ملوما عند نفسك وقيل يلومونك على تضييع المال بالكلية
وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم محسورا اي منقطعا بك لا شيء عندك
تنفقه وقيل محسورا اي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ان
ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد انه كان بعباده
لبخل بل لاجل
خبيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم باحوال عباده وما يصلحهم فالتفاوت في ارزاق العباد ليس
لاجل بخل بل لرعاية مصالح العباد قوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي فاقة وفقر
نحن نرزقهم واياكم وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة او يخافون
عليهم من النهب والغارات او انهم ينكحوهن لغير الاكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد
فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب

الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء ﴿ان قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ اي اثما كبيرا ﴿ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة﴾ اي قبيحة زايدة على حد القبح ﴿وساء سبيلا﴾ اي بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب
امراة غيرك او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى وقيل
ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط
الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد
وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق﴾ الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض
فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي تحصل فيها حل القتل
وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق اي الا باحدى ثلث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
الا باحدى ثلث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه
في الصحيحين ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ اي قوة وولاية على القاتل
بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ الدية وان
شاء عفى ﴿فلا يسرف في القتل﴾ اي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك
انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا اشرف منه وقيل معناه اذا
كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا
فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربايه وقيل معناه لا يمثل
بالقاتل ﴿انه كان منصورا﴾ وقيل الضمير راجع الى المقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا بايجاب
القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول
معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه والدية وقيل في قوله فلا يسرف
في القتل اراد به القاتل المتعدي يقول لا يتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولي
المقتول منصور من قبله عليه باستيفاء القصاص منه قوله تعالى ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن﴾ اي الطريقة التي هي احسن وهي تثميره وحفظه عليه ﴿حتى يبلغ اشده﴾ هو
بلوغ النكاح والمراد بالاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله فلو بلغ
غير كامل عقله لم ينفك عنه الحجر ﴿واوفوا بالعهد﴾ اي الاتيان بما امر الله والانتهاء عما
نهى عنه وقيل المراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ﴿ان العهد كان مسئولا﴾
اي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسال عن صاحبه فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسال فيم
قتلت قوله عز وجل ﴿واوفوا الكيل اذا كلتم﴾ المراد منه اتمام الكيل ﴿وزنوا بالقسطاس
المستقيم﴾ قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو اكبر منه
وقيل هو القبان وقيل هو رومي معرب والاصح انه عربي ماخوذ من القسط
وهو العدل اي زنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان
الكيل

الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز منه وانما
عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشرا فالشارع بالغ
في منع التطفيف والنقصان سعيا في ابقا الاموال على اربابها ﴿ذلك خير واحسن تاويلا﴾ اي
احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه امره قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم ﴿تقف﴾ اي ولا
تتبع ﴿ما ليس لك به علم﴾ اي لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل
معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من
القفا كانه يقفو الامور يتبعها ويتعرفها وحقيقته ان لا تتكلم في احد بالظن ﴿ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا﴾ معناه يسال المرء عن سمعه وبصره وفؤاده
وقيل يسال السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في اولئك الى الاعضا
وعلى القول الاول ترجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا نبي الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري
ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله ومن شر منيي يعني ما ذكره قوله عز وجل ﴿ولا تمش في الارض
مرحا﴾ اي بطرا وكبرا وخيلاء ﴿انك لن تخرق الارض﴾ اي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ اخرها ﴿ولن
تبلغ الجبال طولا﴾ اي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان
لا ينال بكبره وبطره شيا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء
وقيل ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل
له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذي في الشمايل قوله تكفيا التكفو
التمايل في المشي الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفو اي كانه ينحدر من
موضع عال عن ابي هريرة قال ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذي قوله لغير مكترث
اي غير شاق والاكتراث الامر الذي يشق على الانسان ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾
اي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنه فيما تقدم فان قلت كيف قال سيئة مع قوله مكروها
قلت فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة وقيل مجازه كل ذلك كان
سيئه وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو
مذكر قوله تعالى ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات ﴿مما اوحى
اليك ربك من الحكمة﴾ اي ان الاحكام المذكورة في هذه الايات شرايع واجبة الرعاية في جميع
الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة لهذا الاعتبار وقيل ان
حاصل هذه الايات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا
والاقبال على الاخرة ثم ذلك من الحكمة وقيل ان هذه الايات كانت في الواح موسى عليه السلام اولها

ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة واعلم ان الله تعالى افتتح هذه
الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب
ان يكون فيه التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه تعالى ذكر في الآية الاولى ان
الشرك يوجب كون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم
ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم ان كونه مذموما معناه ان الفعل الذي اقدم عليه
قبيح ومنكر فهو مذموم ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم
والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعود المطرود عن
كل خير قوله عز وجل افاصفاكم ربكم بالبنين يعني اخلصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه
ما ليس بصفوة بالبنين يعني خصكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لانهم
كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا
يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني
باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون
له ما تكرهون لانفسكم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن يعني العبر والحكم
والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اي ليتعظوا
ويعتبروا وما يزيدهم اي تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق قل يا محمد
لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا اي لطلبوا يعني الآلهة الى ذي العرش سبيلا
اي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه ليتقربوا الى الله
وقيل معناه لعرفوا الله فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد مما يصفونه به
قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني الملائكة والانس والجن
وان من شيء الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات والنباتات
وقيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل
ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان
الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا
فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا فاذا توسخ ترك التسبيح وان
الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقيل وان من شيء جماد
او حي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا
كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا
نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضلة من ماء فجيء باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي
على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رايت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل اخرجه البخاري م عن جابر بن سمرة قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت اني لاعرفه الآن خ عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي
رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال
بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان
الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح
والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات
لا يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفهمون
ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا اي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن
اعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت
امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك
لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت
جئت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا
على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وفي آذانهم وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلو القرآن ولوا على ادبارهم نفورا
جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به اي من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن اعلم بالوجه
الذي يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرأ القرآن واذ هم
نجوى اي وهم يتناجون بينهم في امرك وقيل معناه ذوو نجوى فبعضهم يقول هو مجنون وبعضهم
يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة واصحابه
ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه مسحور مختل العقل وقيل
هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر ارانا موضعين
لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب اي نغذى انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه
فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وحاروا فلا يستطيعون
سبيلا اي الى الطريق الحق وقالوا ائذا كنا عظاما اي بعد الموت والبلى فقال
الله تعالى ردا عليهم قل لهم يا محمد كونوا حجارة اي في الشدة او حديدا اي في القوة
وليس هو امر الزام بل هو امر تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديدا
في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم قيل يعني السماء والارض والجبال لانها
اعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شيء في نفس ابن آدم اكبر من الموت ومعناه
لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا بعد
الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة

فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بقولك ويقولون متى هو
يعني البعث والقيامة قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة
فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم
ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المومنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون
ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا ربما
الفا الوفا من السنين عد ذلك قليلا بالنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل
انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن
وذلك ان المشركين كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي احسن اي لا يكافوهم على سفههم
بل يقول له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن
الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المومنين بان يقولوا
ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان
ينزغ بينهم اي يفسد ويلقي العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم اي يوفقكم للايمان فيومنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك
فتعذبوا وقيل معناه ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشا يعذبكم اي يسلطهم
عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال وربك
اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات
والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من
المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم
واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك انه اتخذ ابرهيم خليلا وكلم موسى
تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتى داود زبورا وذلك
قوله تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله على داود ويشتمل على مائة وخمسين
سورة كلها دعاء وثنا على الله وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا
احكام فان قلت لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبيا قلت فيه وجوه
احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا
وذلك ان داود اعطي مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان
التفضيل المذكور في الآية المراد منه العلم لا الملك والمال الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان
محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان
لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فكذبهم الله بقوله واتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لم تنكروا
تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاه القران وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى
الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق ذلك فضل الله يوتيه من يشا

وهو الخطاب مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ليدعو لهم قال الله عز وجل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم اي الجوع والقحط ولا تحويلا اي الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية
الرد على المشركين حيث قالوا لسنا اهلا لان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين
اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج
على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز الهتهم ثم قال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم — بعض الانبيا عدهم المشركين الهة
الوسيلة اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس
والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون
نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل
هذه الآية وقوله تعالى ايهم اقرب معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل
ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة ويرجون
رحمته اي جنته ويخافون عذابه وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف تزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن
غيرهم من الخلايق قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة اي بالموت والخراب او
معذبوها عذابا شديدا اي بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المومنين
هو بالاماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في
هلاكها كان ذلك في الكتاب المحفوظ مسطورا اي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر
ما هو كاين الى الابد اخرجه الترمذي قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
قال ابن عباس سال اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم
ليزدرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان استانى بهم فعلت وان شئت اوتيهم
ما سالوا فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستانى
بهم فانزل الله وما منعنا ان نرسل بالآيات اي التي سالها كفار قومك الا ان كذب بها الاولون
اي فاهلكناهم فان لم تومن قومك بعد ارسال الآيات اهلكتهم لان من سنتنا في الامم اذا سالوا الآيات
ثم لم يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم
ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى واتينا
ثمود الناقة مبصرة اي بينة وذلك لان اثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم
وواردهم فظلموا بها اي جحدوا انها من عند الله وقيل ظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم
بالعقوبة وما نرسل بالآيات الا تخويفا اي وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب
فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الا تخويفا اي انذارا

بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان تخويف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل واذ قلنا لك
اي واذكر يا محمد اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي ان قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون
على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على امر من الامور الا بقضائه
وقدرته وحافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ الرسالة ليظهرك ويقويك على ذلك
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الاكثرون من المفسرين على ان المراد منه ما رآه النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق
وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال
قوم اسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين في اليقظة
ومعراج رؤيا منام وقيل اراد بهذه الرؤيا ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل
مكة هو واصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه
في ذلك العام المقبل وانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
رأى في المنام ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه ذلك فان اعترض على
هذا التفسير وقيل السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال
فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان حقيقته بالمدينة والشجرة الملعونة
في القرآن يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه
طعام ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن ابي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم يوعدكم بنار
تحرق الحجارة ثم يزعم انه ينبت شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى
قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال ابو جهل يا جارية تعالي فزقمينا
فاتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى حين
عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم
في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت
بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل
جهنم في ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث التي تلتوي
على الشجر والشوك فيجففه ونخوفهم فما يزيدهم اي التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا
عظيما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت
طينا اي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب
فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي قال يعني ابليس ارأيتك الكاف لتأكيد المخاطبة المعنى
اخبرني هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته
الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم

سلطان قال الله تعالى اذهب اي امض لشأنك وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اي مكملا قوله عز وجل واستفزز اي استخف واستزل
من استطعت منهم اي من ذرية آدم بصوتك قال ابن عباس معناه بدعائك
الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب
واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي اجمع عليهم مكايدك وحيلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه
استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل او مشى
في معصية فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فكل مال اصيب من حرام او انفق في حرام وقيل
هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم او يحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد
قد روي عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هو تسميتهم اولادهم عبد العزى
وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه وقيل هو انهم رغبوا اولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية
ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امرأته
وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين
يشاركهم فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة
نار قال ذلك من وطء الجن وعدهم اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان
الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان يقرر اولا انه لا مضرة في فعلها وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار
ولا حياة بعد هذه الحياة فتقرر عنده انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي فاذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا
الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهو طريق الدعوة الى المعصية
ثم ينهى عن فعل الطاعات ثم ينهى عن فعل الطاعات وهو ان يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها
وقيل معناه عدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر هذه الاشياء بصيغة
الامر والله تعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول
القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي تزيين الباطل بما يظن
انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما يكون زاجرا لهم عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان
الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعوا الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعوا الى معرفة
الله ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعوا اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق
عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت
هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني عباده الانبياء
واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوائهم وكفى بربك وكيلا اي حافظا والمعنى انه تعالى لما ابقى
ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى
وكفى بربك وكيلا اي فالله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه
ويعصم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني من الجنة
لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من

استطعت منهم الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي وانى لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك
ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني فقال
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبياء وانزلت كتبا فما قرآني
قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال فمن رسلي قال الكهنة قال ايش مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي
قال فما شرابي قال الخمر كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق قال وما
حبائلي قال النساء قال وما اذاني قال المزمار قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم اي يسوق ويجري لكم الفلك
اي السفن في البحر لتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها انه كان بكم رحيما
اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها واذا مسكم الضر في البحر اي الشدة وخوف الغرق
في البحر ضل من تدعون اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها
لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم فلما نجاكم اي اجاب دعاكم وانجاكم من هول البحر وشدته الى البر اعرضتم
اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعم وهو قوله وكان الانسان كفورا اي جحودا افامنتم اي
بعد انجايكم ان يخسف بكم جانب البر اي نغوره والغيران الجهات كلها له وفي قدرته برا كان او بحرا بل ان كان
الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء
او يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حجارة من السماء كما امطرها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا
اي حافظا وناصرا ام امنتم ان يعيدكم فيه اي في البحر تارة اي مرة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
فيغرقكم قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره
فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعم واعراضكم حين انجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا التبيع المطالب
والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثأر من جهتنا
وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال ابن عباس هو انهم
ياكلون بالايدي وغير الادمي ياكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم
وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل
بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بانهم
خير امة اخرجت للناس وحملناهم في البر اي على الابل والخيل والبغال والحمير والبحر اي وحملناهم
في البحر على السفن وهذا من موكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها وليعينوا
بها على مصالحهم ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل السمن والزبد والتمر والحلو
وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا
باطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا اعلم ان الله تعالى قال في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا
بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله كرم الانسان على سائر
الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة
ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو
التفضيل ثم قال تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير

من خلقه لا على الكل وقيل فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا
على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا
على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله
تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم
وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة
فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل
وهو الاولى الراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل
من عوام بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال
الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن
اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده قوله عز وجل يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بنبيهم وقيل
بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في
الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر
وقيل بمعبودهم وقيل بامهاتهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم
فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتبهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤونه ايضا قلت
الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات عظيمة فيستولي
عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة واما
اصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤونه احسن
قراءة وابينها ولا يظلمون فتيلا اي ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شيء ومن كان في هذه
اعمى المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه يعني الدنيا اعمى يعني
عن هذه النعم التي عددها في هذه الآيات المتقدمة فهو في الآخرة اعمى لم تعاين ولم تر اعمى واضل
سبيلا قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية آيات قدرة
الله وآياته ورؤية الحق له فهو في الآخرة اعمى اي اشد عمى واضل سبيلا اي اخطأ طريقا
وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة لانه في الدنيا تقبل توبته قوله تعالى وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي ان افعل
ذلك والله تعلم اني لها كاره بعد ان يدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يمس آلهتهم حتى يسلموا بذكرم
ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نحني في الصلاة اي لا ننحني ولا
نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا
خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما الطاغية يعني
اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا

مالم نعط غيرنا فانا نخشى ان تقول العرب اعطيتهم مالم تعطنا فقل الله امرنا بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله وان كادوا اي هموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري اي لتختلق وتتقول علينا غيره اي ما لم نقله واذا اي لو فعلت ما دعوك اليه
لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن
اي تميل اليهم شيئا قليلا اي قريبا من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف
يجوز ان يقرب ما طلبوا قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفى الله عن حديث النفس
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى
قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا فاتوه فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء
وان ارض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم
فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر
النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويخرج
فانزل الله هذه الآية والارض ههنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة والآية مكية همّ المشركون
ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالآية لان ما
قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم ارادوا ان يستفزوه
من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما املوه
والاستفزاز الازعاج واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم ولا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين
اظهرهم عذبهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس
روي عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي
وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن
واكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت
والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت
الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر الى غسق الليل اي ظهور ظلمته وقال
ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا
لانها لا تجوز الا بالقرآن ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجميع صلاة احدكم
وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقرؤا
ان شئتم وقرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان

التغليس

التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون
ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء
وحضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملائكة
النهار اما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقتها فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى
كان مشهودا دليل ان الصلاة في اول وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به اي قم
بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت
صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل
الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل
على الاستحباب بدليل قوله فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم
بدليل قوله نافلة لك اي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك
روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل
وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال
نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص ان كانت زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى
الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات فصل
في الاحاديث الواردة في قيام الليل ق عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا م عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت
عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين
قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة صلاة ثم
ابن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان
ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل
عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان
يفرغ من صلاة العشاء احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة
قدر ما يقرأ احدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين
له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة م
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين
عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقرأ سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف
وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم
سجد بقدر ركوعه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم سورة اخرجه ابو داود والنسائي عن

عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة اهـ أخرجه الترمذي ق عن الأسود قال سألت
عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه
فإذا أذن المؤذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج خ عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الليل مصليًا إلا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه اهـ أخرجه النسائي زاد في
رواية عنه قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئًا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئًا قوله عز وجل
عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا أجمع المفسرون على أن عسى من الله واجب وذلك لأن لفظة عسى
تفيد الإطماع ومن أطمع إنسانًا في شيء ثم حرمه كان عارًا والله أكرم من أن يطمع أحدًا ثم لا يعطيه ما أطمعه
فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون ق عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي
نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه
بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن
سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة خ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ق عن أنس أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجمع الله [illegible] الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو
استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا
فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه
الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها
ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي
أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى
فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح
الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له فدع
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن
لي فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع قل يسمع سل تعطه اشفع تشفع
قال فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة
ثم أعود فأقع ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل يسمع سل تعطه
اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار
وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه
القرآن أي وجب عليه الخلود وفي رواية للنبي ... ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقامًا
محمودًا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار

من

من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير
ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من إيمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي
عن أنس في حديث الشفاعة وذكر الحديث وفيه فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى
أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل فلما خرجنا من عند أنس مررنا
بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد
حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم
أخر له ساجدًا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب
ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذاك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله قوله وهو جميع أي مجتمع الذهن والرأي م عن أبي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع
الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك فيأتون آدم
فيقول إني أذنبت ذنبًا فأهبطت به إلى الأرض ولكن ائتوا نوحًا فيأتون نوحًا فيقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة
فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول إني قد قتلت
نفسًا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدًا فيأتوني
فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب
الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبًا فأخر ساجدًا
فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع وقل يسمع لقولك
وهو المقام المحمود الذي قال الله عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا قال سفيان ليس عن أنس
غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها أخرجه الترمذي قوله ما حل بها أي جادل بها
والماحل والمعنى أنه عليه السلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الألفاظ التي صدرت
عنه وقوله فأقعقعها أي أحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترسة
ونحوها مما له صوت م عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجًا
إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا
أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا
حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور
م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق
عنه القبر وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى
حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري خ عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم
كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب

فهو مبين بعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم م عن يزيد بن صهيب الفقير قال قد شغفني
راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة
فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين
فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثونا به والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال اتقرا القرآن قلت قال فاقرا ما قبله
انه في الكفار ثم قال هل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم
المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف
ان لا اكون احفظ ذاك قال غير انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني
فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس
فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما
خرج غير رجل واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد
وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو وائل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده
على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المراد منها الادخال والاخراج قال ابن عباس
معناه ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالهجرة وقيل معناه اخرجني من مكة آمنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل
ادخلني في امر الذي ارسلتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من
حق النبوة مخرج صدق وقيل ادخلني في طاعتك مدخل صدق واخرجني من المناهي مخرج صدق
وقيل معناه ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل
بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله ه واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا اي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني او عزا ظاهرا اقيم به على دينك
فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له واجاب دعاءه وقال له والله يعصمك
من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الاية قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق يعني الاسلام والقرآن
وزهق الباطل اي الشرك والشيطان ه ان الباطل كان زهوقا اي كان مضمحلا غير ثابت
وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال
ق عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت
ثلثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله عز وجل وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من في قوله من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل
من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف

ويتضح به المشكل ويستشفى به من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف المشتبه ويهتدي
به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة
وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة
اما الاعتقاد فاشده فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات
والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على التنفير منها والارشاد
الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة
واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل
عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمؤمنين
لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين
وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال
قتادة لم يجالس احد القرآن الا قام عنه بزيادة او نقصان قضى الله الذي قضى شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اي بالصحة
والسعة ه اعرض ونأى بجانبه اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل
معناه تكبر وتعظم ه واذا مسه الشر اي الشدة والضر ه كان يؤوسا اي آيسا قنوطا
وقيل انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة ييئس فلا ينبغي للمؤمن
ان يدع الدعاء ولو تاخرت الاجابة قوله عز وجل قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته قال
ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة اي يعمل على طريقته التي جبل عليها وفيه
وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت
عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت افعال
خبيثة فاسدة رديئة ه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اوضح طريقا واحسن مذهبا
واتباعا للحق قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ق عن عبد الله بن
مسعود قال بينا انا امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكا على عسيب معه فمر بنفر من
اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسالوه لا يسمعكم ما تكرهون
فقاموا اليه وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت وفي
فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى صعد
الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ه وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقال
بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسالوه وفي رواية وما اوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش
هكذا في قراءتنا العسيب جريدة النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا
اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى
ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة

دلايل الذي بعث الحق ... هذه الاشياء ... الفاسدة ... لما في القلوب ... الاخلاق المذمومة القرآن

اي عن دعائنا

اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان
اجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم
فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح فسألوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سألتم ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر وقيل
خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشيء
حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقول له اهل مكة ثم نزل جبريل
عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية ام
حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب
ويسالونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي
واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن علي انه ملك له
سبعون الف وجه في كل وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق
على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد
ابن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش لو شاء ان يبتلع السموات السبع
والارضين ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على
صورة الادميين يقوم يوم القيمة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله اليوم عند الحجب
السبعين واقرب الخلق الى الله اليوم عند الحجب السبعين في يوم القيمة وهو ممن
يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات
من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولانه به حياة القلوب وقيل هو
الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح
فقال بعضهم هو الدم الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان
بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان
وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الا ترى انه اذا كان موجودا
يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكماء والصوفية
في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها والاولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو
قول اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله
قل الروح من امر ربي اي من علم ربي الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم
الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التورية وفيها
العلم الكثير فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة يدوران مع
الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علم النبوة والقول الاصح
وهو ان الله عز وجل استاثر بعلم الروح قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك

معناه الا ان يرحمك انا كما علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور
والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه
لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من
ربك معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت
كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محو ما في المصاحف واذهاب
ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة
حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع
ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش
كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بي ان فضله كان عليك كبيرا اي بسبب
بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولا يقدرون
على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا
مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى
طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل
ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته
وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص
وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات اخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا
اخذوا يتعللون باقتراح الايات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان
عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا سفين ابن حرب والنضر بن الحرث وابا البختري بن هشام
والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله
ابن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب
الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا
فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن
انه بدا لهم في امره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا
اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك
لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة وما بقي
من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا
لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت

نريد ملكا ملكناك علينا وان هذا الذي يأتيك بما ياتيك به رئي تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك اموالنا
في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم
رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا
مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا
محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا
منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر
فيها الانهار كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان
شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا
فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ما نراك فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه
فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السما كما زعمت ان ربك ان شا
فعل فقال ذلك الى الله ان شا فعل ذلك بكم وقال قايل منهم لن نومن لك حتى تاتينا بالله والملايكة
قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة
بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم
امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله
ما اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة معك
ونفر من الملايكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما راى من مباعدتهم فانزل الله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر
لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عيونا ه او تكون لك جنة من نخيل وعنب اي بستان
فيها نخل وعنب ه فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي تشقيقا ه او تسقط السما كما زعمت علينا
كسفا اي قطعا ه او تاتي بالله والملايكة قبيلا قال ابن عباس كفيلا اي يكفلون بما تقول وقيل
هو جمع القبيلة اي باصناف الملايكة قبيلة قبيلة يشهدون بصحة ما تقول وقيل معناه
نراهم مقابلة عيانا ه او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب واصله الزينة ه او ترقى اي تصعد
في السما ولن نومن لرقيك اي لاجل رقيك ه حتى تنزل علينا كتابا نقراه اي امرنا فيه باتباعك وهذا
قول عبد الله بن ابي امية ه قل اي يا محمد ه سبحان ربي امر بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب ه هل
كنت الا بشرا رسولا اي كسائر الرسل وان كان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من
الايات فليس امر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل
الايات على ما يقترحه البشر وما انا الا بشر وليس ما سالتم في طوق البشر واعلم ان الله تعالى
قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الايات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القران وانشقاق القمر

عليها م

ونبع الما من بين اصابعه وما اشبهها من الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هو اعظم مما اقترحوه والقوم
عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليومنوا فرد الله تعالى عليهم سوالهم قوله عز وجل
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى اي الوحي والمعنى وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله الا ان
قالوا جهلا منهم ه ابعث الله بشرا رسولا وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نومن لك لانك بشر
وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله ه قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين
اي مستوطنين مقيمين فيها ه لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي من جنسهم لان الجنس
الى الجنس اميل ه قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي على اني رسوله اليكم واني قد بلغتكم ما
ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم ه انه كان بعباده يعني المنذرين والمنذرين خبيرا
بصيرا اي عالما باحوالهم فيجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ه
ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي يهدونهم وفيه ايضا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مومنين ومن سبق لهم حكم
الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ق عن انس
ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان
يمشيه على وجهه يوم القيمة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف صنفا مشاة
وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان
الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب
وشوك اخرجه الترمذي الحدب ما ارتفع من الارض ه عميا وبكما وصما اي لا يبصرون ولا ينطقون
ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمي وبكم وصم وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار
وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الروية والكلام والسمع
قلت فيه اوجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة
صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى
ثم تعاد اليهم هذه الاشيا الوجه الثالث هذا حين يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فيصيرون
باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ه ماواهم جهنم كلما خبت اي سكن
لهبها وقيل ضعفت وهدت من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله تعالى
قال لا يفتر عنهم وقيل معناه اراد ان تخبو ه زدناهم سعيرا اي وقودا وقيل
المراد من خبت نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد في سعير النار
لتحرقهم ه ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاوهم بالكفر واتى بذلك العذاب
جزاوهم بسبب كفرهم باياتنا ه وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم

الله رد عليهم بقوله اولم يروا ان الله قادر على ان يخلق مثلهم اي في صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا
اي وقتا لعذابهم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه ياتيهم قبل الموت وقيل يوم القيمة فابى الظالمون الا كفورا
اي جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير
متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اي لبخلتم وحبستم خشية
الانفاق اي خشية الفقر والفاقة والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح
وكان الانسان قتورا اي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف
وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد ان يحب ما يدفع
به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدح او رجاء ثواب
فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اي
دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضا والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق
البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوضا لفلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات
وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين
والمراة قائمة تخبز وقد صارت حجرا روي ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب القرظي عن الايات فذكر منها الطمس
فقال عمر هكذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسور نصفين
وجوز مكسور وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هي ايات الكتاب وهي احكام يدل
عليه ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الاخر
لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له اربعة اعين فاتياه فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا الربا
ولا تسحروا ولا تمشوا بالبري الى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني
قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود فسل
بني اسرائيل يجوز ان يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسوال ليتبين
كذبهم مع قومهم اذ جاءهم يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اي مسحورا وقيل معناه
ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك قال موسى لقد علمت خطابا لفرعون
قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض يعني الايات التسع
بصائر بينات يبصر بها واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا
وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبني
اسرائيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اي اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه
وقلنا من بعده اي من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض يعني ارض مصر والشام فاذا
جاء وعد الاخرة يعني القيمة جئنا بكم لفيفا اي جميعا الى موقف القيمة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين

من كل نوع منهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة نزول عيسى من السماء قوله تعالى
وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني انا ما اردنا بانزال القران الا تقريره للحق ولما اردنا هذا المعنى فكذلك
وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القران الا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا متلبسا
بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير وما ارسلناك الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي
مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل وقرانا فرقناه اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين
الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى لتقراه
على الناس على مكث اي على تؤدة وترسل في ثلث وعشرين سنة ونزلناه تنزيلا اي على
حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله
قيل هم مؤمنو اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم
يعني القران يخرون للاذقان قال ابن عباس اراد به الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا
ويقولون سبحان ربنا اي تعظيما لربنا لانه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
ان كان وعد ربنا لمفعولا اي كائنا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي خضوعا
لربهم وقيل يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القران عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع
على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخري
مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله اخرجه الترمذي
قوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو
يدعو الهين فانزل الله هذه الاية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم او بهذا
الاسم ايا ما تدعوا ما صلة ومعناه اي هذين الاسمين شئتم او ذكرتم او من جميع اسمائه
فله الاسماء الحسنى يعني اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى لانها
مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن ابن عباس
في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان
اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء
به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون
فيسبوا القران ولا تخافت عن اصحابك فلا يسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية
وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القران وقيل نزلت الاية في الدعاء
وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول ق عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
قالت انزل ذلك في الدعاء وقيل كان اعراب بني تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا

ارزقنا ما لا أرد ولذا يجهرون بذلك فانزل الله ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع صوتك بقراءتك وبدعائك ٥ ولا تخافت
بها المخافتة خفض الصوت والسكون ٥ وابتغ اي اطلب بين ذلك سبيلا اي اطلب بين ذلك سبيلا اي
طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وانت تقرا وانت
تخفض من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت
ترفع من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا اوقظ الوسنان واطرد الشيطان
فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي ٥ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده
على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك
جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد
انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع المحامد ٥ ولم يكن له شريك في الملك
والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله ولم يكن له ولي
من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا اي وعظمه ان يكون له ولد او شريك
او ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمرو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى
الله اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدات اخرجه مسلم

تفسير سورة الكهف وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
اثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه وهي الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم
بالذكر لان انزال القران كان نعمة عليه على الخصوص وعلى ساير الناس على العموم ٥ ولم يجعل له عوجا
اي لم يجعل له شيا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن
معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا وروي عن ابن عباس في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق ٥ قيما
اي مستقيما قال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها ٥ لينذر باسا
شديدا اي لينذر الذين كفروا وهو قوله بعذاب بيس ٥ من لدنه اي من عنده ٥ ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا يعني الجنة ٥ ماكثين فيه اي مقيمين فيه ٥ ابدا وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل
مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم ٥ ولا لابائهم
اي ولا لاسلافهم من قبل ٥ كبرت اي عظمت ٥ كلمة تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا كلم
به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ٥
ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه
وزاد بعضهم مع علم قايله انه غير مطابق وهذا القيد باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد
بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك وهم يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه
فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب
وكذوب اي كثير الكذب قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك ٥ على اثارهم اي من
بعدهم ٥ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القران ٥ اسفا اي حزنا وقيل غيظا ٥ انا جعلنا ما
على الارض زينة لها اي مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن
منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل
اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت اي زينة في الحيات
والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل
ان جميع ما في الارض ثلاثة معادن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل
الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل
فيه ومعنى لنبلوهم لنختبرهم ٥ ايهم احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها ٥ وانا
لجاعلون ما عليها اي من الزينة ٥ صعيدا جرزا يعني مثل الارض لا نبات فيها بعد ان كانت
خضرا معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي
لا ينبت فيه شي قوله تعالى ام حسبت اي اظننت يا محمد ٥ ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من اياتنا عجبا اي هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان ما خلقت
من السموات والارض وما فيهن من العجايب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم هو لوح كتب فيه اسما اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح
من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قال
كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم
ذكر الله عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل ٥ اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا
اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشبان ٥ فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة
اي رحمة من خزاين رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن
من الاعداء ٥ وهيئ لنا اي اصلح لنا ٥ من امرنا رشدا اي حتى نكون بسببه راشدين مهتدين
وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب
خروجهم قال محمد بن اسحق بن يسار مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم
الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح
متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له
دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم

فلا يترك في قرية نزلها احداً الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينتهم اي اهل الكهف واسمها
افسوس استخفا منه اهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطاً من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل
اولئك الشرط يتتبع اهل الايمان في اماكنهم فيخرجوهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الا
فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله تعالى فيقتل فلما راى ذلك اهل الشدة
في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم
على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً
فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم
وهم ثمانية فبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الهاً لقد قلنا اذاً شططاً اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء
حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجوداً يبكون ويتضرعون
عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتي بهم تفيض
اعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد
في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة لاهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لآلهتنا واما ان اقتلكم فقال
مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الهاً ملأ السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الهاً ابداً له
الحمد والتكبير من انفسنا خالصاً ابداً اياه نعبد واياه نسال النجاة والخير فاما الطواغيت
فلن نعبدها ابداً اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع
لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما اوعدتكم من العقوبة
وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شباناً حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم
اجلاً تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة
اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فاشتوروا
بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما
بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بنجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله
حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه
فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا
فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب ما تريدون
مني لا تخشوا جانبي انا احب احباء الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من
دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى
الكهف قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء
وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه يمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة
سراً وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثياباً رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه هرم
فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً ويتجسس لهم الخبر هل ذكر اصحابه بشيء ثم يرجع

الى اصحا

الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا
للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان يمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو
يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة
ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم يمليخا يا اخوتاه
ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند
غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضاً فبينا هم على ذلك اذ ضرب الله على
آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون
ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض
عظماء المدينة لقد ساءني شان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضباً عليهم لجهلهم
ما جهلوا من امري ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهتي فقال عظماء المدينة ما
انت بحقيق ان ترحم قوماً فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلاً ولو شاؤا لرجعوا في ذلك
الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ثم ارسل الى ابائهم فاتي بهم فقال
اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا
مايدرك باموالنا واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى
سبيلهم وجعل ما يصنع بالفتية فالقى الله تعالى في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم واراد
الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم
كما هم في كهفهم يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم وهو يظن انهم ايقاظ
يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه
بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين
في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الآخر روناس ائتمرا
ان يكتبا شان الفتية وانسابهم واسماءهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما
في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء
الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب ففعلا
ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت
الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي
ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم
كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه
وقال في نفسه اخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم
حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فراه جالساً وحده فرجا ان يكون على مثل
امره فجلس اليه من غير ان يظهر على امره ثم خرج آخر فخرجوا جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم

ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتى فيخلوا ويفتش كل واحد
منهم الى صاحبه فتفطنوا لذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل قريب منهم فقال بعضهم
لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم
وانسابهم في لوح فلان وفلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان
ابن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهولاء شان ومات ذلك الملك وجاء
قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس
فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا احزابا منهم من يومن
بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله
وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة
الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل تندوسيس الملك يرسل الى
من يظن فيه خيرا وانهم ائمة في الخلق فلم يقبلوا منهم وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا
يخرجوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق
بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه ودأب في ليله ونهاره يتضرع الى
الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هولاء فابعث لهم اية تبين لهم ثم ان الله الرحمن الرحيم
الذي يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم
اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها وليستجيب لعبده الصالح تندوسيس
ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المومنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل
ذلك البلد الذي فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف
ويبني به حظيرة لغنمه فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة
حتى نزعا ما كان على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحا
باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين
ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما
استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة
فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء ينكرونه وانهم كهيئتهم حين
رقدوا وهم يرون ان دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا يا يمليخا صاحب نفقتهم
انبئنا ما الذي قال الناس في شاننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا
كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول ما كانوا ينامون حتى تساءلوا
بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم يمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد ان
يوتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا

يا اخوتاه

يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا ليمليخا انطلق الى
المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بنا احد وابتغ
لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل يمليخا كما كان
يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت
معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق يمليخا خارجا فلما مر بباب
الكهف راى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يسال عنها حتى اتى باب المدينة
مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله
هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى يمليخا باب المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة
كانت لاهل الايمان اذا كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا
ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان
المدينة ليست بالتي كان يعرف وراى ناسا كثيرا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي
ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه
وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون
هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي حالم ثم يرى انه ليس بنائم
فاخذ كساءه فجعله على راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها فيسمع ناسا يحلفون
باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة
ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى الا
خاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله ما اعلم مدينة تقرب من مدينتنا
فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال
في نفسه لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني
فيها شر فاهلك فدنا الى الذين يبيعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه فاعطاها
رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها
فعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى
رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا
في الارض منذ زمان طويل فلما راهم يمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل
يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس
وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا علي قد اخذتم
ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من انت وما شانك
والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه
وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت وانك ان لا تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك
فلما سمع قولهم قال قد وقعت في كل شيء كنت احذر منه فقالوا يا فتى انك لا تستطيع ان تكتم

والله

ماوجدت وجعل يمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يحر اليهم شيئا فلما راوه لا يتكلم اخذوا
كساه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل
معه كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه
المدينة وما رايناه فيها قط وما نعرفه وجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان مستيقنا ان اباه
واخوته بالمدينة وانه من عظما اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينا هو قايم كالحيران
ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى رايسي المدينة ومدبريها
ومدبري امرها اللذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الاخر اسطيوس
فلما انطلقوا به اليهما ظن يمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا
وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم
اله السما واله الارض افرغ علي اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني بها عند هذا
الجبار وجعل يقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتوني
فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواثقنا على الايمان بالله ولا نشرك به ابدا ولا نفترق
في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انه لم يذهب به الى
دقيانوس افاق وسكن عنه البكا واخذ اريوس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا
اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال يمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة
وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال يمليخا اما انا
فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له فمن ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه
فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبينا بالحق فلم يدر يمليخا ما
يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا
اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها وله اكثر من
ثلثماية سنة وانت غلام شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط
وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزاين هذه المدينة بايدينا وليس عندنا
عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني سامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك
حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم يمليخا اخبروني عن ما اسالكم عنه فان انتم
فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيا قال لهم ما فعل الملك دقيانوس فقالا
ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمن الاول وله دهر
طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال يمليخا اني اذا لحيران وما هو بمصدقي احد من الناس
فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا
منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل بنجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت
لاشتري لاصحابي طعاما قال فلما سمع اريوس قول يمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله

جعلها

جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس
ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما راى الفتية اصحاب الكهف
ان يمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به
الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا
انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليوتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى
بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا ناتي اخانا يمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظر متى ناتيه
فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحال اذا هم باريوس واصحابه وقفوا على باب الكهف
فسبقهم يمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر
كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقا
للبعث وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل على اثر يمليخا اريوس فراى تابوتا من نحاس مختوما
بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظما المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا
فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا ويمليخا ومرطونس وكسطونس
وبيرونس وديموس وبطيونس وقالوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار
مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا
كتبنا شانهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر لهم فلما قراوه عجبوا وحمدوا الله الذي اراهم اية تدل
على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا
مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا وحمدوا الله الذي اراهم اية من اياته ثم
كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه
بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح تندروس ان عجل لعلك تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك وللناس
اية وليكون لهم نورا وضيا وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد توفاهم منذ ثلثماية سنة
واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك الله رب السماوات والارض
واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطف النور الذي جعلته لابائي وللعبد
الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا
مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل وراى
الفتية تندروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام تندروس الملك قدامهم ثم
اعتنقهم وبكا وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لتندروس
الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من
شر الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام
الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسى
ونام اتوه في منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب
نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج

علي م

كان ٤

فجعلوا فيه وجميعهم الا انهم حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذ على
باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يوتى كل سنة وقيل ان يمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك
من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك
قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر في اسمائهم مكتوبة
وذكر اسماء الاخرين فقال يمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال يمليخا دعوني حتى
ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم ان راوكم معي رعبتموهم فدخل يمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى
على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى الفتية اي صاروا الى الكهف واسم
جميعهم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا اي ما نلتمس من رضاك وما فيه رشدنا وقال
ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى فضربنا على آذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل
معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه في الكهف سنين عددا
اي انمناهم سنين كثيرة فائدة العدد يدل على الكثرة ثم بعثناهم اي من نومهم لنعلم اي علم المشاهدة
وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
اي الحزبين اي الطائفتين احصى لما لبثوا امدا اي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل
المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي نقرا عليك خبر اصحاب
الكهف بالحق بالصدق انهم فتية آمنوا اي شبان آمنوا بربهم وزدناهم هدى اي ايمانا وبصيرة
وربطنا على قلوبهم اي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران
دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف اذ قاموا اعني من بين يدي
دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا اي الفتية ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها اي قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام لقد قلنا
اذا شططا قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله هؤلاء قومنا يعني اهل
بلدهم اتخذوا من دونه اي من دون الله آلهة يعني قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام
لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس اصناما يعبدونها لولا اي هلا يأتون عليهم اي على عبادة
الاصنام بسلطان بين اي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي وزعم ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم
يعني قومكم وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله فانكم لم تعتزلوا عبادته فاووا الى
الكهف اي الجاوا اليه ينشر لكم اي يبسط لكم ربكم اي من رحمته ويهيئ اي يسهل لكم من امركم مرفقا
اي ما يعود اليه يسركم ورفقكم قوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تميل وتعدل
عن كهفهم ذات اليمين اي جانب اليمين واذا غربت تقرضهم اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه اي متسع من الكهف ذلك من آيات الله اي من عجائب صنعه ودلالات قدرته
وذلك ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل
ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا لا تقع الشمس عليهم عند

اي هو الذي يهيئ الرشد
ان ييسر لنا م

الطلوع

الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتوذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح
ونسيمها وتدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى ذلك من آيات الله ان شاءهم وحدثهم من
آيات الله من يهد الله فهو المهتدي يعني مثل اصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ومن يضلل اي ومن يضلله
الله ولم يرشده فلن تجد له وليا اي معينا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم خطاب لكل احد
ايقاظا اي منتبهين لان اعينهم مفتحة وهم رقود اي نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال
ابن عباس كانوا ينقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم قيل كانوا ينقلبون
في يوم عاشورا وقيل كان لهم في السنة تقلبتان وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قيل
قال ابن عباس كان كلبا انمر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل
كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان
وقيل صهبا وقيل ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعام بالوصيد
يعني فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما
وقيل كان يتقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها واذا
انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك
لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت
منهم رعبا اي خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان
يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وتقلبهم من غير حس ولا اشعار
وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو
الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم
فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث
معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم
قوله عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم في الكهف وحفظنا اجسامهم من البلى على طول
الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا قال قائل
منهم وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا كم لبثتم اي في نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم وقيل
انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد
بقي منها بقية فقالوا او بعض يوم فلما نظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر
من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا
الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم يعني يمليخا بورقكم هذه يعني الفضة مضروبة كانت
او غير مضروبة الى المدينة قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام
افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مومن ولا
يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مومنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما واجود
وقيل اكثر طعاما وارخصه فلياتكم برزق منه اي قوت وطعام تاكلونه وليتلطف

اي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان ۞ ولا يشعرن بكم اي ولا يعلمن ۞ بكم احدا
اي من الناس ۞ انهم ان يظهروا عليكم اي يعلمون بمكانكم ۞ يرجموكم قيل معناه يشتموكم ويوذوكم بالقول
وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يضربوكم ۞ او يعيدوكم
في ملتهم اي الكفر ۞ ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان عدتم اليه قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا
عليهم ۞ ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم تندروسيس الذين انكروا البعث ۞ وان الساعة لا ريب فيها
اي لا شك فيها انها اتية ۞ اذ يتنازعون بينهم امرهم قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون
نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبني عليهم بنيانا لانهم من اهل سنتنا
وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح
فاراهم الله اية وان البعث للاجساد والارواح وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم ۞
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعني تندروس واصحابه
لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما
من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا
كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على
لسان جبريل عليه السلام بعد ما حكى قول النصارى الاول اتبعه بقوله رجما بالغيب اي ظنا
وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشي بالوصف يدل على ان الحال في الباقي
بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول
النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل هذا هو الحق لان العالم بتفاصيل كاينات العوالم والكاينات فيه في الماضي والمستقبل
لا يحصل الا بالله تعالى او من اخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس انا من اوليك القليل كانوا سبعة
وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس وذونوانس وكفشططيونس وهو
الراعي واسم كلبهم قطمير ۞ فلا تمار فيهم اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم ۞ الا مراء ظاهرا
الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ۞ ولا تستفت فيهم اي في اصحاب الكهف ۞
منهم يعني من اهل الكتاب ۞ احدا اي لا ترجع الى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم قوله عز وجل
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء
الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت الاية وقد تقدمت
القصة في سورة بني اسرايل ۞ واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء
ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام
في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام
متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الاية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في الانجيل

في الانجيل ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقيل الاية في الصلاة يدل عليه ما روي
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها ۞ وقل
عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي يثبتني على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل ان الله
امره ان يذكره ان نسي شيا ويسال له ان يذكره او يهديه لما هو خير له من تذكر ما نسي وقيل ان
القوم سالوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله تعالى ان يخبرهم ان الله تعالى سيوتيه
من الحجج على صحة نبوته ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه من علم غيب
المرسلين وقصصهم ما هو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا
شيء امر ان يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان قول ان
شاء الله فتوبته من ذلك ان يقول عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قوله تعالى ولبثوا
في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله
عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم
بما لبثوا والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم
بما لبثوا ان نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل انتم الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد اخبر
بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو
اخبارهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة وتسع سنين فرد الله عليهم ذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا
يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة
قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين
على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا
وازدادوا تسعا قيل قالت نصارى نجران اما الثلاث مائة فقد عرفناها واما التسع فلا
علم لنا بها فانزل الله قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلاث مائة سنة شمسية
والله تعالى ذكر ثلاث مائة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة
سنة ثلاث سنين فتكون الثلاث مائة الشمسية ثلاث مائة وتسع سنين قمرية ۞ له غيب السموات
والارض يعني انه تعالى لا يخفى شيء من احوال اهلها وانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب
الكهف ۞ ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره
شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية ۞ ما لهم اي ما لاهل السموات والارض ۞
من دونه اي من دون الله ۞ من ولي اي ناصر ۞ ولا يشرك في حكمه احدا قيل معناه لا يشرك الله
في علم غيبه احدا وقيل في قضايه قوله عز وجل واتل اي واقرا يا محمد ۞ ما اوحي اليك من كتاب
ربك يعني القران واتبع ما فيه واعمل به ۞ لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقران ولا يقدر احد على
التطرق اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في
الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير
فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما اوعد الله بكلماته اهل معاصيه ۞ ولن تجد من دونه

اي من دون الله ان لم تتبع القرآن ﴿ملتحدا﴾ اي ملجأ او حرزا تعدل اليه قوله عز وجل ﴿واصبر نفسك﴾
الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء
منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله
عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من
اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل ﴿واصبر نفسك﴾ اي احبس يا محمد
نفسك ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ يعني طرفي النهار ﴿يريدون وجهه﴾ اي يريدون
الله لا يريدون به عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون
اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم
﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ اي لا تنصرف عيناك عنهم الى غيرهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ اي تطلب مجالسة الاغنياء
والاشراف وصحبة اهل الدنيا ﴿ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا
يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف ﴿واتبع هواه﴾ اي في طلب الشهوات ﴿وكان امره فرطا﴾
ضياعا امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق ﴿وقل الحق من ربكم﴾
اي قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلت قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى
والضلال ليس الي من ذلك شيء ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا على طريق التهديد
والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم اي لست بطارد المؤمنين
لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف
الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر
﴿انا اعتدنا﴾ اي هيأنا من العتاد وهو العدة ﴿للظالمين﴾ اي الكافرين ﴿نارا احاط بهم سرادقها﴾
السرادق الحجرة التي تطيف بالفسطاط عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو
حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط
بالكفار ﴿وان يستغيثوا﴾ اي من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس هو ماء غليظ
مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله
بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال
رشدين احد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل
الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب ﴿يشوي الوجوه﴾ اي ينضج الوجوه من
حره ﴿بئس الشراب﴾ اي ذلك الذي يغاثون به ﴿وساءت مرتفقا﴾ اي النار قال ابن عباس
منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ قوله عز وجل ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا﴾ اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة

وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ﴿اولئك لهم جنات عدن﴾ اي دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها ﴿تجري من
تحتهم الانهار﴾ وذلك لان افضل المساكن ما كان يجري فيه الماء ﴿يحلون فيها من اساور من ذهب﴾
قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله وحلوا
اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من
سندس﴾ وهو الديباج الرقيق ﴿واستبرق﴾ هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل
السندس المنسوج بالذهب ﴿متكئين﴾ خص الاتكاء وهو هيئة المتنعم والملوك ﴿فيها﴾ اي
في الجنة ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولما وصف الله تعالى هذه الاشياء قال ﴿نعم
الثواب﴾ اي نعم الجزاء ﴿وحسنت مرتفقا﴾ مقابلة ما تقدم من قوله تعالى وساءت مرتفقا قوله عز وجل
﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾ قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة بن عبد الله
ابن عبد الاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل
هذا مثل لعيينة بن حصن واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل اخوين
احدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قرطوس وهما
اللذان وصفهما الله في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكر عطاء الخراساني
قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف
دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار فقال هذا اللهم ان
فلانا ... واني اشتري منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف
دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتري منك دارا في الجنة بالف دينار
فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم اني اخطب اليك
امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف
دينار فقال هذا اللهم اني اشتري منك خدما ومتاعا بالف دينار فتصدق بها
ثم ان صاحبه اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس
على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم
قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا
مالا وقد اخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين لهذا اذهب فلا اعطيك
شيئا فطرده فقضي لهما ما توفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم
اني كان لي قرين يقول وروي انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما
﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين﴾ اي بستانين ﴿من اعناب وحففناهما﴾
اي اطفناهما من جوانبهما ﴿بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾ اي وجعلنا بين النخيل خرابا
بغير زرع ﴿كلتا الجنتين آتت﴾ اي اعطت كل واحدة من الجنتين ﴿اكلها﴾ اي ثمرها تاما
﴿ولم تظلم منه شيئا﴾ اي ولم تنقص منه شيئا ﴿وفجرنا خلالهما﴾ يعني شققنا وسطهما ﴿نهرا وكان له﴾

اي لصاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف الذهب
والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المومن وهو يحاوره اي يخاطبه انا اكثر
منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعني الكافر
اخذا بيد اخيه المومن يطوف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه بكفره قال ما اظن ان
تبيد هذه يعني جنته ابدا وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا — اي الهلاك
وانكر البعث فقال وما اظن الساعة قايمة اي كاينة ولين رددت الى ربي فان قلت
كيف قال ولين رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولين رددت الى ربي على ما تزعم
من ان ثم بعثا لاجدن خيرا منها منقلبا اي يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة
في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة افضل منها قال له صاحبه يعني المومن وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقا
له ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي
معناه لكن انا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اي هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله
والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك منها الامر ما شا الله اعترافا بانها
وكل خير فيها انما حصل بمشية الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة
وان شا خربها لا قوة الا بالله اي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها
وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالي ودفع شي عنه الا بالله روي
عن عروة بن الزبير انه كان اذا راي من ماله شيا يعجبه او دخل حايطا من حيطانه قال ما
شا الله لا قوة الا بالله ان ترني انا اقل منك مالا وولدا اي لاجل ذلك
تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي فلعل ربي ان يوتين اي يعطيني في الاخرة خيرا من
جنتك ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السما
وهي الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا جردا ملسا لا نبات فيها وقيل
تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هايلا او يصبح ماوها غورا اي غايرا ذاهبا لا تناله الايدي
ولا الدلا فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره اي احاط العذاب
بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكها وغار ماوها فاصبح يعني صاحبها
الكافر يقلب كفيه اي يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا على
ما انفق فيها المعنى فاصبح يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها اي ساقطة
سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض ويقول يا ليتني لم اشرك
بربي احدا يعني انه تذكر موعظة اخيه المومن فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا
ولم تكن له فية اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا اي ممتنعا
لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك
الولاية قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة والنصر يعني انهم يتولونه

يومئذ ويتبرون مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل جزا لاهل طاعته لو كان غيره
يثيب وخير عقبا يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله عز وجل — اي ه
واضرب لهم يا محمد اضرب لقومك مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما يعني المطر فاختلط
به نبات الارض اي خرج من كل لون وزوج فاصبح اي عن قريب هشيما قال ابن عباس
يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه وكان الله على كل شي
مقتدرا اي قادرا قوله تعالى المال والبنون يعني التي يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنيا
زينة الحياة الدنيا يعني ليست من زاد الاخرة قال علي بن ابي طالب المال والبنون حرث
الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعها الله لاقوام والباقيات الصالحات قال
ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي
مما طلعت عليه الشمس عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول
الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال
التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت
وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله اكبر وسبحان الله و
لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات
الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا اي جزا وخير
املا اي ما يامله الانسان قوله تعالى ويوم نسير الجبال اي يذهب بها وذلك بان تجعل هباء
منثورا كما يسير السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بنا وقيل
هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرها فيصير باطن الارض ظاهرا وحشرناهم يعني جميعا الى
موقف الحساب فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا
صفا فوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد
جيتمونا كما خلقناكم اول مرة يعني احيا وقيل حفاة عراة غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم
موعدا يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول
خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلايق يكسى يوم القيامة ابرهيم عليه السلام
الا وانه سيجا برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما
احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم
قال فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا اي بعدا
قال بعض العلما ان المراد بهولا اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده ق

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلاً قالت عائشة
فقلت الرجال والنسا جميعاً ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قوله عز وجل ووضع الكتاب يعني صحايف اعمال العباد توضع في ايدي الناس
في ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين مشفقين مما فيه اي خايفين مما فيه من
الاعمال السيئة ويقولون يعني اذا راوها يا ويلتنا اي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل مال
هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي من ذنوبنا الا احصاها اي عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها اي يتركه
قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والكبيرة والمسيس
والقبل والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما [illegible]
مثل قوم نزلوا بطن واد فجا هذا بعود وجا هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات
الذنوب لموبقات الحقير الشي الصغير التافه وقوله لموبقات اي مهلكات ووجدوا ما عملوا حاضراً
اي مكتوباً مثبتاً في كتابهم ولا يظلم ربك احداً اي لا ينقص ثواب احد عمل خيراً ولا ياخذ احداً بجرم لم يعمله
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان
فجدال ومعاذير واما العرضة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله
اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم
عن الحسن عن ابي موسى الاشعري قوله تعالى واذ قلنا اي واذكر يا محمد اذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال ابن عباس كان من حي من الملايكة يقال لهم الجن خلقوا
من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملايكة فهو اصل الجن كما ان ادم اصل الانس
ووجه كونه من الملايكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وذلك
ان قريشاً قالت الملايكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جناً ويعضده اللغة لان الجن
ماخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملايكة فيه فكل ملايكة جن لاستتارهم وليس
كل جن ملايكة ووجه كونه من الملايكة ان الله تعالى استثناه من الملايكة والاستثنا يفيد اخراج
ما لولاه لدخل او يصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملايكة ووجه من قال انه كان من
الجن ولم يكن من الملايكة قوله تعالى كان من الجن والجن جنس مخالف للملايكة وقوله
افتتخذونه وذريته اوليا فاثبت له ذرية والملايكة لا ذرية لهم واجيب عن الاستثنا انه
استثنا منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني
برا مما تعبدون الا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغواً الا سلاماً وقيل انه كان من
الملايكة فلما خالف الامر مسخ وطرد وغير ولعن وقوله ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعة
ربه افتتخذونه يعني يا بني ادم افتتخذون ابليس وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو يعني
اعدا روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقاعد يوماً اذ اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة
قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اوليا من دوني
فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقيل يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وقيل

انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية
ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب
الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصايب يزين خمش الوجوه
ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة ومطوس
وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلاً وداسم وهو الذي
اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضعه واذا
اكل ولم يسم الله اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرايت مطهرة
فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم روى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما اخرجه الترمذي م عن عثمان
ابن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراتي يلبسها
علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله
منه واتفل عن يسارك ثلثاً قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني م عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم
فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجي احدهم فيقول ما تركته حتى
فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه
وقوله بئس للظالمين بدلاً يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته
قوله تعالى ما اشهدتهم اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملايكة
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها
واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين يعني الشياطين الذين يضلون الناس عضداً
يعني انصاراً واعواناً قوله عز وجل ويوم يقول نادوا شركاي يعني الاصنام الذين زعمتم يعني انهم شركاي
فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا بينهم موبقاً
يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل الضلال موبقاً مهلكاً وقال
ابن عباس هو واد في النار وقيل هو سيل نار على حافتيه حيات مثل البغال الدهم
وقيل كل حاجز بين شيين فهو موبق واصله الهلاك ورا المجرمون النار فظنوا اي اي المشركون
ايقنوا انهم مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفاً اي معدلاً لانها احاطت
بهم من كل جانب وقيل لان الملايكة تسوقهم اليها قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا في هذا القران
للناس من كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان اكثر شي جدلاً اي خصومة في الباطل قال
ابن عباس اراد النضر بن الحرث وجداله في القران وقيل اراد به ابي بن خلف وقيل اراد الكفار
وقيل الاية على العموم وهو الاصح ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا
بيد الله تعالى فاذا شا ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع

الى شي ثم سمعته وهو يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله عز وجل
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاسلام والبيان من الله تعالى
وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم المعنى انه لا مانع لهم من الايمان
والامن الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زايلة فلم يقدموا على الايمان
والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يومنوا وهو
عذاب الاستيصال او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة
وقيل فجاة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة
ومنذرين بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث الله
بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ليدحضوا به اي ليبطلوا
به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا فيه اضمار يعني اتخذوا ما انذروا به
وهو القرآن استهزاء قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها اي — اي وعظ
تولى عنها وتركها ولم يومن بها ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من المعاصي من قبل انا
جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه يريد لئلا يفقهوه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا
وصمما وان تدعهم يا محمد الى الهدى اي الى الدين فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا في اقوام
علم الله منهم انهم لا يومنون وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة
لو يواخذهم اي يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اي في الدنيا بل
لهم موعد يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا وتلك القرى يعني قرى
قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا
اي اجلا لاهلاكهم قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه الايات اكثر العلماء على ان موسى المذكور
في هذه الاية هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب
التورية وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد
تنبا قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله تعالى لم يذكر في كتابه
موسى الا اراد به صاحب التورية فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا
اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة
علمنا انه موسى بن عمران صاحب التورية واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن
افراثيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع
وقيل فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل
فتاي وفتاتي ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي
يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال موسى كذب عدو الله
حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في
بني اسرائيل فسيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه

فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا
فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق فانطلق
معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت
في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت
جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا
بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له
فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره — ولفتاه
واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ
فارتدا على اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل
مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى بني اسرائيل
قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لا تستطيع معي
صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من الله علمكه الله لا اعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا
تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم
ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من
الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال
وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من
علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما
يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه
بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم
اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر بيده
هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه
اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال
سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا
وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفي رواية عن ابي بن كعب قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقيل بلى قال اي رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحيا لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل ورجعنا الى التفسير قوله لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ٥ او امضي حقبا يعني او اسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر ٥ فلما بلغا يعني موسى وفتاه ٥ مجمع البحرين اي بين البحرين ٥ نسيا اي تركا ٥ حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزودا لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب ٥ فاتخذ اي الحوت ٥ سبيله في البحر سربا اي مسلكا وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روي انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر فاتخذ سبيله سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ٥ قال يعني موسى ٥ لفتاه ٥ آتنا غداءنا اي طعامنا ٥ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه ٥ قال يعني يوشع ٥ ارايت اذ اوينا الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ٥ فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصح الا من فعل الله تعالى ٥ واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع يعني طفر الحوت الى البحر فاتخذ فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل اي شيء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى ٥ ذلك ما كنا نبغ اي نطلب ٥ فارتدا على آثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس ٥ قيل من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروي ان موسى راى الخضر مسجى ثوبا فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجى ثوبا اي مغطى بثوب وقوله وانى بارضك السلام معناه من اين بارضك التي انت فيها الآن السلام وروي انه لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة اي نعمة ٥ من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات تدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه قلت لا يخلو ان يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من امة موسى ولا يجوز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلى شانا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم ٥ قال له موسى هل اتبعك معناه جئت لاصحبك واتبعك ٥ على ان تعلمني مما علمت رشدا اي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ ٥ قال الخضر لموسى ٥ انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما ٥ قال موسى ٥ ستجدني ان شاء الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ٥ ولا اعصي لك امرا اي لا اخالفك فيما تامرني به ٥ قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال ٥ فلا تسالني عن شيء اي مما اعلمه مما تنكره ولا تعترض عليه ٥ حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه قوله تعالى ٥ فانطلقا اي يمشيان ٥ على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن ارى وجوه الانبياء وروينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من الواح السفينة فذلك قوله حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له ٥ اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما منكرا وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشى به الخرق ٥ قال العالم وهو الخضر ٥ الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسى ٥ لا تؤاخذني بما نسيت قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك

والنسيان الترك وقال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى
شرطا والثالثة عمدا ه ولا ترهقني اي لا تغشني من امري عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك
ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي امري ه فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر
غلاما ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ براسه
فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة
والوسطى وقلع راسه وروي انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس
كان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق
وياخذ المتاع ويلجي الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتاذى منه ابواه ف عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه
طغيانا وكفرا اخرجه مسلم ه قال يعني موسى ه اقتلت نفسا زاكية اي لم تذنب قط وزكية
وهي التي اذنبت ثم تابت ه بغير نفس اي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل ه لقد جئت
شيئا نكرا اي منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف
الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا انكر من الاول لان ذاك
خوفا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه ه قال يعني الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة تؤكد
التوبيخ فعند هذا ه قال موسى ه ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني اي فارقني [illegible] ه
قد بلغت من لدني عذرا قال اي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي
والمعنى انه مدح لهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة ف عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من
الانبياء بدا بنفسه لولا انه عجل لراى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لراى العجب قوله ذمامة هو
بالذال المعجمة اي حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعني لمته ملامة وليشهد
له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس
يعني انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد الارض من السماء وقيل هي بلدة بالاندلس ه استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما قال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية لئاما
فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروي انهما طافا في القرية فاستطعموهم فلم
يطعموهم واستضافوهم فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال اطعمتهما امراة من اهل بربر بعد ان
طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف ه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له
وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير

لها النظر كما استعير للجدار الارادة ه فاقامه اي سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال
الخضر بيده فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه ه قال يعني موسى ه لو شئت لتخذت عليه
اجرا يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اخذت
على عملك اجرا ه قال يعني الخضر هذا فراق بيني وبينك يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل
هذا الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق بيننا ه سانبئك بتاويل اي سوف اخبرك ه بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان
تفارقني فقال الخضر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة لعشرة ه
خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يواجرون ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين
وان كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة
اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة ه فاردت
ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب ه وكان وراءهم ملك اي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم
في طريقهم عليه والاول اصح ه ياخذ كل سفينة غصبا اي كل سفينة صالحة فخرقها وعيبها
حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد
ابن بدد وروي ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره
وقال اردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا اي فعلمنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما
يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ه ان يرهقهما اي يغشيهما وقيل يكلفهما
طغيانا وكفرا قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه ه فاردنا ان يبدلهما
ربهما الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه خيرا منه زكاة اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة
قوله اقتلت نفسا زاكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة ه واقرب رحما
اي ويكون المبدل منه اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية
فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت
سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين
ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء
الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل كان اسمهما اصرم وصريم ه وكان تحته كنز لهما روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالقدر كيف
ينصب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن يوقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن
ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب
الآخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته

على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم
وكان هذا اللوح جامعا لهما وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا قال
ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة ابا قال محمد بن المنكدر
ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ
الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي ه فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمانية عشر سنة فان قلت كيف
قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه
الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت
ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلما العظما في علم الباطن وعلوم
الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل
صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى فلا علي ذلك لان حفظ الابنا وصلاح احوالهم لرعاية حق الابا
ليس ذلك الا الى الله تعالى فلا جل ذلك اضافه الى الله تعالى ه ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا
وعقلا وقويا ه رحمة من ربك اي نعمة من ربك ه وما فعلته عن امري اي باختياري ورايي بل
فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون
ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله وما فعلته عن امري ان الخضر كان نبيا
لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبيا والصحيح انه ولي الله وليس بنبي واجيب عن قوله وما فعلته عن
امري انه الهام من الله تعالى له وهذه درجة الاوليا وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال
لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي لم تطق ان تصبر عليه ه روي ان موسى عليه السلام لما اراد
ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلف العلما في ان
الخضر حي ام ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلما ومتفق عليه عند مشايخ الصوفية بده
واهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رويته والاجتماع عليه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير
اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلما والصالحين
والعامة في ذلك هذا اخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان
السبب في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين
الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى
واخطا ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشا ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة
لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله عز وجل ويسالونك
عن ذي القرنين قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه
الاسكندر بن فيلقوس الرومي وكان من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي

في تفسيره عن ابي الريحان البيروني المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير
واسمه ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيس الحميري وهو الذي افتخر به احد شعراء حمير حيث يقول
قد كان ذو القرنين عمي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند ه بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب ملك من كريم مرشد
فراى ماب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد ه قوله فراى ماب اي ذهاب
الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حما وثاط الثاط الحماة ايضا والجمع ثاط والحرمد الطين
الاسود وقيل سمي ذي القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم
وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرني الشمس وقيل انه كان له
ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي عن علي انه امر قومه بتقوى
الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات
فاحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا يدل عليه قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب
الله لا يكون الا مع الانبيا وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سيل علي عن ذي القرنين اكان نبيا فقال علي دم
لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروي ان عمر
سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتى تسميتم باسما الملائكة
والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا
هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوايف ثم
مضى الى ملوك المغرب فقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها
باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب
وبنا السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين
وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل
ان عمره كان نيفا وثلثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب ان
يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين ه قل ساتلوا عليكم
منه ذكرا اي خبرا يتضمن حاله قوله تعالى انا مكنا له في الارض اي وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب
قال علي سخر له السحاب فحمله عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل
والنهار عليه سوا وسهل عليه السير في الارض وذلل له طرقها ه واتيناه من كل شي يحتاج
اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعدا ه سببا اي علما يتسبب
به الى كل ما يريد ويسير به في اقطار الارض ه فاتبع سببا اي سلك طريقا ه حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب في عين حامية اي حارة وقرئ حمئة اي ذات حماة وهي الطينة السودا
وسال معوية كعبا كيف في التورية تغرب الشمس واين تغرب قال نجد في التورية انها تغرب في ما
وطين وقيل يجوز ان يكون معنى في عين حمية اي عندها عين حمية او في راي العين وذلك انه بلغ
موضعا من المغرب لم يبق بعده شي من العمارات وجد الشمس كانها تغرب في وهدة مظلمة كما ان
راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر ه ووجد عندها قوما اي عند العين امة قال ابن جريج مدينة

لها اثنى عشر الف باب يقال انها جابوس واسمها بالسريانية جرجيسيب سكنها قوم من نسل ثمود امنوا بصالح
لولا ضجيج اهلها لسمع اهلها وجبة الشمس حين تجب اي تغيب ٥ قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من
يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب
على لسان غيره ٥ اما ان تعذب يعني تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام ٥ واما ان تتخذ فيهم حسنا
يعني تعفوا وتصفح وقيل تاسرهم وتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين ٥ قال اما من ظلم اي كفر
فسوف نعذبه اي نقتله ٥ ثم يرد الى ربه اي في الاخرة ٥ فيعذبه عذابا نكرا اي منكرا يعني بالنار لانه
انكر من القتل ٥ واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اي جزاء اعماله الصالحة ٥ وسنقول له
من امرنا يسرا اي نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اي سلك طريقا ومنازل
حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل انهم في مكان ليس
بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب
لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل كانوا اذا طلعت
الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم
احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق
واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون ياجوج قوله تعالى كذلك اي كما بلغ مغرب الشمس كذلك
بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين عند مطلعها كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح ٥ وقد احطنا بما لديه
خبرا اي علما بما عنده ومعه من الجند والعدد والالات للحرب وقيل معناه وقد علمنا حين
ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع
سببا حتى اذا بلغ بين السدين هما جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكى ان
الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه
وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشيد وده بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ٥ وجد من
دونهما قوما اي امام السدين قبلهم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس لا يفهمون كلام
احد ولا يفهم الناس كلامهم ٥ قالوا يا ذا القرنين فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت
تكلم عنهم مترجم ممن هو في ورائهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفهمون الا بجهد
ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ٥ ان ياجوج وماجوج اصلهما من اجيج النار
وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم
قيل ان طايفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك بذلك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج
قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد ادم كلهم جزء وروي حذيفة حديثه مرفوعا ان ياجوج
امة وماجوج امة كل امة اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم
قد حمل السلاح وهم من ولد ادم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة اصناف صنف

مخ

منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون
ومائة ذراع وهولاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى
لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم
بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله شبر ومنهم من
هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء ياجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون
الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا
قال الله له اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احداهما عند
مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض
احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم
في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكابدهم وباي
جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى اني ساطوقك وابسط لسانك واشد
عضدك فلا يهولنك شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك
فالنور يهديك من امامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا
لا يحصيه الا الله فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته فمنهم من امن
به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم
فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى
هاويل ففعل بهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند
منهم جندا ثم اخذ ناحية الارض اليسرى فاتى تاويل ففعل فيهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم
التي في وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له امة صالحة من الانس
يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش
كالسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق
كزيادتهم فلا نشك انهم سيملؤن الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال اعدوا الى الصخور والحديد والنحاس
حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم
مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم هلب وشعور تواري
اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف
بالاخرى يصيف في واحدة ويشتو في الاخرى يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما
عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء
فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قيل
فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون فيها شيا اخضر الا اكلوه ولا

حملوا وادخلوا ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه
انهم سيفسدون عند خروجهم فهل نجعل لك خرجا اي جعلا واجرا من الاموال على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا اي حاجزا فلا يصلون الينا قال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني
ذلك خير من جعلكم فاعينوني بقوة يعني لا اريد المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم اجعل بينكم
وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والالة قالوا
وما تلك الالة قال اتوني اي اعطوني وقيل جيئوني زبر الحديد فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب
على الحديد والحديد على الحطب حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بين طرفي الجبلين قال انفخوا يعني في
النار حتى اذا جعله نارا اي صار نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل
الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد وقيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة
حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مايتا ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد
معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبر الكبيرة اذا نفخ عليها صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ
عليها لا يمكن الا بالقرب فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين
حتى تمكنوا من العمل فيه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه لعلوه وملاسته وما
استطاعوا له نقبا اي من اسفله لشدته وصلابته قال يعني ذو القرنين هذا اي
السد رحمة من ربي اي نعمة فاذا جاء وعد ربي قيل يعني يوم القيمة وقيل وقت خروجهم جعله
دكا اي ارضا ملسا وقيل مدكوكا مستويا مع الارض وكان وعد ربي حقا ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وبيده عقدم
تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضعات الحساب وهو ان تجعل راس اصبعك السبابة في وسط
الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا خلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قالوا ارجعوا فستخرقونه غدا قال فيعيده
الله تعالى كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم
ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله واستثنى قال فيرجعون فيجدونه هيئته حين تركوه فيخرقونه
فيخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر منهم وفي رواية فيتحصن الناس في حصونهم منهم
فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من
في السماء قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون قال فوالذي نفس محمد
بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي قوله قسوة وعلوا
اي غلظة وفظاظة ونكرا والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت
الشاة تشكر شكرا اذا امتلا ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ اجسادها لحما وتسمن خ
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج
قوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا ياجوج
وماجوج يموج اي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا

قيام

قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسيهم بجنيهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل
على ان خروج ياجوج وماجوج من علامات قرب الساعة فجمعناهم جمعا اي في صعيد واحد وعرضنا اي ابرزنا
جهنم يومئذ للكافرين عرضا حتى شاهدوها عيانا الذين كانت اعينهم في غطاء اي في غشاء
وستر عن ذكري اي عن الايمان والقرآن والبيان وقيل عن رؤية الدلايل وتبصرها وكانوا لا
يستطيعون سمعا اي سمع القبول والايمان لغلبة الشقا عليهم وقيل معناه لا يستطيعون
ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء يعني اربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم اعداء ويتبرؤن منهم وقال
ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اولياء
واني لا اغضب لنفسي ولا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انهم ان يتخذوا غيري من دوني اولياء
انا اعتدنا اي هيانا جهنم للكافرين نزلا اي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل معناه
انا اعتدناها لهم عندنا كالنزل للضيف قوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم
في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل
هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم اهل حروراء يعني الخوارج
الذين ضل سعيهم اي بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون
انهم يحسنون صنعا اي عملا وصنعهم فقال تعالى اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه يعني انهم
جحدوا دلايل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي
والقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء فحبطت اعمالهم اي بطلت فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز
مقدار الطاعات ومقدار الحسنات قال ابو سعيد الخدري ياتي اناس باعمال يوم القيمة
هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا وقيل معناه نزدريهم فليس لهم عندنا خطر ولا قدر ولا وزن ق عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة
وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكر من حبوط اعمالهم وخسة
قدرهم ثم ابتدا فقال تعالى جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي سخرية
واستهزاء قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خ
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط
الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلى
من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة
الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل
هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس بالرومية وقيل
بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيا للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس

ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم اي في علم الله قبل ان يخلقوا ۝ خالدين فيها لا يبغون اي لا يطلبون
عنها حولا اي تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار
اذا لم توافقه الى دار اخرى قوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس قالت
اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الا
قليلا قالت اليهود اوتينا التورية فيها علم كل شي فانزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي مدادا يعني مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد لو كان
البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلايق يكتبون ۝ لنفد البحر اي لفني ماؤه ۝ قبل ان
تنفد كلمات ربي اي علمه وحكمه ۝ ولو جئنا بمثله مددا المعنى ولو كان الخلايق يكتبون والبحر
يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ما البحر في كثرته مددا وزيادة ۝ قوله عز وجل
قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على
خلقه فامره ان يقر فيقول اني آدمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو قوله
يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه ۝ فمن كان يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير اليه وقيل
يامل رؤية ربه ۝ فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجاء لقاء الله والمصير اليه فليستعمل
نفسه بالعمل الصالح ۝ ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد
يراد به وجه الله وقد يراد به الريا والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله والثاني
ان يكون مبرا من جهات الشرك جميعها ق عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله اي من عمل عملا مرائيا
للناس ليشتهر بذلك شهره الله يوم القيمة وقيل معنى سمع به اي اسمعه المكروه م عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا
اشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بري هو للذي عمله عن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله ابي م
صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب
ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء م عن ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية
من آخرها ۝

تفسير سورة مريم عليها السلام وهي مكية وثمان
وتسعون آية وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
كهيعص قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله وقيل اسم للقرآن وقيل اسم للسورة وقيل
هو قسم اقسم الله به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء
من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق في وعده ۝ ذكر اي هذا الذي نتلو عليك

ذكر

ذكر رحمة ربك عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته ۝ اذ نادى اي دعا ربه في المحراب
نداء خفيا اي دعا سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار
عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد
في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله قال رب اني وهن اي
ضعف ورق ۝ العظم مني اي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس ۝ واشتعل الراس شيبا
اي ابيض الشعر شيبا اي شمط ۝ ولم اكن بدعائك رب شقيا اي عودتني الاجابة فيما مضى
ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق بترك الايمان ۝ واني خفت الموالي
من وراي يعني من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة
وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد ۝ فهب لي من لدنك وليا اي اعطني من عندك وليا مرضيا ۝
يرثني ويرث من ال يعقوب اي ولدا وارثا وقيل اراد يرثني مالي ويرث من ال يعقوب
النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة لان زكريا كان راس
الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث المال لان الانبيا لم يورثوا المال انما ورثوا العلم ويبعد
من زكريا وهو نبي من الانبيا ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه
دين الله ويغيروا احكامه وذلك لما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبيا
فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس ۝
واجعله رب رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله تعالى يا زكريا المعنى فاستجاب له دعاه فقال
يا زكريا ۝ انا نبشرك بغلام اي بولد ذكر اسمه يحيى ۝ لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله
يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبيها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس
لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله بذلك اجتماع الفضايل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان
الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه ۝ قال رب انى يكون اي من اين يكون لي غلام ۝ وكانت امراتي
عاقرا اي وامراتي عاقر ۝ وقد بلغت من الكبر عتيا اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول
الجلد ۝ قال كذلك قال ربك هو علي هين اي يسير ۝ وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى ۝ ولم
تك شيئا قال رب اجعل لي آية اي دلالة على حمل امراتي ۝ قال آيتك اي علامتك ۝ ان لا تكلم
الناس ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير ما باس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات
والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه ۝
قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من
وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا متغيرا
لونه فانكروه وقالوا ما لك ۝ فاوحى اي فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان
سبحوا اي صلوا لله ۝ بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة
فلما كان وقت حمل امراته منع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى يا يحيى
فيه اضمار معناه ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى ۝ خذ الكتاب اي التوراة ۝ بقوة اي بجد

واجتهاده وآتيناه الحكم قال ابن عباس يعني النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى
احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبى قلت لان اصل
النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب
فقرا التورية وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم
صبيا وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم علي وزكاة قال ابن عباس يعني بالزكاة
الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد
ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا في اخلاص وكان تقيا اي مسلما مخلصا مطيعا وكان من
تقواه انه لم يعمل خطيئة قط ولا هم بها وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد
تعظيم الله اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
الآية ولم يكن جبارا الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى
لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من يلزمه قضاء لاحد عصيا هو ابلغ من العاصي والمراد
وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني ادم ويوم
يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب القيامة وقيل اوحش ما يكون الخلق
في ثلثة مواطن يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما
ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن فخصه بالسلام
فيها قوله عز وجل واذكر في الكتاب اي في القرآن مريم اذ انتبذت اي تنحت واعتزلت
من اهلها اي من قومها مكانا شرقيا اي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد
البرد فجلست في مشرقة تفلي راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل
قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت اي فضربت من دونهم حجابا قال
ابن عباس سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت
تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ
عرض لها جبريل في صورة شاب امرد وضي الوجه سوي الخلق فذلك قوله فارسلنا اليها روحنا
يعني جبريل فتمثل لها بشرا سويا اي سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا وانما مثل
لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم
تقدر على استماع كلامه اي مكانا في الدار وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت
به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا اي مومنا مطيعا دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت
انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مومنا
فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هاهنا معناه ينبغي ان يكون تقواك

مانعا

مانعا لك من الفجور قال لها جبريل انما انا رسول ربك لاهب لك اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى
لانه ارسل به غلاما زكيا اي ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت مريم انى يكون لي اي من اين يكون
لي غلام ولم يمسسني بشر اي لم يقربني زوج ولم اك بغيا اي فاجرة يريد ان الولد انما يكون من
نكاح او سفاح ولم يكن هاهنا واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اي هكذا قال ربك هو علي
هين اي خلقه بلا اب ولنجعله اية للناس اي علامة لهم ودلالة على قدرتنا ورحمة
منا اي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا اي محكوما
مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في
جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل
نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت
بعيسى في الحال فانتبذت به اي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت مكانا قصيا اي بعيدا من اهلها
قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج
قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة
ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كان مدة حملها ثمانية اشهر وذلك اية
اخرى لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدت لستة اشهر
وعمرها عشر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلث عشرة وقيل ستة عشر سنة وكانت قد حاضت
حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له
يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان
ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانها احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من عرف
بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها
لم تغب عنه واذا اراد ان يبرئها راى الذي ظهر لها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع
في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان اتكلم اشفي صدري فقالت قل
قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجر من غير غيث وهل
يكون ولد من غير ذكر فقالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تعلم ان الله
انبت الشجر بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله لا يقدر على ان ينبت الشجر حتى استعان
بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله يقدر على ما يشاء يقول
له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال
ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل
فلما دنا ولادها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فذلك قوله فانتبذت به مكانا
قصيا قوله عز وجل فاجاءها المخاض اي الجاها وجاء بها وجع الولادة الى جذع النخلة وكانت
نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد لم يكن لها سعف وقيل التجات اليها لتستند اليها
وتستمسك بها من شدة الطلق ووضع الولادة قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت

استحيا من الناس وخوف الفضيحة ۝ وكنت نسيا منسيا اي شيا حقيرا متروكا لم يذكر ولا يعرف لحقارته
وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه الا انتي القالم تخلق ۝ فناداها من تحتها قيل ان مريم كانت على اكمة
وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه
ناداها ۝ ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا اي نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله
في الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرى وقيل كان هناك نهرا يابسا اجرى الله فيه الماء وحييت
النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اي امرك اي امرتيه ان يجري جرى وان امرتيه
بالامساك امسك وقيل معنى سريا اي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا ۝ وهزي اليك اي حركي ۝ بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجني الذي بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خثيم
ما للنفسا عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ۝ فكلي واشربي اي يا مريم كلي من الرطب
واشربي من الماء ۝ وقري عينا اي طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اي
صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر الى غيره ۝ فاما ترين من البشر احدا معناه فسالك
عن ولدك ۝ فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا قيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام
عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله امرها ان تقول هذا القول نطقا
ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين احدهما ان يكون عليه السلام هو المتكلم عنها
ليكون اقوى لحجتها في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على تفويض الكلام الى الافضل اولى الثاني
كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ۝ فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها
كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى
حملته في الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكث فيه اربعين
يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه البشري
فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت
صالحين ۝ قالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا اي عظيما منكرا وقيل معناه جيت بامر عجيب
بديع ۝ يا اخت هرون اي يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرائيل شبهت به في عفتها
وصلاحها وليس المراد منه الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا
من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى ساير الناس عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران
سالوني فقالوا انكم تقرون يا اخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان
هرون اخا مريم لابيها وكان من امثل رجل في بني اسرائيل وقيل انما عنوا هرون اخا موسى لانها كانت
من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان هرون فاسقا في بني اسرائيل اعظم الفسق فشبهوها
به ۝ ما كان ابوك يعني عمران ۝ امرا سوء قال ابن عباس زانيا ۝ وما كانت امك بغيا يعني
حنة بغيا اي زانية فمن اين لك هذا الولد ۝ فاشارت اليه اي اشارت مريم الى عيسى ان كلموه
قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه

عجب

عجب القوم وقالوا اتعما فعلت لتسخر بنا ثم ۝ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل اراد بالمهد
حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو فقيل لما سمع كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم عليه
وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع واتكى على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و
قال اني عبد الله قال وهب اتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان
كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد اني عبد الله
اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ الها فان قلت ان الذي
اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص
على اثبات عبوديته لنفسه لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى اولى من ازالة
التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص هذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة
التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك اولى ۝ اتاني الكتاب
وجعلني نبيا قيل معناه سيجعلني نبيا ويوتيني الكتاب وهذا اخبار عما كتب له في اللوح
المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
وقال الاكثرون انه اوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه قال
قال الهم التوراة وهو في بطن امه ۝ وجعلني مباركا اينما كنت اي نفاعا حيث ما توجهت
وقيل معلما للخير ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني ۝ واوصاني
بالصلاة والزكوة اي امرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت كيف يومر بالصلاة وبالزكوة في حال
طفوليته وقد قال عليه السلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله
واوصاني بالصلاة والزكوة لا يدل على انه تعالى اوصاه باداهما في الحال بل المراد انه اوصاه
باداهما في الوقت المعين لها وهو البلوغ وقيل يحتمل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن
امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر لقوله في سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد
ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته حين كان في الارض وحين رفع الى
السما وحين ينزل الى الارض بعد رفعه ۝ وبرا بوالدتي اي وجعلني برا بوالدتي ۝ ولم
يجعلني جبارا شقيا اي عاصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي
انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا
وتلا هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب ۝ والسلام علي يوم ولدت
اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ۝ ويوم اموت اي عند الموت من الشرك
ويوم ابعث حيا اي من اهوال القيمة فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى
فلم يتكلم بعد حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال ۝ ذلك عيسى بن مريم اي الذي قال اني عبد الله
هو عيسى بن مريم ۝ قول الحق اي هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو
نعت لعيسى يعني ذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله ۝ الذي فيه يمترون اي
يشكون ويختلفون فقايل يقول هو ابن الله وقايل يقول الله وقايل يقول ثالث ثلاثة

عليهم

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ
من ولد اي ما كان من صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك ٥ سبحنه اذا قضى امراً اي اذا اراد ان يحدث
امراً فانما يقول له كن فيكون اي لا يتعذر اي دعليه على الوجه الذي اراده ٥ وان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه ٥
هذا صراط مستقيم اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هو الصراط المستقيم الذي يودي الى
الجنة ٥ فاختلف الاحزاب من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلث فرق في امر عيسى النسطوريه
والملكانيه والماريعقوبيه ٥ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيمة ٥ اسمع بهم وابصر
اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في الاخرة
ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوء وجوههم ويصدع
قلوبهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة ٥ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قيل اراد باليوم الدنيا
يعني انهم في الدنيا في خطاء بين وفي الاخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة
في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المومنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني خوف يا محمد
كفار مكة بيوم الحسرة سمي بذلك لان المسي يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد
من الاحسان يدل عليه ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم
قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا
يكون نزع النزع عن الشي الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت
ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت كهيئة كبش
املح فينادي منادي يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون
نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده
الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات
اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط البياض والسواد قوله فيشرئبون يقال اشراب
الى الشي نظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح فيموت فلا يبقى من الجنة والنار اعلم
ان الموت عرض ليس بجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك
حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لها ولا انتقال ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جي بالموت حتى يجعل بين الجنة
والنار ثم يذبح ثم ينادي منادي يا اهل الجنة لا موت يا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا
الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا اري مقعده
من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اي فرغ من
الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة عما يراد بهم في

الآخ

اذا تطلع م

في الاخرة وهم لا يومنون اي لا يصدقون ٥ انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض جميعا ونبقى الرب
سبحانه وتعالى والينا يرجعون فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا اي كثير
الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل
الصديق الكثير التصديق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت
وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قرب رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا
الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله
تعالى واسطة بينه وبين عباده ٥ اذ قال لابيه يعني ازر وهو يعبد الاصنام ٥ يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع يعني صوتا ٥ ولا يبصر شيا ٥ ولا يغني عنك شيا وصف الاصنام بثلاثة اشيا كل واحد
منها قادح في الالهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له غاية
الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه ٥ يا ابت اني قد جاءني
من العلم بالله والمعرفة ٥ ما لم ياتك فاتبعني اي على ديني اهدك من ان تضل ٥ اهدك صراطا سويا
اي مستقيما ٥ يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ٥ ان الشيطان
كان اي هو ٥ للرحمن عصيا اي عاصيا ٥ يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه
يمكن ان يومن فيكون من اهل الجنة او يصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره
اولى واعلم ان ابرهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف
والرفق فان قوله في مقدمة كل كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه
عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة
الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول
ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف ٥ ان يمسك اي
يصيبك ٥ عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر ٥ فتكون للشيطان وليا اي قرينا في
النار وقيل ثالث له في النار وانما فعل ابرهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها
لشدة تعلق قلبه بصلاح ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم
الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد
فالاب بالاولى ٥ قال يعني اباه مجيبا له ٥ اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم اي تاركها انت
وتارك عبادتها ٥ لئن لم تنته اي تسكت وترجع عن عيبك الهتنا وشتمك اياها ٥ لارجمنك
قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لا قتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك ولاعيبنك عن
بالقول القبيح ٥ واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة ٥ مليا اي
دهرا طويلا ٥ قال يعني ابرهيم ٥ سلام عليك اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك انه لم يومر
بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو
جواب الحليم للسفيه ٥ ساستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه
فيساله ان يرزقه التوحيد ويغفر له ومعناه ساسال ربي لك توبة تنال بها المغفرة ٥ انه كان

اي بكيفيك

بي حفيا اي بارا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي ه واعتزلكم وما
تدعون من دون الله اي اعتزلكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر
من كوثى الى الارض ه وادعوا ربي اي اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي ه عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا اي ارجوا ان لا اشقى بعبادة ربي ودعائه كما تشقون انتم بعبادة الاصنام وفيه
من التواضع ما لا يخفى مع التعريض بشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي ذهب
مهاجرا ه وهبنا له اي بعد الهجرة اسحق ويعقوب اي ابنا وحفيدا من فراقهم باولاد كرام على
الله ه وكلا جعلنا نبيا اي انعمنا عليهما بالنبوة ه ووهبنا لهم من رحمتنا اي مع ما وهبنا لهم من النبوة
ووهبنا لهم المال والولد وذكر انهم لبسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد ه وجعلنا لهم
لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا في كل اهل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم
يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام
اي اخلص العبادة والطاعة لله عز وجل ولم يراي وقرئ بالفتح اي مختارا اختاره
الله تعالى واستخلصه واصطفاه ه وكان رسولا نبيا هما وصفان مختلفان فكل رسول
نبي ولا ينعكس ه وناديناه من جانب الطور الايمن اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر
ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين ورأى النار فنودي يا موسى اني انا
الله رب العالمين ه وقربناه نجيا قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه
على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته وشرفه بالمناجاة وهو قوله وقربناه
نجيا اي مناجيا ه ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون
اكبر من موسى قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل هو اسمعيل بن ابرهيم وهو جد النبي صلى
الله عليه وسلم ه انه كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه
حتى يرجع الرجل اليه فاقام اسمعيل مكانه ثلثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد من
نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل
يعد ميعادا الى اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل
الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى
وكان رسولا اي الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادي مكة حين
خلفهما ابرهيم وجرهم بن يقطن وهو قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان ابو قبائل اليمن ه نبيا
اي مخبرا عن الله تعالى ه وكان يامر اهله اي قومه وقيل جميع امته ه بالصلاة والزكوة قال
ابن عباس يريد التي افترضها الله عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدا
اهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم ه وكان عند ربه مرضيا اي قائما بطاعته
وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعته باعلى
الدرجات قوله عز وجل واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس

لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا
من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب ه انه
كان صديقا نبيا وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلثين صحيفة ه ورفعناه مكانا
عليا قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى
انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السماء الرابعة
ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار
وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن
يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة
الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي
ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني
وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما ساله ان قال اني اخبرت انك
اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك
لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت
فقال لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع بي اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس ذلك الي ولكن
ان احببت اعلمته اجله فيتقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما
اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته
هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا
قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب
منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة بني ادم
وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلث
ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت
ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض
روحه وردها اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب
وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال
ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال حاجة
قال وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح ابوابها فاردها ففعل ثم قال فكما اريتني النار فارني الجنة
فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى
مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله تعالى ملكا حكما بينهما فقال له الملك ما لك
لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها ملكا
وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله الى ملك الموت باذني دخل
الجنة وبامري يخرج فهو حي هناك فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي

في السماء ام ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبياء في الاحياء اثنان في الارض وهما الخضر والياس واثنان في السماء وهما عيسى وادريس قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة ويجوز ان يكون ما تقدم وصفه من ذرية ادم يعني ادريس ونوحا ۞ وممن حملنا مع نوح اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يعني ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم يعني اسمعيل واسحاق ويعقوب ۞ واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم الله على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا واجتبينا اي هؤلاء ممن ارشدنا واصطفينا وقيل وممن هدينا الى الاسلام واجتبينا اي هؤلاء على الانام ۞ اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم السلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن فصل وسجدة مريم من عزائم سجود القرآن فليس للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل ينبغي لمن قرا اية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين خلف اي قوم سوء قيل اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة ۞ اضاعوا الصلاة اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا تصلي الظهر حتى تاتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس ۞ واتبعوا الشهوات اي اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هم قوم يظهرون في اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة ۞ فسوف يلقون غيا قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزاني المصر عليه والشارب المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملاقاة مع الرؤية ۞ الا من تاب وامن وعمل صالحا يعني الا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن اي من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله ۞ فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من ثوابهم ثم وصف الجنة فقال تعالى جنات عدن اي بساتين وصفها بالدوام بخلاف حال جنان الدنيا فانها لا تدوم ۞ التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي انهم ما رأوها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها ۞ انه كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اي ياتيه اولياؤه واهل طاعته ۞ لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا وفحشا

وفضولا من الكلام ۞ الا سلاما اي بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤثمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ۞ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق الذي يؤتى به بالبكرة والعشي فوصف الله الجنة بذلك ۞ تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا ۞ من كان تقيا اي المتقين من عباده قوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك خ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك ۞ له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية قال فكان هذا جواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله قوم عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله وما نتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا وما خلفنا وقيل الكل بقولهم له ما بين ايدينا وما خلفنا اي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الاخرة والثواب والعقاب وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا ۞ وما بين ذلك اي من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا ۞ وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك وما تركك ۞ رب السموات والارض وما بينهما اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى ۞ فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر على امره ونهيه ۞ هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غيره قوله تعالى ويقول الانسان اي جنس الانسان فالمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث ۞ اذا ما مت لسوف اخرج حيا قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان اي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث ۞ انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه فقال تعالى

فوربك وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿لنحشرنهم﴾ اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث
﴿والشياطين﴾ اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾
قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل لان البارك على ركبتيه صورته
صورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا
بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما كان فيه من القلق لما يدهمهم
من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا ﴿ثم لننزعن﴾ اي لنخرجن
﴿من كل شيعة﴾ اي من كل امة واهل دين من الكفار ﴿ايهم اشد على الرحمن عتيا﴾ قال ابن عباس يعني
جراءة وقيل فجورا وتمردا وقيل قايدهم ورايسهم في الشر والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى فالاعتى
ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم
الاكفر فالاكفر فمن كان اشدهم تمردا في كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل
وجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال ففايدة هذا التمييز التخصيص بشدة
العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ﴿ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا﴾ ولا يقال
اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الاية انهم احق بدخول النار قوله عز وجل ﴿وان
منكم الا واردها﴾ اي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اي والله ما منكم من احد الا واردها
والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها
فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر
ثم ينجي الله المتقين منها يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روى ابن عباس في الورود فقال
ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلى
ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم
قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك
فمن قال بدخول المومنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور
ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يندفع عن المومنين حر النار
وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فيعبرها المومنون ويحتمل ان الله يجعل الاجزاء الملاصقة
لابدان المومنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابرهيم عليه السلام وكان الملائكة الموكلين لا يجدون
الم فان قلت اذا لم يكن على المومنين عذاب فما فايدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها
ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون
المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار
صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا
يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا
يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى ولما
ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي

ل

عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعني القيمة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه
اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية
فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها م عن ام مبشر
الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب
الشجرة احد الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان
يقول اهل الجنة الم يعدنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول
النار للمومن جز يا مومن فقد اطفأ نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها
قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار ق عن
عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم وهي حظ المومن فابردوها بالماء قوله
فيح جهنم اي وهجها وحرها ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ اي كان ورود جهنم لازما قضاه
الله عليكم واوجبه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ اي الشرك ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ اي جميعا وقيل
جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد
في النار بدليل ان الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون
متقيا فيبقى في النار ابدا واجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله وشهد
بصحته وذلك ان من امن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق عن الشرك ومن صدق عليه انه
متق عن الشرك لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد
فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار لعموم قوله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلايل على فساد قولهم هذا
من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج الموحدين
من النار خ عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا
الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير
ويخرج من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان ق عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تمارون في القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيمة فيقول
من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت
وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا
فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط
بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل

هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله

يومئذ اللهم سلم سلم وفيه كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فإنها مثل شوك
السعدان قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم
فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله
الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل
آثار السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة
في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار
دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها وأحرقني
ذكاها فيقول هل عسيت إن افعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما
شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما
شاء الله أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت العهود
والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت
إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق
فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله
أن يسكت فيقول رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس
قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك
الله عز وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته قال الله تمن
من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد
الخدري لأبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله قال
أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد
سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون
فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا عرفناه فيأتيهم
الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قلت أما ما
يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فقد سبق في تفسير سورة يونس والقيامة ونتكلم
ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف
وهو من أجود مراعي الإبل قوله فمنهم من يوبق بعمله أي توبقه الذنوب أي أهلكته والمخردل
المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله قد
امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل
السيل الحبة بكسر الحاء هو البزور جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شطه
قوله فقشبني ريحها أي آذاني والقشب السم فكأنه قال قد سمني ريحها قوله وأحرقني ذكاها
أي اشتعالها ولهيبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة ق عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا

الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى
فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها
فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل
الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي أو تضحك بي وأنت
الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل
الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي أواخر أسنانه وأنيابه وقيل هي أواخر الأسنان عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب الناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما
ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة
الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل أخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء ما يحمله
السيل فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية أن الله تعالى أخرج
منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى وإذا تتلى عليهم
آياتنا بينات أي دلائل واضحات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث ودونه من كفار قريش
للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة
وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أحسن ثيابهم
أي خير مقاما أي منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة وأحسن نديا أي مجلسا فأجابهم
الله تعالى بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا أي متاعا وأموالا وقيل
أحسن ثيابا ولباسا ورئيا أي منظرا من الرؤية قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى إذا رأوا ما يوعدون
إما العذاب أي الأسر والقتل في الدنيا وإما الساعة يعني القيامة فيدخلون النار
فسيعلمون أي عند ذلك من هو شر مكانا أي منزلا وأضعف جندا أي أقل ناصرا والمعنى
فسيعلمون أهم خير وهم في النار أم المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم أي الفريقين
خير مقاما وأحسن نديا قوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى أي إيمانا وإيقانا
على يقينهم والباقيات الصالحات أي الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها
خير عند ربك ثوابا وخير مردا أي عاقبة ومرجعا قوله تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا الآية
ق عن خباب بن الأرت قال كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين
فأتيته أتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك
حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وإني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت
وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا
إلى قوله فردا القين الحداد ثم رد الله عليه بقوله أطلع الغيب قال ابن عباس أنظر في اللوح
المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا أم اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال
لا إله إلا الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد إليه أنه يدخل الجنة كلا رد عليه

الفريقين
ما

يعني لم يفعل ذلك كلا سنكتب ما يقول أي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة
حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا أي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل
مدة عذابه ونرثه ما يقول أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقيل نزيل
عنه ما عنده من مال وولد فلا يعود الإرث إلى من خلفه وإذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله
ويأتينا أي يوم القيامة فردا أي بلا مال ولا ولد فلا يصح أن يتعزز في الآخرة بمال وولد قوله تعالى
واتخذوا من دون الله آلهة يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها عبادة المشركين ليكونوا
لهم عزا أي منعة يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب كلا أي ليس الأمر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم
يعني تجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها ويلعنونهم وقيل أعداءهم وكانوا أولياءهم في الدنيا قوله
عز وجل ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين أي سلطناهم عليهم تؤزهم أزا أي تزعجهم
إزعاجا من الطاعة إلى المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا وفي الآية دليل
على أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات فلا تعجل عليهم أي لا تعجل بطلب عقوبتهم إنما نعد لهم عدا
يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام وقيل الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل
الذي أجل لعذابهم قوله عز وجل يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجمع
فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الإبل وقال
علي بن أبي طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها
يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت ونسوق المجرمين أي الكافرين إلى جهنم
وردا أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد
أحد الماء إلا بعد العطش وقيل يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق
إلى الماء ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين
وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل
معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا قوله
تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على
وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم
كل حدب وشوك أخرجه الترمذي قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني
لا إله إلا الله وقيل لا يشفع الشافعون إلا المؤمنين وقيل لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله
أي لا يشفع إلا المؤمن وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم أن
الملائكة بنات الله من العرب لقد جئتم شيئا إدا قال ابن عباس منكرا وقيل معناه
لقد قلتم قولا عظيما تكاد السموات يتفطرن منه من الانفطار وهو التشقق وتنشق الأرض أي
تخسف بهم وتخر الجبال هدا أي تسقط وتنطبق عليهم أن دعوا أي من أجل أن جعلوا للرحمن
ولدا فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة
في هذه الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما أن الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات

[illegible]

والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وأني لا أعجل بالعقوبة
الثاني أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها
لأركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين
وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولد ثم نزه الله نفسه
عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا أي ما يليق به اتخاذ الولد
ولا يوصف به لأن الولد لا بد أن يكون شبيها للوالد ولا شبيه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد
إنما يكون لأغراض لا تصح في الله من سروره به واستعانته به وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق
بالله تعالى إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا أي آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا
خاضعا والمعنى أن الخلائق كلهم عبيده لقد أحصاهم وعدهم عدا أي عد أنفاسهم وأيامهم
وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وكلهم آتيه يوم القيامة
فردا أي وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شيء قوله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا أي محبة قيل يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين ق عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله سبحانه وتعالى العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا
فأحببه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء
ثم يوضع له القبول في الأرض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله سبحانه وتعالى
إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء
فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا
أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه ثم يوضع له البغضاء في الأرض
قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين
إليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لأحد في الأرض
حتى يكون ابتداؤها من الله ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض وتصديق ذلك
في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى فإنما يسرناه بلسانك أي سهلنا القرآن
بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المؤمنين وتنذر به أي بالقرآن قوما لدا
أي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الألد الظالم الذي لا يستقيم
ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم أهلكنا قبلهم من قرن ختم الله تعالى هذه السورة
بموعظة بليغة لأنهم إذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا
سوء العاقبة في الآخرة فكانوا إلى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى هل تحس
منهم أي هل ترى وقيل هل تجد منهم [illegible] من أحد أو تسمع لهم ركزا أي
صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين تطرف ولا أثر والله أعلم

تسمع

تفسير سورة طه وهي مكية

وهي مائة وأربع وقيل خمس وثلاثون آية وألف ومائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف

ومائتان واثنان واربعون حرفا ۝ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من
تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة ۝

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طه قيل
هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله فالطا افتتاح اسمه طاهر
والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يا رجل قيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية
فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان
بلغة عك وعك قبيلة من قبايل العرب وقيل معناه طا الارض بقدميك يريد به في التهجد
وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين
قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف
على نفسه فقال طه ۝ ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده
في العبادة قالوا ما انزل عليك القران يا محمد الا لشقايك فنزلت ما انزلنا عليك القران
لتشقى اي لتتعنى وتتعب ۝ الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من
يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون بها ۝ تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اي من الله
الذي خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها
غير الله تعالى ۝ الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف ۝ له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما يعني الهوا وما تحت الثرى اي انه مالك لجميع
ما في الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وارى الثرى من شي
وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان
تحت العرش والبحر على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان
والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح
فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست
قوله تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن به ۝ فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما
تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه
ان السر ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما عليه ما هو فاعله قبل ان يعمله وقيل
السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسر في نفسه وقيل السر هو العمل الذي
يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم ان الله تعالى يعلم اسرار العباد
واخفى هو سره من عباده فلا يعلمه احد غيره وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبايح
ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه

والمراد به الهول العظيم

ينبغي ان يحمل السر والاخفى على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم
عليها والاخفى هو الذي لم يبلغ حد ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى تانيث الاحسن
والذي فضلت به اسماوه في الحسن ساير الاسما دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية
والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز وجل وهل اتاك حديث موسى اي وقد اتاك لما نعوم ذكر رسول الله
قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة
الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ۝ اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا
في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته واخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتا
فاخذ على الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا تدري اليلا تضع ام نهارا
فسار في البرية غير عارف بطرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة
مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته واخذ امراته الطلق فاخذ زنده
وجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ۝ فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا اني انست نارا اي ابصرت نارا ۝ لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف
عود او اجد على النار هدى اي اجد عند النار من يدلني على الطريق ۝ فلما اتاها اي اتى النار
راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها كانت لها نار بيضا تتقد كاضوا ما يكون فلا ضو النار
يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجر يغير ضو النار وقيل كانت الشجرة سمرة خضرا وكانت من
العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب روي ذلك عن ابن عباس
قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام
حسبه نارا قال ابن عباس هو نور الرب تبارك وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى
حجب الله تعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه
النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل
ان موسى اخذ شيا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات منه واذا نأى دنت
منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملايكة والقيت عليه السكينة ۝ نودي يا موسى اني
انا ربك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه
فقال اني اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب
اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزايه حتى ان كل
جارحة منه كانت اذنا ۝ فاخلع نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود
مرفوعا في قوله اخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مذبوح وانما امر بخلعهما
صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فتناله
بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادي ۝ انك بالواد المقدس المطهر
طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل الطوي في استدارته
وانا اخترتك اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي ۝ فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلال

فيل

لذكانه قال لقد جاك امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم
الصلاة لذكري اي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري
وطلب وجهي ولا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها
عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة
اقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل
يقول واقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها
قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة
العرب اذا بالغوا في كتمان الشي يقولون كتمت سرك في نفسي اي اخفيته غاية الاخفا والله تعالى لا
يخفى عليه شي والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها
كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضا
اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب
المعاصي بتعريف وقت الموت واذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك
المعاصي او يتوب منها في كل وقت خوف المعاجلة بالاجل وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من
خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن
بها واتبع هواه اي مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك
يا موسى سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انه معجزة عظيمة
قال هي عصاي قيل كان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة اتوكا
عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند الوثبة واهش بها على غنمي اي اضرب
بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ولي فيها مارب اخرى واراد بالمارب
ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من
البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروي عن ابن عباس ان موسى
كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما ياكل يومه
ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة
واورقت واثمرت واذا اراد الاستقاء من البير ادلاها فطالت على طول البير وصارت شعبتاها
كالدلو حتى يستقي وكانت تضي بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه
قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها
اي طرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة فاذا هي حية تسعى صفرا من اعظم ما يكون من
الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة
الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع
ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتدا حالها فانها كانت
حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو عبارة عن انتهاء حالها

وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا
حية من اعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا
تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها
وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لاسنانها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا
وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد
الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي ادم من الحية وقيل
لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها
سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة
صوف قد خلها بعيدان فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله ان يكشف
يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو اذن الله بما تحاذره
اكانت المدرعة تغني شيا قال ولكني ضعيف من ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية عنكره
فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكا قال المفسرون اراد الله تعالى
ان يري موسى ما اعطاه من الاية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى
واضمم يدك الى جناحك اي الى ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء من غير سوء
والسوء هاهنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضي بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر
اية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت
يد موسى اكبر اياته قوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان والتمرد
وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره
اولى وقال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي
وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري تبعثك الى خلق
ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا الحجة التي
وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا تغتر بلباس الدنيا فان ناصيته
بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك فقال اجب ربك قال يعني موسى
رب اشرح لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى
كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة
فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله
واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني
به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى كان في حجر فرعون
ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامراته اسية ان هذا عدوي
واراد ان يقتله فقالت انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشا

في حجر امراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينا هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب
به راس فرعون فغضب فرعون وتطير به حتى هم بقتله فقالت اسيه ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه
ان شيت فجات بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعتهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ
الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت
فيه عقدة يفقهوا قولي اي يا حلل العقدة كي يفهموا كلامي واجعل لي وزيرا من اهلي اي معينا وظهيرا
والوزير من يوازرك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال هرون اخي وكان هرون
اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان ادم اقنى جعدا اشدد به ازري اي
قوبه ظهري واشركه في امري اي في امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا ونذكرك
كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى
قد اوتيت سولك اي اعطيت يا موسى جميع ما سالته ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المرة
ثم بين تلك المنة بقوله اذ اوحينا الى امك وحي الهام ما يوحى اي ما تلهم ثم فسر ذلك الالهام وعددتهم
عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها ان اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل
فليلقه اليم بالساحل يعني شاطي البحر ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاخذت تابوتا وجعلت
فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون
فبينما فرعون جالس على البركة مع امراته آسيه اذا بتابوت يجي به الما فامر الغلمان والجواري باخراجه
فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه
وتعلقه فذلك قوله والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما راه احد
الا احبه لملاحة كانت في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربي وتحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي
الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك واسمها مريم متعرفة خبره فتقول هل ادلكم على من يكفله
اي على امراة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجات بالام فقبل
ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها اي بلقايك ورويتك ولا تحزن اي وليذهب عنها الحزن
وقتلت نفسا قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنا عشر سنة فنجيناك
من الغم اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك
ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته
في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاوه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي
امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهر ثم قتله القبطي وخروجه الى
مدين خايفا فلبثت اي فمكثت سنين في اهل مدين هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب
اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم
مهر زوجته صفورا ابنة شعيب وثمان عشر سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له ثم جئت
على قدر يا موسى اي جيت على القدر الذي قدرت ان تجي فيه قيل على راس اربعين سنة وهو القدر
الذي يوحى الى الانبيا فيه واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي

لتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامك بادا الرسالة تصرف على ارادة الله تعالى ومحبته وقيل معناه
اخترتك لامري وجعلتك القايم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم
اذهب انت واخوك باياتي اي بدلالتي قال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث بها موسى ولا تنيا
اي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا في ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام
عليكما ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي داريا وارفقا به
قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد
بالقول اللين هل لك الى ان تزكى الاية وقيل امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه
على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح
الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا دون
هامان وكان غايبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال
له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد
ان تعبد فغلبه على رايه وكان هرون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هرون واوحى الله الى هرون وهو بمصر
ان يتلقا موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف
فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه سبحانه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت
معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضا الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة
كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وهو يرجع
الى فرعون معناه لعله يتذكر فيتذكر ويخشيه خالقه اذا راى بري والطافي بمن خلقته وانعمت
عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعه الذكرى
والخشيه وذلك حين الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيى بن معاذ فقولا له قولا لينا الاية فبكا يحيى
وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا يعني موسى وهرون
ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان
يطغى اي يجاوز الحد في الاساة الينا قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس دعاكما
فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فاتياه فقولا انا رسولا ربك اي
ارسلنا اليك ربك فارسل معنا بني اسرايل اي خل عنهم واطلقهم من اعمالك ولا تعذبهم
اي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا وقطع الصخور مع
قتل الولدان وغير ذلك قد جيناك باية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها
شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جيناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على
ما ادعيناه من الرسالة والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية
بل معناه سلم من العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى اي انما يعذب الله من كذب بما جينا به واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى
اي من الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي كل شي يحتاجون

اليه ويتفقون به وقيل اعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش
والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه اي منافعه من المطعم
والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوج الرجل المراة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجر والحمار
الاتان ثم هدى اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما بال القرون الاولى اي
فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان
وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية تحيرا قال فرعون
فما بال القرون الاولى قال يعني موسى علمها عند ربي اي اعمالهم محفوظة عند الله تجازى بها وقيل
انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التورية انما انزلت بعد هلاك فرعون وقومه
في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء ولا ينسى اي ما ذكر
وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل
لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء
ماء يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من
نبات شتى اي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا
انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكرت
لآيات لاولي النهى اي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم
اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره على
النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم
تارة اخرى اي يوم القيامة للبعث والحساب قوله عز وجل ولقد اريناه يعني فرعون آياتنا كلها
يعني الآيات التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى يعني فرعون وزعم انها سحر وابى
ان يسلم قال يعني فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسى اي تريد ان تغلب
على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي
اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا
وقال ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان
قال يعني موسى موعدكم يوم الزينة قيل كان يوم عيدهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة
وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحى نهارا
جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولى فرعون فجمع كيده اي مكره وحيلته وسحرته ثم اتى اي
الميعاد قال لهم موسى يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر
حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال
بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة قالوا اي قال بعضهم لبعض سرا
ان هذان لساحران يعني موسى وهرون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم يعني مصر بسحرهما ويذهبا ان
بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافهم وقيل معناه يصرفان وجوه

الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعني يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم وقيل
معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم
به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ائتوا صفا اي
جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم من
استعلى اي فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول
من القى اي عصاه قال يعني موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى
موسى كان الارض امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراوها انها
تسعى فاوجس اي احس وقيل وجد في نفسه خيفة موسى قيل هو طبع البشرية وذلك انه
ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه
قلنا لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر
والق ما في يمينك اي عصاك والعصا لا تحتفل بكثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيئا اعظم منها
كلها تلقف اي تلتقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر
حيث اتى اي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا
برب هرون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم
للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وقيل انهم لم يرفعوا
رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل لما سجدوا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون
اليها في الجنة قال يعني فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم اي لرئيسكم ومعلمكم يعني انه
اسحركم واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ولتعلمن اينا
اشد عذابا اي على ايمانكم به انا او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم قالوا يعني السحرة
لن نؤثرك اي لن نختارك على ما جاءنا من البينات يعني الدلالات الواضحات قيل هي اليد
والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل
انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا فاقض
ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما امرك وسلطانك في الدنيا
وسيزول عن قريب انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر فان قلت
كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم في الابتداء على
تعلم السحر لئلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون
من بني اسرائيل كان فرعون اكره الذين هم من بني اسرائيل على تعليم السحر وقيل قال السحرة لفرعون
ارنا موسى اذا هو نائم فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان

الساحر اذا نام بطل سحره فابي عليهم واكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير وابقى اي خير منك ثوابا وابقى منك عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عذابا منك ان عصي
وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتداء
كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك فان له جهنم
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ينفع بها ومن ياته مومنا اي مات على الايمان
قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات فقال تعالى
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب
وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي قوله وانعما يقال احسن فلان الي وانعم اي افضل وزاد في الاحسان
والمعنى انهما منهم وزادا وتناهيا الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر بهم
ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي يابسا ليس فيه
ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف ان يدركك
فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون بجنوده فغشيهم اي اصابهم
من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون
وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون
في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله تعالى النعم في
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح
وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام
دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم
ولا تطغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعم فتكونوا طاغين وقيل
لا تنفقوا ولا تتقووا بها على معاصي وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم
غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب
قال ابن عباس تاب من الشرك وامن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرائض
ثم اهتدى قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه
وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله تعالى وما اعجلك اي وما حملك على
العجلة عن قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الطور
لياخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان
يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال هم اولاء على
اثري اي هم بالقرب مني ياتون على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب

فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب وقال هم اولاء على اثري قلت كان هم موسى
بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم عقبه
بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك
اي ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك
اي من بعد انطلاقك الى الجبل واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلال وعبادة هوم
العجل اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع الحوادث تضاف الى منشئها
في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله ها هنا قيل كان السامري
من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به بقاله
وقيل كان علجا من علوج كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر فرجع
موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
اي صدقا انه يعطيكم التوراة افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي
يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ونحن
نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال
سميت اوزارا لكثرتها وثقلها والاوزار اي حملنا اثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا
من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق
فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم فقذفناها
اي القيناها وقيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه
فيها وقيل ان هرون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي ما كان معه من الحلي فيها
قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري وهو
يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه ما سالك
على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا
يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا
هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يدي ضال
بل ان السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل
فيها الرياح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم
واله موسى يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه
حبا لم يحبوا شيئا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري اي ان موسى نسي الاهه
وتركه ها هنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه
في طريق آخر فاخطا الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر عن السامري انه نسي

الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى الخفي
الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه
ولا يكلمهم ۞ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع
من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني اسرايل قوله عز وجل ولقد قال لهم هرون
من قبل اي من قبل رجوع موسى ۞ يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل ۞ وان ربكم الرحمن فاتبعوني
اي على ديني في عبادة الله ۞ واطيعوا امري اي في ترك عبادة العجل ۞ اعلم ان هرون عليه السلام
سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة
الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله
واطيعوا امري فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات
ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع
بهذا الاسم لانه نبههم على انه متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن الرحيم فقابلوا هذا
القول بالاصرار والجحود ۞ قالوا لن نبرح اي لن نزال ۞ عليه عاكفين اي على عبادة العجل ۞ عاكفين
اي مقيمين ۞ حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم
هرون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا
يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ
شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله ۞ وقال له يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اشركوا
ان لا تتبعني اي تتبع امري ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم
على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك
اياهم زجرا لهم ۞ اتوه ۞ افعصيت امري اي خالفت امري ۞ قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي اي بشعر راسي وكان قد اخذ ذوايبه ۞ اني خشيت اي لو انكرت عليهم لصاروا
حزبين يقتل بعضهم بعضا ۞ ان تقول اي فتقول ۞ فرقت بين بني اسرايل اي خشيت ان
فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا يتقاتلون فتقول فرقت بين بني اسرايل ۞ ولم ترقب
قولي اي لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على
السامري ۞ ثم قال فما خطبك اي ما امرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا به ۞ فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب اثر
حافر فرس جبريل ۞ فنبذتها اي فقذفتها في فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري
جبريل وراه من بين ساير الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته في
السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث
الله جبريل اليه ليربيه لما قضى الله تعالى على يديه من الفتنة والوجه الثاني انه لما
نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور فراه السامري من بين ساير الناس فلما راه قال
ان لهذا شانا فقبض القبضة من اثر تربة موطيه فلما ساله موسى قال قبضت من اثر الرسول

اليك يوم جاء للميعاد وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان
يظهر من الفتنة على يديه وهو قوله ۞ وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي نفسي وقيل هو من
السؤال والمعنى انه لم يدعني الى ما فعلت غيري واتبعت فيه هواي ۞ قال فاذهب يعني قال موسى
للسامري اذهب ۞ فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ۞ ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا
ولا يخالطك احد فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر
بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش
والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد حما جميعا
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك ۞ وان لك
اي يا سامري ۞ موعدا اي لعذابك في الاخرة ۞ لن تخلفه قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه
ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيمة وقرئ بالفتح اي لن تكذبه ولن يخلفك الله بل يكافيك على
فعلك ۞ وانظر الى الهك اي بالذي تزعم ۞ الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت عليه مقيما تعبده ۞
لنحرقنه اي بالنار ۞ ثم لننسفنه اي لنذرينه ۞ في اليم اي البحر ۞ نسفا روي ان موسى اخذ العجل
فذبحه فسال منه دم وحرقه بالنار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه اي لنبردنه وعلى هذا
التاويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما
فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر
العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرايل
انما الهكم الله اي المستحق للعبادة والتعظيم ۞ الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي
وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده ومن لا يعبده ۞ قوله تعالى كذلك نقص
عليك من انباء يعني اخبار ۞ ما قد سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من
الامور ۞ وقد اتيناك من لدنا ذكرا وهو القران ۞ من اعرض عنه اي عن القران ولم
يؤمن به ولم يعمل بما فيه ۞ فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي حملا ثقيلا من الاثم ۞ خالدين
فيه اي مقيمين في عذاب الوزر ۞ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بيس ما حملوا على انفسهم من
الاثم ۞ يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة
النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ۞ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي نحشر المشركين زرق
العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا ۞ يتخافتون اي يتسارون
بينهم ويتكلمون خفية ۞ ان لبثتم اي مكثتم في الدنيا ۞ الا عشرا اي عشر ليال وقيل
في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم
بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا قال الله تعالى نحن اعلم بما يقولون
اي يتسارون بينهم ۞ اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ۞ ان لبثتم
الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيمة وقيل نسوا مقدار لبثهم

لشدة ما دهمهم قوله عز وجل ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس سأل رجل
من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله عز وجل هذه الآية والنسف
هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا اي يدع اماكن الجبال من الارض قاعا
صفصفا اي ارضا ملسا مستوية لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا
اي لا ترى واديا ولا رابية يومئذ يتبعون الداعي اي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف
القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام
البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اي لا عوج لهم عن دعائه
ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت وذلت
وضعفت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا
وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطء
الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن
له ان يشفع ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع
غير المومن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله
مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله ما
قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع
والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم اي ايدي الشافعين وما خلفهم
ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم علما وهم لا يعلمونه والمعنى
ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله
علما وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم وخشعت الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر
الوجوه واراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان
الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس
خسر من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ابن عباس معناه
لا يخاف ان يزاد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها
قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما بينا في هذه السورة او هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا
القرآن كله كذلك وهو قوله قرآنا عربيا اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه
عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت
الوعيد بيان الفرايض والمحارم لان الوعيد بها يتعلق فتكريره وتفريعه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال
لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انا انزلنا القرآن لاجل ان
يصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكرا يبعثهم في فعل الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل
معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله الامم السابقة قوله عز وجل
فتعالى الله الملك الحق اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون واي صفون وقيل فيه تنبيه

اماكن م

على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير
وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل بالقرآن اراد ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل عليه بالقرآن يبادر فيقرا معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات
والنسيان فنهاه الله عن ذلك فقال ولا تعجل بالقرآن اي لا تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك
وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرا به اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين
لك معانيه وقل رب زدني علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل
شيء علما وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وقيل كان ابن مسعود
اذا قرا هذه الآية قال اللهم زدني علما ايمانا ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم اي امرناه واوصينا
اليه ان لا يأكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم
الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل الشجرة واكل منها
وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما اي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل
معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه
لم نجد له عزما على القيام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس ابى اي ان يسجد فقلنا يا آدم ان هذا اي ابليس عدو لك ولزوجك اي حواء
وسبب العداوة ما راى من آثار نعم الله على آدم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ما ادى ما
يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق
جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وقيل اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاه فان قلت لم اسند الشقاء الى آدم دون
حواء قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء اهله كما ان في سعادته سعادتهم
لانه القيم عليهم الثاني اراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو
الساعي على زوجته ان لك ان لا تجوع فيها اي الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها اي لا تعطش فيها ولا
تضحى اي لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع
والري والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله حصول هذه الاشياء
في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه
الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي قال يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في
دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبه فيه ابليس الآن تعالى وقف ذلك على
الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله هو خالقه
وربه ومولاه ومربيه وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد النهي لغة ومن تأمل
هذا الشرع عرف انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل آدم وحواء

جبريل

من الشجرة فبدت لهما سوآتهما اي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فرجهما وظهرت عوراتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان ليسترا سوآتهما من ورق التين ﴿وعصى آدم ربه﴾
اي باكل الشجرة ﴿فغوى﴾ اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد
باكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز
ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط
ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا او يعتاده ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة
فقال له آدم انت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قدره الله علي
قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة
قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال
افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحج آدم موسى ﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾ قوله احتج آدم
وموسى اي تحاجا والمحاجة يقال حاججته فانا محاج وحجيج اي جادلته فغلبته قال ابو سليمان
الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر
للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه
الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها
وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك
فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد
وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها والملامة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا
انهما امران لا ينفك احدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل
بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من
آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان
تناول الشجرة سبب نزوله الى الارض التي خلق لها وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع
لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني على امر قد قدره الله علي من قبل ان يخلقني ﴿فصل﴾
في بيان العصمة للانبياء وما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس
في عصمة الانبياء وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو
اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت
الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك
لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن
الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد واجاز بعضهم
على سبيل السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال الاول

قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول
اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا بكبيرة البتة بل على جهة التاويل وهو قول الجبائي
الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ الخامس انه لا يقع منهم صغيرة ولا كبيرة
لا على سبيل السهو ولا على سبيل العمد ولا على سبيل التاويل وهو قول الشيعة الثاني قول
من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا
يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار
عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب ولا صغيرة ولا كبيرة من حين حالة النبوة ويدل عليه وجوه احدها
لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء في غاية الرفعة
والشرف الثاني لو صدر منه لوجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة
وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا
فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال
الرابع ثبت ببديهة العقل انه لا شيء اقبح ممن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفة
في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا للذته واجمعت
الامة على ان الانبياء كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت
قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال حكاية عن شعيب وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
وقال في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة
وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما الذي احتج به المخالف فقد تمسك
بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة
ان ذلك حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء
ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة
وقال القاضي عياض واما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا
فقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي
عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف
ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متاولا وهو لا يعلم انها
الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا ثبت

واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين الولادة وهو قول الشيعة

كان م

عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما ذكر في القران والحديث من اعتراف
الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر
من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم
سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا
يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها على وجه التاويل والسهو
او تزيد من امور الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة
بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كانت هذه ادنى افعالهم واسوأ ما جرى من احوالهم
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وسنذكر
في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل ثم اجتباه ربه اي اختاره
واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالتوبة وبالعفو والمغفرة وهدى اي هداه لرشده
حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته
ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل
الخطاب لادم وحوا لانهما اصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو
وقيل في توجيه هذا الكلام حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس ولكن لان
يكون بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول فمن اتبع
هداي اي الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع
ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيمة سوء الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن
اتبع هداي فلا يضل اي في الدنيا ولا يشقى اي في الاخرة ومن اعرض عن ذكري يعني
القران فلم يومن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا روي عن ابن مسعود وابي هريرة
وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم انهم قالوا عذاب القبر قال ابو سعيد هو يضغط في القبر حتى
تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في
النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما اعطي
العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن
الحق وكانوا اولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله
ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل بسلب القناعة
حتى لا يشبع ونحشره يوم القيمة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي بصير العين وبصيرا بالحجة قال كذلك اي كما اتتك اياتنا
فنسيتها اي تركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا
من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض
عن القران كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد

اي مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اي وادوم قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يبين القران لكفار
مكة كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك
ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط
ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا حكم سبق بتاخير
العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى فيه تقديم وتاخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو القيمة
لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها
اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها
اي صلاة العصر ومن اناء الليل اي ومن ساعاته فسبح يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن
عباس يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر وسمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته
عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخر ابتداء لعلك ترضى اي ترضى
ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل
يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته
وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف
في قوله كما ترون كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها
الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك قال
ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى اليهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه
ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعني او اسلفني لقضيته
واني لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اي
لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له الى ما متعنا به اي اعطينا
ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة
لهم بان ازيد لهم في النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد يعني الجنة خير وابقى اي
ادوم قال ابي بن كعب من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما
في ايدي الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعم الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه
قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة اي بالمحافظة عليها واصطبر
عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ
بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا
ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك اي بل نحن نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة للتقوى

العاقبة ح

اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي علامة النبوة فقد اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى دلالة واوضح اية وقيل معناه ما في الصحف الاولى التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يومنهم ان اتتهم الاية ان تكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة ما في الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح قل كل متربص اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جاء امر الله وقامت القيمة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلال نحن ام انتم والله اعلم

تفسير سورة الانبيا عليهم السلام

وهي مكية وعددها مائة واثنا عشر اية والف ومائة وثمان وستون كلمة واربعة الاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيمة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونوا اقرب الى التاهب له والمراد بالناس الذي سبق ذكرهم الكافرون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه وهم في غفلة معرضون اي عن التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا انتبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاول ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب افتاتون السحر اي تحضرون السحر وتقبلونه وانتم تبصرون اي تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم قوله عز وجل بل قالوا اضغاث احلام يعني اباطيل واهاويل رآها في النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذكر ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم

اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فليأتنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم باية ان كان صادقا كما ارسل الاولون اي من الرسل بالايات قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم الايات اهلكناها اي بالتكذيب افهم يومنون اي ان جاءتهم اية والمعنى ان اولئك لم يومنوا بالايات لما جاءتهم افيومن هؤلاء قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلكم فاسألوا اهل الذكر يعني اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسالة اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران اي فاسألوا المومنين العالمين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم يعني الرسل جسدا لا ياكلون الطعام هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد اي الذي وعدناهم باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء اي المومنين الذين صدقوهم واهلكنا المسرفين اي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد انزلنا اليكم اي يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا اي اهلكنا من قرية كانت ظالمة اي كافرة والمراد اهل القرية وانشانا بعدها اي احدثنا بعد هلاك اهلها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة العذاب لا تركضوا اي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسالون قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الاية في اهل حضور قرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم اليه فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسالون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بخت نصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم اي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين اي ميتين قوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب للعب واللهو وانما

سويناها للفوائد منها التفكر في خلقها وما فيها من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى ٥ لو اردنا
ان نتخذ لهوا قال ابن عباس اللهو المراة وعنه انه الولد ٥ لاتخذناه من لدنا اي من عندنا من الحور العين
لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ولستر
ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه
من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونون عنده لا عند غيره ٥ ان كنا فاعلين اي ما كنا
فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية ٥ بل اي دع ذلك الذي قالوه فانه كذب
وباطل ٥ نقذف اي نرمي ونسلط ٥ بالحق اي بالايمان ٥ على الباطل اي على الكفر وقيل الحق قول الله
انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا ٥ فيدمغه اي فيهلكه ٥ فاذا هو زاهق اي ذاهب والمعنى
انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر
الكفار ٥ مما تصفون الله به مما لا يليق به من الصاحبة والولد ٥ وله من في السموات والارض اي
عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ٥ ومن عنده يعني الملائكة وانما خص الملائكة
وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم ٥ لا يستكبرون عن عبادته
اي لا يانفون ولا يتعظمون عنها ٥ ولا يستحسرون اي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن
العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون
وذلك ان تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار
التسبيح لهم كالنفس لبني ادم ٥ ام اتخذوا الهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرها
من المعادن وهو من الارض ٥ هم ينشرون اي يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على
الاحيا والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل ٥ لو كان فيهما اي في السماء والارض
الهة الا الله اي غير الله ٥ لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر
عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الالهين
محال لانا قلنا انه يفضي الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود الالهين محالا لانا لو فرضنا وجود الالهين
فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا
على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد الاخر تسكينه فاما ان يقع المرادان
وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما مراد الاخر وهو محال لان المانع من وجود
مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد ذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا
معا لوجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين
احدهما انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الاخر
بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة فاللازم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيها
انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا
والعجز نقص وهو على الله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
فيفضي الى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل

الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان واحد منهما مستقلا بالايجاد بالفعل لكونه مع هذا واجب الوقوع
فيستحيل اسناده الى هذا الا انه حاصل معها جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما معا
وذلك محال وهذه حجة تامة في مسالة التوحيد فنقول القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع
المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا او
نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشي الواحد فذلك الواحد مقدور لهما
ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان تقع المرادات او لا يقع واحد منها او يقع
احدها دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك
اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات
والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل السمعية على الوحدانية فكثيرة في
القران واعلم ان كل من طعن في الدلالة التي نعقد فسر الاية بان المراد لو كان في السماء والارض
الهة تقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم
افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة
على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون
فمعناه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشرك والولد ٥ لا يسال عما يفعل اي
لا يسال الله عما يفعله ويقضيه في خلقه ٥ وهم يسالون اي والناس يسالون عن اعمالهم والمعنى
انه لا يسال عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه
الرب مالك الاعيان والخلق يسالون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيمة لم فعلتم كذا لانهم عبيد
يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشي فعله لم فعلته قوله عز وجل
ام اتخذوا من دونه الهة لما ابطل الله تعالى ان يكون الهة سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا انكر عليهم اتخاذ الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام انكار وتوبيخ
قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستانفا ٥ هذا يعني القران ٥ ذكر من
معي اي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيمة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية ٥ وذكر من قبلي اي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة
وقال ابن عباس ذكر من معي القران وذكر من قبلي التورية والانجيل والمعنى راجعوا القران والتورية
والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا او كان معه الهة ٥ بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
اي موحدون وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فهم معرضون اي عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو
قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه
نفسه عما قالوه ٥ بل عباد مكرمون اي هم عباد يعني الملائكة مكرمون اي اكرمهم الله واصطفاهم
لا يسبقونه بالقول اي لا يتقدمونه بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به ٥ وهم بامره يعملون والمعنى

انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم
وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا
لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون اي خائفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم
اني اله من دونه قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون
الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل
اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا
شيئا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتقها بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق
السماء بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الماء كل شيء حي اي واحيينا بالماء الذي ينزل من السماء
كل شيء حي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك انه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه
ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من
غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما
على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء افلا يؤمنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض
رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت
تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا
اي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير للفجاج لعلهم يهتدون
اي الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا اي من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا
من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن آياتها معرضون اي عما خلق الله فيها من الشمس
والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة
البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل
يسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي
يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب
فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء
تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق
والالتئام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار الصادق سبحان
الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني
الدوام والبقاء في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب
المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا بشر
فلا انت ولا هم فان مت انت فيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى

الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة
قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير اي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل
بما تحبون وما تكرهون فتنة اي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا
ترجعون اي للحساب والجزاء قوله عز وجل واذا رآك الذين كفروا ان اي ما يتخذونك الا هزوا اي
سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف
اهذا الذي يذكر آلهتكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم
مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة
قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل
لما دخل الروح في راس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان
تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة
وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار
يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه قال يا رب استعجل بخلقي
قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب من خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اي من
طين قال الشاعر والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل
اي بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله ساريكم آياتي
فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن
الحرث ومعنى ساريكم آياتي اي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل
كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم يقولون
ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون
من العذاب والمعنى لو علموا لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولا قالوا متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين بل تاتيهم يعني الساعة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم فلا
يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة
ولقد استهزئ برسل من قبلك اي يا محمد كما استهزأ بك قومك فحاق اي نزل واحاط
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون اي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اي فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل اي
اذا نمتم والنهار اي اذا انصرفتم في معايشكم من الرحمن قال ابن عباس معناه من يمنعكم
من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم اي عن القرآن ومواعظه معرضون اي لا يتاملون

الرحمن

في شيء منها ۞ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال
لا يستطيعون نصر أنفسهم أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ۞ ولا هم منا
يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله
بخير ۞ بل متعنا هؤلاء يعني الكفار وآباءهم أي في الدنيا بأن أنعمنا عليهم وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر
أي امتد بهم الزمان فاغتروا ۞ أفلا يرون يعني هؤلاء المشركين ۞ أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها
يعني ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في ديار الشرك أرضا فأرضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء
المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في إتيان الأرض من جوانبها بأخذ الواحد بعد
الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وزيدها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وإماتة رؤساء المشركين
الممتعين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنهم لا يقدرون على
الامتناع منا وإرادتنا فيهم ثم قال ۞ أفهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن
الغالبون وهم المغلوبون ۞ قل يا محمد إنما أنذركم بالوحي أي أخوفكم بالقرآن ۞ ولا يسمع الصم الدعاء إذا
ما ينذرون أي يخوفون ۞ ولئن مستهم أي أصابتهم ۞ نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف
وقيل شيء قليل ۞ ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا
بالظلم والشرك قوله عز وجل ۞ ونضع الموازين القسط أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون
مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها
ليوم القيامة أي لأهل يوم القيامة وقيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت
حسناته بسيئاته فاز ونجا والعكس والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى
يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان
وروي أن داود عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق
والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يا داود
إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما
أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة والثاني
أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فإن قلت
كيف تصنع بقوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه في حق الكفار لأنه ليس لهم أعمال توزن مع
الكفر قوله ۞ فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها معناه أنه لا ينقص من إحسان
محسن ولا يزاد في إساءة مسيء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أي أحضرناها
لها لنجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله
سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل
مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك
عذر فقال لا يا رب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج
له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول

يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب
الكبير وأصله من السجل لأنه يجمع الأحكام والبطاقة ورقة صغيرة وهي ما تجعل في طي الثوب
يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على أن صحائف الأعمال توزن لا أن الأعمال
تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم قوله تعالى ۞ وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا
عالمين حافظين لأن من حسب شيئا علمه وحفظه والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا
كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن
يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلي أنه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا وكذا كل مالك بالمماليك يرفق قوله عز وجل ۞ ولقد آتينا
موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان
النصر على الأعداء فعلى هذا يكون ۞ وضياء يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة
في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ۞ وذكرى للمتقين يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيه
الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات إذا غابوا عن أعين
الناس ۞ وهم من الساعة مشفقون أي خائفون ۞ وهذا ذكر مبارك أنزلناه كما آتينا موسى الفرقان
أنزلنا إليك القرآن ذكر مبارك أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير
أفأنتم يا أهل مكة له منكرون أي جاحدون قوله تعالى ۞ ولقد آتينا إبراهيم رشده أي صلاحه
وهداه ۞ من قبل أي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل أن نوحي إليه وقيل من قبل البلوغ
وهو حين خرج من السرب وهو صغير ۞ وكنا به عالمين أي أنه من أهل الهداية والنبوة ۞
إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل يعني الصور والأصنام ۞ التي أنتم لها عاكفون أي مقيمون
على عبادتها ۞ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين أي فاقتدينا بهم ۞ قال يعني إبراهيم ۞ لقد كنتم
أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي في خطأ بين بعبادتكم إياها ۞ قالوا أجئتنا بالحق أي بالصدق
أم أنت من اللاعبين يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب ۞ قال بل ربكم رب السموات
والأرض الذي فطرهن أي خلقهن ۞ وأنا على ذلكم من الشاهدين أي على أنه الإله الذي
يستحق العبادة وقيل على أنه خالق السموات والأرض ۞ وتالله لأكيدن أصنامكم أي لأمكرن
بها ۞ بعد أن تولوا مدبرين أي منطلقين إلى عيدكم قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا في
نفسه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل إنا سمعنا فتى
يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام
فيسجدوا لها ثم يرجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت
معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال
إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا ونادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن
أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب

باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه
اصغر كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين ايدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت
الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابرهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على سبيل
الاستهزاء الا تاكلون فلما لم تجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل
يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى
فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا ۝ الا كبيرا لهم اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه
على يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد
ومن نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا باللؤلؤ بالجواهر
في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابرهيم والى دينه
وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم البد
فيسالونه ما لهؤلاء مكسرين وانت صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم
راوا اصنامهم مكسرة ۝ قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها
والجراءة عليها ۝ قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يسبهم ويعيبهم ۝ يقال له ابرهيم اي هو الذي
نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه ۝ قالوا فاتوا به على اعين الناس
اي جيئوا به ظاهرا بمراى من الناس قاله نمرود ۝ لعلهم يشهدون اي عليه بانه الذي فعل
ذلك كرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به
۝ قالوا له انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال يعني ابرهيم ۝ بل فعله كبيرهم هذا غضب اذ
تعبدوا معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابرهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك
قوله ۝ فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق
قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك ۝ ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني
سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم اي
سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا انه علق خبره بشرط
نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختي
اي في الدين والاسلام قال الله انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس
فيها كذب فان قلت فقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابرهيم الا
ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم عليه السلام من المؤاخذة بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب عن
ابرهيم والاولى هو الاول للحديث فيه ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم
والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا

سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان يكذب
لمصلحة ويأذن الله فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع
ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله فرجعوا
الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ۝ فقالوا ما نراه الا كما قال ۝ انكم انتم الظالمون
يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه ۝ انتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم
حاضرة فسلوها ۝ ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم
في القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول
وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر ۝ وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
اي فكيف نسالهم فلما اتجهت الحجة لابرهيم عليهم ۝ قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا اي
ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته ۝ اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله والمعنى انه
حقرهم وحقر معبودهم ۝ افلا تعقلون اي اليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق
العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ۝ قالوا حرقوه وانصروا الهتكم يعني انكم تنصرونها
بتحريق ابرهيم لانه يعيبها ويطعن عليها ۝ ان كنتم فاعلين اي ناصرين الهتكم قال ابن عمر الذي
قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة
وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح ذكر القصة في ذلك قيل
اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا
صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن
حطبا لابرهيم وكانت المراة تنذر في بعض ما تطلبه لئن اصابته لتحطبن في نار ابرهيم وكانت المراة
تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه
فيه فلما جمعوا ما ارادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى
ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا
ان يلقوا ابرهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا
الى ابرهيم فقيدوه ورفعوه على راس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت
السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا
ابرهيم خليلك يلقى في النار وليس في الارض احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال
الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فان استغاث
باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه
فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار
واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله
ونعم الوكيل وروي عن ابي بن كعب ان ابرهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة

ابرهيم

قال اما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال حسبي من سوالي علمه بحالي ح عن ابن عباس في قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار ق عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابرهيم ه قلنا اي قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قال ابن عباس لولم يسلم لمات ابرهيم من بردها وفي الاثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولولم يقل على ابرهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملايكة بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم الا وثاقه قالوا وكان ابرهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو قال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم مني من الايام التي كنت في النار وقيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد الى جنب ابرهيم يونسه قال وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابرهيم من صرح له فراه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابرهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما ارى يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان اقمت ان تحرك النار قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابرهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابرهيم من الرجل الذي رايته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذاك ملك الظل ارسله الي ربي ليونسني فيها فقال له نمرود يا ابرهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة الاف بقرة قال ابرهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف نمرود عن ابرهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل منه قوله تعالى وارادوا به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته قوله تعالى ونجيناه ولوطا يعني من نمرود وقومه الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من الصخرة التي ببيت المقدس وقيل ان اكثر الانبياء منها عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابرهيم اخرجه ابو داود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام

تحت ه

فقلت

فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملايكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال ها هنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحاق استجاب لابرهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملايهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابرهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهو اخو ابرهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فهولاء بنو اولاد تارخ وهو ازر فخرج ابرهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية من عطاء الله وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابرهيم اسحق بدعايه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاد يعقوب نافلة وهو ولد الولد ه وكلا جعلنا صالحين يعني ابرهيم واسحق ويعقوب ه وجعلناهم ايمة اي قدوة يقتدى بهم في الخير ه يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى ديننا ه واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرائع ه واقام الصلاة يعني المحافظة عليها وايتاء الزكاة فيه ان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادة المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ه وكانوا لنا عابدين اي موحدين قوله عز وجل ولوطا اتيناه حكما وعلما ه ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث يعني قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبايث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملون من المنكرات ه انهم كانوا قوم سوء فاسقين ه وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه الثواب انه من الصالحين يعني الانبياء قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل ابرهيم ولوط ه فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه ه فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل انه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ه ونصرناه اي منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على ه انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قوله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف ه اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع ه وكنا لحكمهم شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومراى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم يبق منه شيا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا

ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني
بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع
صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب
الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك احدى عشرة سنة وحكم
الاسلام في هذه المسئلة ان ما افسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدته
بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل
الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روي حرام بن حكيم بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت
حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها
بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل حفظها
اخرجه ابو داود مرسلا وذهب اصحاب الراي الى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما
اتلفت ليلا كان او نهارا قوله تعالى ففهمناها سليمان اي علمناه والهمناه حكم القضية وكلا ابني
داود وسليمن آتينا حكما وعلما يعني بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرايت
الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في ان حكم
داود كان باجتهاد ام بنص وكذلك حكم سليمن فقال بعضهم حكما بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء
ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة واذا اخطاوا
فلا اثم عليهم قد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد
فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال قوم ان داود وسليمن حكما بالوحي فكان
حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا القول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه
بالوحي واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد
الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب الراي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا
اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن
للتقسيم معنى وقوله عليه السلام اذا اجتهد فاخطا فله اجر لم يرد به انه يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده
في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع اذا لم يال جهده ووجه الاجتهاد
في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب
في ذلك الضرر قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه واما سليمن فان اجتهاده ادى الى انه
يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائز ولعل
منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمن عليهما
السلام ما روي عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان معهما ابناهما
جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب
بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمن بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين
اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في

الصحي

الصحيحين قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اي يسبحن مع داود اذا سبح قال
ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل
معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه تسبيح الجبال والطير
لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وكنا فاعلين يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير
وعلمناه صنعة لبوس لكم اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها
واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير
نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله لتحصنكم اي لتمنعكم من باسكم اي حرب
عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي يقول ذلك لداود
واهل بيته قوله عز وجل ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وهي جسم متحرك لطيف
ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه عاصفة اي شديدة
الهبوب فان قلت قد وصفها بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان
ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني
الشام وذلك انها كانت تجري لسليمان واصحابه الى حيث شاء سليمان ثم تعود الى منزله
بالشام وكنا بكل شيء عالمين اي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما نعطي سليمان من تسخير
الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه
عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرا غزاء قلما كان
يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا
اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب
والة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته
حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكان
يمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان
منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه
وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون
بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان
يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب
وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط
مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمن الخيل حتى فاتته
صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره
كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل وروي
ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين

بعدوا على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف منها عن مطالع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض
القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال
بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق
فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح
والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية
فاحددها عن الفند وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد قوله عز وجل
ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له اي يدخلون تحت الماء فيخرجون
له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو اختراع الصنائع
العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية ويبني ورزون في ذلك الى اعمال المدن
والقصور ومن الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين
اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار
دفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه فقيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان
ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى
وايوب اذ نادى ربه اي دعا ربه ذكر قصة ايوب عليه السلام قال وهب بن
منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص ابن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن
ابرهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا
وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان
له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل افضل منه في
العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ومال ويحمل كل فدان الة
اتان لكل اتان من الولد اثنين او ثلاثة او اربعا وخمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه
اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل
ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله
ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من العزة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما
هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن
وقيل نفير ورجلان من بلده يقال لاحدهما بلدد وللاخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب
عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة
بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد
سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته
عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله

ابليس

ابليس حتى وقع الى الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من
القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال
عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء اتي عليه
قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار
من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة
ايوب م قيمه عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها
ومن فيها غيري فقال الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا
شاء تركها واذا شاء نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالي على الفناء قال ابليس فان ربك ارسل
عليها نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب
يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم
من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين
نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي
لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد
خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه
خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت
صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها
ثم صاح صيحة فجثمت اموتا من عند اخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاء
الى ايوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس
الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا
شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تاتي عليه قال فات الفدادين والحرث فانطلق نحوهم
وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل
شيء من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قائم يصلي
فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصيب ماله مالا
مالا حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضي عنه
بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى
ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب
يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي
لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله
بني حتى اتى بني ايوب صلى الله عليه وسلم وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل
جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه
فصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه

ليبرد منه فاخبرني قال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل
دماؤهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل
يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال
يا ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به
ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت
توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهي انما هون على ايوب المال
والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على
جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه
وقلبه وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة
للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو
الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه
فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت
فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار
والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه ونغل وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية
فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة
بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما راى الثلثة
من اصحابه وهم يفن وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا
دينه فلما طال به انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي
عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن فذامنوا وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم
ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من
الذي قلتم ومن الراي ما هو اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم وقد كان
لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول
حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم الم تعلموا ان
ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا او لم يطلعكم الله على
انه سخط شيئا من امره منذ اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيئا
من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى علي
يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم
ان الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك
دليلا على سخطه عليهم ولا هوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله
بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل اخاه
عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه

ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله
الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم
تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء
العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت
قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله
بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين
وانهم لاكياس اقوياء قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير
والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن
والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند
الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلثة وقال اتيتموني
غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني
باموالكم لعل الله ان يخلصني او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم
انفسكم وظننتم انكم عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم
عيوبا قد سترها الله بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وانا مسموع كلامي معروف
حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد علي
من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يا رب
لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي
عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني بابائي فالموت كان اجمل بي
الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبدك ان احسنت
فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي
من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي
اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري
واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي فادلي بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان
يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه
فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب
ان الله يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك
وخاصم عن نفسك واشدد ازرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه
لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما تبلغ بمثل قوتك
اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل
علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شيء وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام
بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب

من فوقها ولا يثقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها وتسير نجومها او تختلف بامرك
ليلها ونهارها اين كنت مني يوم ابنيت الانهار وسكرت البحار وبسلطانك حبست امواج البحار على
حدودها ام بعزتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الماء على التراب
ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي شي ارسيتها او باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع ام ه
يطيق حملها ام هل تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شي انشات
السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة
النهار بالليل واين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف
الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبابرة بجبروته وقسم
الارزاق بحكمته في كلام كثير تدل على اثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شاني
وكل لساني وعقلي ورايي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان
كل الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملته لا
يعجزك شي ولا يخفى عليك خافية الهي اوثقني البلا فتكلمت ولم املك فكان البلا هو الذي انطقني
ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني مت بغمي في اشد
بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت
مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب
خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك
فاغثني واستعينك على امرك فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك
فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي
فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون
عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك
وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن انس يرفعه ان ايوب
لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين
وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهر تختلف فيه الدواب
لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك
لا يفتر من ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار
الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما حزنك قال اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا
ولم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امراته فاستغثت
بكم لتغيثوني عليه فقالوا له فاين مكرك الذي هلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا
علي قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امراته قالوا فشانك بايوب من قبل امراته
فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة
ايوب وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويردد

ربما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها

الديدان في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها حال ايوب وشبابه
وما هو فيه من الحزن وان ذلك لا ينقطع عنهم ابدا فصرخت فعلم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال
ليذبح لي هذا ايوب ويبرا ثم تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق
اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ
فيك ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا
به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت
لتصبرين في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة
امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي اتيتيني به علي حرام ان اذوق شيئا مما تاتيني
به بعد اذ قلت لي هذا اغربي عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام
ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل
منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شي ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم
ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي
حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من اهل ومال الا وقد اضعفه الله
حتى والله ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب
فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع
منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت ان كان طردني الى من
اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة
رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت
الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال عن ايوب
فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا
على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال
فهل تعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفى على احد راه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت
اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انا ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس
واني اطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فرد الله علي ما ترين قال وهب
لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض
امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس
له عظم وبهاء فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل
تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله
السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كلما كان لكما
من مال وولد فانه عندي ثم اراها اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب

ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته
بما قال لها وما اراها فقال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وقال
عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعايه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة
امراة ايوب بصبرها معه على البلا وخفف عليها واراد ابر يمين ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل
على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه
فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلثة اشيا احدها ما قيل
في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها
واتته بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل مسني الضر اي
من شماتة الاعدا فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله
مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعا بدليل قوله فاستجبنا له والشكوى
انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من
اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضا الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقال لعايشة حين
قالت وا راساه قال بل انا وا راساه وقوله تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فكشفنا ما به
من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها
ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى
ففعل فنبع عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار
كاصح ما كان وآتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين
رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم فاحياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن
ابن عباس ان الله رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له
سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث
الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق
حتى فاضتا وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج
اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك
اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ايوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه
فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك وقيل اتى
الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا فقيل لايوب ان اهلك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا
وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم معهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة واوتي
مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا
واراد بالاهل الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة وذكرى للعابدين اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل

٢٠٠

واسمعيل هو ابن ابرهيم صلى الله عليهما وسلم وادريس هو اخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين اي
على ما امر الله لما ذكر الله ايوب وصبره على البلا اتبعه بذكر هولا الانبيا لانهم صبروا على المحن والشدايد
والعبادة ايضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم صبر على الانقياد للذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته
واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من انبيا بني اسرائيل كان ملكا فاوحى الله اليه اني اريد
قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر
ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل
لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت
رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل مني ثلثا
استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك
اليوم وقال مثلها في الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس
في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة
فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة
وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القايلة فقال اذا رحت فاتني آخذ حقك فانطلق
وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان من الغد جعل
يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من
هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال الم اقل اذا قعدت فاتني قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد
قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فاتني وفاتته القايلة فلما
جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن
احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعة نام وجاء فلم ياذن
له الرجل فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل
فاستيقظ فقال يا فلان الم آمرك فقال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب
فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه
فقال اعدو الله قال نعم اعييتني ففعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل
بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا
صالحا ولم يكن نبيا وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم الى الجنة
من الثواب انهم من الصالحين قوله عز وجل وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وقد اضيف
الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية عنه
كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي
منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيا النبي ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه
نبيا قويا فاني القي في قلوب اوليك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له فمن ترى وكان في مملكته
خمسة انبيا قال يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله

باخراجي قال الاقال من اهل سماني الكرقال الا قال فاني هنا عذرت ابنيا اتوبا فانحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك
ولقومه فاتى بحر الروم فركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم
ذكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب
عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان
من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم ياتهم العذاب للميعاد فغضب
وقال ابن عباس اتى جبريل يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ
تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم
فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن
ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس
مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى الله ان
يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة ايام
وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع
نفسه في بطن الحوت فنادى في الظلمات اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم اعبد غيرك فاخرجه
الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا
تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس
حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت
فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا
من مكان مجهول فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح
الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه
في الساحل فذلك قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من تلك الظلمات وكذلك ننجي
المؤمنين اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة
من اجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر عليه ومنها
قوله اني كنت من الظالمين قلت اما الجواب الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل
الرسالة ام لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى
في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه
الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح
واما الجواب التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فمحمله انه لقومه او للملك او لحال الانبياء واما
قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان يونس ظن انه مخير ان
شاء اقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة

ان ام

واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه
اما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذا انتفاء
ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل
قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة
ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل وزكريا اذ نادى ربه اي دعا ربه فقال رب لا
تذرني فردا اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا وانت خير الوارثين هو ثناء على الله
بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير
الرازقين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى اي ولدا واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا بعد
ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله بان رزقها حسن الخلق انهم كانوا يسارعون
في الخيرات يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة في الخير
من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا يعني
انهم ضموا الى فعل الطاعات امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه
والثاني الخشوع وهو قوله تعالى وكانوا لنا خاشعين وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع
هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الوقوع في الاثم وقوله تعالى والتي احصنت
فرجها اي احصنته احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم
بنت عمران فنفخنا فيها من روحنا اي امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ
المسيح في بطنها واضاف الروح اليه لتشريف عيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها وابنها
اية اي دلالة للعالمين على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب فان قلت هلا قال ايتين كيف
قال اية قلت معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما اية واحدة لان ولادتها اياه من غير اب اية
قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة اي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام
من الاديان والامة الجماعة التي هي مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد
واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع وانا ربكم فاعبدون اي لا دين سوى ديني ولا رب
لكم غيري فاعبدوني وتقطعوا امرهم بينهم اي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا
حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض كل الينا راجعون فنجزيهم باعمالهم فمن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا جحود ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه
وانا له كاتبون اي لعمله حافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران
ترك المجازاة قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قال ابن عباس معناه
وحرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه انه واجب على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا باهلاكهم ان
تتقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج يريد فتح السد وذلك
ان الله يفتحه انتزاعا عن ياجوج وماجوج وهما قبيلتان يقال انهم تسعة اعشار بني ادم

وهم من كل حدب ينسلون اي يسرعون النزول من الاكام والتلاع وفي هذه الكناية وجهان احدهما
ان المراد هم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طايفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما
شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طايفة النخل فقال
غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه
والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم
فليقرا عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد
الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة
وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على
القوم فيدعوهم فيومنون به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم
سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله يا زعل النوم و
فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه
كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية
الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام
فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا
راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي
الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله
منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى ابن مريم اني قد
اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من
كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه
مرة ما ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من ماية دينار لاحدكم
اليوم فيرغب نبي الله واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة
ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث
ما شا الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة
ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون
بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفيام من الناس واللقحة من البقر لتكفي
القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا
طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مومن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها
تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح غريب الفاظه قوله حتى
ظنناه في طايفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطايفة القطعة من الشي وقوله فخفض فيه ورفع اي

خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه خفض من امره لهوانه له ورفع من
شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافية اي خارجة
عن حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشي
قوله فعاث اي افسد قوله فاقدروا له اي قدروا قدر يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل
يوم بقدر ساعاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اي
مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب
وهو فحل النحل ورييسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف
الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين
وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا
قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله
زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمراة وجمعها زلف ويروى بالقاف واراد به استواها
ونظافتها قوله تاكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث
قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفيام الجماعة من الناس والفخذ
دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل الوجه
الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلايق يعني انهم يخرجون من
قبورهم الى موقف الحساب م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر
ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج
وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن
تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى
فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا قيل معنى الاية اي القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا
تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث
كذبناه وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين اي بوضع العبادة في غير موضعها قوله عز وجل
انكم الخطاب للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي حطبها
ووقودها وقيل يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصبا واصل الحصب الرمي انتم لها واردون
اي فيها داخلون لو كان هولا يعني الاصنام الهة اي على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل
الاصنام النار وعابدوها وكل فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين لهم فيها زفير
قيل الزفير هو ان يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب
وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الاية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت
من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير

من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى قال العلما ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة
بالجنة اولئك عنها اي عن النار مبعدون قيل الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة
وقال اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عُبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من يعبده كاره
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمايه وستون
صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم الايات الثلاث ثم قام فاقبل ابن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست
اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملايكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم
يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملايكة
اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد
من الاية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملايكة والناس
لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لما لا يعقل لا يسمعون حسيسها يعني صوتها وحركة
تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم اي من النعيم والكرامة خالدون اي مقيمون
قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى
يا اهل النار خلود فلا موت وقيل هو ان يطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه
وتتلقاهم الملايكة اي تستقبلهم الملايكة على ابواب الجنة يهنونهم ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون
اي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة
والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب
اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السما كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير
لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم
يوم القيمة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم
محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين قوله غرلا اي
قلفا وقوله تعالى انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب ومعناه من بعد الذكر ما كتب في اللوح المحفوظ قال ابن عباس
الزبور التورية والذكر الكتب المنزلة من بعد التورية وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القران
وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبيا ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده
عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى
باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها
ان في هذا اي في القران لبلاغا اي وصولا الى البغية يعني من اتبع القران وعمل بما فيه وصل

الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين اي مومنين يعبدون
الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن
عباس عالمين وقيل العالمون العاملون قوله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان
الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع
تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق
سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال
من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المومنين خاصة فهو رحمة لهم
وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم يومن فمن امن فهو رحمة له في الدنيا والاخرة
ومن لم يومن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اي
منقادون لما يوحى الي من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا
فان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا على سواء
اي انذارا بينا يستوي في علمه لا استبدادا به دونكم لتتاهبوا لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه
يستوي فيه نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم
من التوحيد وغيره وان ادري اي وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون يعني القيمة
لا يعلمها الا الله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي لا يغيب عن علمه شي منكم في علانيتكم
وسركم وان ادري لعله فتنة لكم اي لعل تاخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم
وهو اعلم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضا اجالكم قل رب احكم اي افصل بيني
وبين من كذبني بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل
معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب
او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
اي من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا لي رب احكم
بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست ايات

من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية
والف ومايتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ان زلزلة الساعة شي عظيم
الزلزلة شدة الحركة على الحال الهايلة ووصفها بالعظم ولا شي اعظم مما عظمه الله تعالى
قيل هي من اشراط الساعة وقيل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فيكون

معها ﴿يوم ترونها﴾ يعني الساعة وقيل الزلزلة ﴿تذهل﴾ قال ابن عباس تشتغل وقيل تنسى ﴿كل مرضعة
عما ارضعت﴾ اي كل امراة معها ولدها ترضعه ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ اي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل
قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون
الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيمة قال هذا على وجه تعظيم
الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته ﴿وترى الناس سكارى﴾
على التشبيه ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب
عقولهم وازال تميزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ﴿ولكن عذاب الله
شديد﴾ ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان
تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين
فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم في
الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة
في ذراع الحمار اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة
فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن الحصين وغيره ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني
المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها
عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم
يطبخوا والناس ما بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذاك قالوا
الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث بعث النار وذكر نحو حديث ابي سعيد وزاد فيه
قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم مع كل واحد سبعون الفا
قوله عز وجل ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدال وكان يقول
الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ﴿ويتبع﴾ اي في
جداله في الله بغير علم ﴿كل شيطان مريد﴾ اي المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان احدهما انه شياطين
الانس وهم روساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده ﴿كتب عليه﴾ اي قضى
على الشيطان ﴿انه من تولاه﴾ اي اتبعه ﴿فانه يضله﴾ اي يضل من تولاه عن طريق الجنة ﴿ويهديه الى عذاب
السعير﴾ في الاية زجر عن اتباع غير الحق كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكري
البعث فقال تعالى ﴿يا ايها الناس ان كنتم في ريب﴾ اي شك ﴿من البعث﴾ اي بعد الموت ﴿فانا خلقناكم
من تراب﴾ يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل ﴿ثم من نطفة﴾ يعني ذريته من المني واصلها الماء القليل
﴿ثم من علقة﴾ اي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة
قليلة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ قال ابن عباس اي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل

اي الشيطان

٢٠٤

مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تاتي به المراة لوقته وغير مخلقة
السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط
والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال روي عن علقمة بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة
اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب نطفة مخلقة او غير مخلقة فان قال غير
مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد
ما الاجل ما العمل ما الرزق باي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك
فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على اخر صفته والدليل عليه ما روي
في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله
ملكا فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل
النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى ﴿لنبين لكم﴾ اي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف
خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما
تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان تغيير المضغة
الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا
عن الاعادة ﴿ونقر في الارحام ما نشاء﴾ اي لا تسقط ولا تمحه ﴿الى اجل مسمى﴾ اي وقت
خروجها من الرحم تام الخلق ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ اي وقت الولادة صغارا وانما وحد الطفل
لان الغرض الدلالة على الجنس ﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾ اي كمال القوة والعقل والتمييز ﴿ومنكم
من يتوفى﴾ اي قبل بلوغ الكبر ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر﴾ اي الهرم والخرف
﴿لكي لا يعلم من بعد علم شيئا﴾ اي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان
في اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث
فقال تعالى ﴿وترى الارض هامدة﴾ اي يابسة لا نبات فيها ﴿فاذا انزلنا عليها الماء﴾
يعني المطر ﴿اهتزت﴾ ﴿وربت﴾ اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات ﴿وانبتت﴾
هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا ﴿من كل زوج بهيج﴾
اي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم ان
الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ﴿ذلك﴾ لتعلموا
﴿بان الله هو الحق﴾ وان حدوث هذه الاشياء دال على وجود الصانع ﴿وانه يحيي
الموتى﴾ اي انه اذا لم يستبعد منه هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات
﴿وانه على كل شيء قدير﴾ اي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ﴿وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور﴾ اي ذكرنا ذكرنا من الدلائل لتعلموا ان

لنبين لكم

اي تحركت

اي

ان الساعة كاينة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله تعالى ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحرث ولا هدى اي ليس معه من الله بيان ولا رشاد ولا كتاب
منير اي ولا كتاب من الله له نور ثاني عطفه اي لاوي عنقه وجنبه متبختر التكبر معرضا عما يدعى اليه
من الحق تكبرا ليضل عن سبيل الله اي عن دين الله له في الدنيا خزي اي عذاب وهوان
وهوانه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي يقال له
ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اي
وجه تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف
الاية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة
فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد
اصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت امراته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله
فقال ما اصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل
الله ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على شك واصله من حرف الشي وهو طرفه الذي
هو قايم عليه وحرف الجبل والحايط الذي غير مستقر فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف
لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة
ولو عبدوا الله بالشكر على السرا والصبر على الضرا لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله
بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اي صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به اي رضي
به وسكن اليه وان اصابته فتنة اي بلا في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه
اي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة اي خسر
الدنيا بالعز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يومل والاخرة
بذهاب الدين والخلود في النار ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر يدعوا من دون الله
ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه ان اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد
اي عن الحق والرشد يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى يدعوا
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في الاية لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض
فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في
الاولى ما لا يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع
بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله
سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه سينتفع به
حين يستشفع به وقيل الاية في الروسا وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح
منهم ان يضروا وينفعوا وصحة هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان
لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه
الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الروسا بدليل قوله لبيس المولى ولبيس العشير

اي الناصر والصاحب المعاشر قوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي باوليايه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته
من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
في الدنيا باعلا كلمته واظهار دينه والاخرة اي وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه
فليمدد بسبب اي بحبل الى السما اي سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد
حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل
ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي صنيعه وحيلته
ما يغيظ اي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد
الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما السما المعروفة والمعنى
من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيده في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان
اصله في السما فليطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه
فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا
كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفايدة وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه
روي ان الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان
بينهم وبين اليهود حلف فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره
فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يووننا وقيل النصر معناه الرزق
ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليبلغ غاية الجزع وهو
الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه
الله وكذلك انزلناه يعني القران ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان
وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم بينهم يوم القيامة وقيل يفصل في
الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان
الله على كل شي شهيد اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم
ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل
الم تر اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه الاشيا تحول
ظلالها وقيل ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف
حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة
فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع مسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح
وهو مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها

الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت طاعة وعتقا افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه
فان قلت هذا التاويل يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكرتم عام في الناس كلهم
فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق
الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره واما
المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد
من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني
بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس
فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من
الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق
عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن
الله فما له من مكرم اي من يذله الله فلا يكرمه احد ان الله يفعل ما يشاء اي يكرم الله بالسعادة
من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل كل ولي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب
والعقاب فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقاري والمستمع ان يسجد
عند تلاوتها وسماع تلاوتها قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه
وامره واختلفوا في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه
الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث
وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين خ عن علي بن ابي طالب
قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيمة قال قيس بن عباد فيهم نزلت
هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث
وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال ابن اسحق خرج يوم بدر عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية
من الانصار ثلثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم
فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا
اكفانا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب
ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز
عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما
حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة ضربتان كلاهما
اثبت صاحبه فكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه
وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست
شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال
منه حيث يقول ... ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم
منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه
خصومتهم في ربهم وقيل هم المومنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمومنون خصم
والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار ق عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت
الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا
ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل للجنة انت رحمتي ارحم بك
من اشاء من عبادي وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما
ملؤها فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط قط فهنالك
تمتلي ويزوي بعضها الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها
خلقا وللبخاري ذكر اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولة اولى
بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو
اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكر مآل الخصمين
فقال تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس
مذاب وليس من الآنية شي اذا احمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة
الثياب وقيل يلبس اهل النار مقطعات من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم اي
الماء الحار الذي انتهت حرارته يصهر به اي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق
رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء والجلود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق
من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وفي الخبر لو وضع مقمع
من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذ بانفاسهم
اعيدوا فيها اي ردوا اليها بالمقامع فقيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها
فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون في جهنم سبعين خريفا وذوقوا
عذاب الحريق اي تقول لهم الملائكة ذوقوا الحريق بمعنى المحرق هذا وصف حال احد الخصمين
وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الاخر وهم المومنون ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معوية
هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن
وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ق عن ابي موسى ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قوله تعالى وهدوا من الهداية اي ارشدوا الى الطيب
من القول قال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر
والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا
وعده وهدوا الى صراط الحميد اي الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في
افعاله قوله عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن
سبيل الله اي يمنعون الهجرة والجهاد وطاعة الله والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام
الذي جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا سواء العاكف فيه اي
المقيم فيه قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور واقام به ولزم التعبد فيه
والبادي اي الطارئ المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف
فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة
قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي
فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد
مناف لا تمنعوا احدا طاف هذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار اخرجه الترمذي
وابو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادي
سواء في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد
سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء
في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد
من اهل مكة احق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم وعلى هذا
القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها
والبادي فلما استويا ثبت سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد
الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول
طاووس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه
فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن
الخطاب دار السجن باربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها قوله تعالى ومن
يرد فيه بالحاد اي في المسجد الحرام بالحاد بظلم اي بميل الى الظلم وقيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة
غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير

احرام او ارتكاب شيء من محظورات الحرم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام او ارتكاب من قتل صيد وقطع
شجر وقال ابن عباس هو ان يقتل فيه من لا يقتلك او تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات
بمكة كما تضاعف فيه الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روي عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل
بمكة وهو بعدن ابين او ببلد آخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله
ابن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل
فسئل عن ذلك فقال كنا نتحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان
الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابرهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اين يبني
فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر
البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابرهيم ابن على قدري فبنى عليه ان لا تشرك بي شيئا
اي عهدنا الى ابرهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي اي من الشرك والاوثان والاقذار
للطائفين اي الذين يطوفون بالبيت والقائمين اي المقيمين به والركع السجود اي المصلين
قوله عز وجل واذن اي اعلم وناد في الناس قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة بالحج
فقام ابرهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا
وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه
كل من يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل
اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابرهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين
هو محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا يأتوك رجالا اي مشاة
على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل المهزول من كثرة السير وبدأ بذكر
المشاة تشريفا لهم يأتين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد فمن اتى مكة
حاجا فكأنه قد اتى ابرهيم لانه يجيب نداءه قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة
وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من امر الدنيا والآخرة
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات
للحرص على علمها من اجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق
وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا
تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام
التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام فكلوا
منها امر اباحة ليس بواجب وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم

والاذان في اللغة الاعلام

شيئاً فأمر الله بمخالفتهم ٥ اتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك
أضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة ونحر علي ما
غبر أي ما بقي قوله ببضعة وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكلا من
لحمها وشربا من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء
في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد
هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً قال الشافعي لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر
وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحق وقال مالك يأكل
من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذور وعند أصحاب
الرأي أنه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى وأطعموا البائس الفقير
يعني الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج
عن الإحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الإبط وقلم الأظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث
أغبر إذا لم تزل هذه الأوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها ٥ وليوفوا قيل
نذورهم أي ما ينذرون من الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي ليتموها بقضائها وقيل المراد
منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذر أو لم ينذر ٥ وليطوفوا
بالبيت العتيق أراد به طواف الواجب وهو طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف
ثلاثة طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي
إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه ق عن عائشة أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي
صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله ق عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً زاد في رواية ثم يصلي ركعتين
يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً ثم يصلي سجدتين والطواف
الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق ق عن عائشة قالت حاضت صفية
ليلة النفر فقالت ما أراني إلا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى معناه عقرها الله أي
أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري
على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف
الإفاضة لا يجوز له أن ينفر الطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة
القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث
المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض
متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله بالبيت
العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم

يظهر

يظهر عليه جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام
الطوفان وقيل لأنه لم يملك قوله عز وجل ذلك أي الأمر ذلك وهو ما ذكر من أعمال الحج ٥ ومن يعظم حرمات الله
أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه
وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها
إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام
ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ٥ فهو خير له عند ربه أي ثواب تعظيم
الحرمات خير له عند الله في الآخرة ٥ وأحلت لكم الأنعام أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر
والغنم ٥ إلا ما يتلى عليكم أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية ٥ فاجتنبوا
الرجس من الأوثان أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجساً
لأن عبادتها أعظم التلوث بالنجاسات ٥ واجتنبوا قول الزور أي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود
شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال أيها الناس
عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا
قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعاً من النبي صلى
الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا
شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى حنفاء لله أي مخلصين له ٥ غير مشركين به قيل على
ذلك أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون
ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء لله غير مشركين به أي حجاجاً لله مسلمين
موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً ٥ ومن يشرك بالله فكأنما خر أي سقط من السماء إلى الأرض
فتخطفه الطير أي تستلبه وتذهب به ٥ أو تهوي به الريح أي تميل وتذهب به في مكان سحيق
أي بعيد ومعنى الآية أن بعد من أشرك بالله من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت
به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه
لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير
لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس
وراءه هلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق أجزاء في
حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الإيمان بالسماء في
علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة
والشيطان الذي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ٥ ومن يعظم شعائر الله
فإنها من تقوى القلوب أي تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي
وأصلها من الإشعار وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدي وتعظيمها من تقوى القلوب ٥ لكم فيها
أي في البدن ٥ منافع قيل هو قبل تسميتها الهدي وفي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهورها ٥ إلى أجل

مسمى اي الى ان يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شي من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة
والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هديا بان تركبوها
وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدي
فقال مالك والشافعي واحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية
او الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب
الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة لكم فيها منافع اي
بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر والثواب في
قضاء المناسك الى انقضاء ايام الحج ثم محلها الى البيت العتيق اي منحرها عند البيت العتيق ويريد
جميع ارض الحرم دليله عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت هاهنا ومنى كلها
منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت
العتيق يطوفون به طواف الزيارة قوله تعالى ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا
قرئ بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيدها بالانعام
لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله قوله عز وجل فالهكم اله واحد اي سموا على الذبح
اسم الله وحده فان الهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس
المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون
واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت من عقاب الله
فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى والصابرين على ما اصابهم اي من البلاء والمرض والمصايب
ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلاة
اي في اوقاتها المحافظ عليها ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون قوله تعالى والبدن جمع بدنة
سميت بدنة لعظمها وضخامتها ويريد الابل الصحاح الجسام والبقر ولا يسمى الغنم بدنة لصغرها جعلناها
لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه وقيل لانها تشعر وهو ان يطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك
انها هدي لكم فيها خير اي نفع في الدنيا وثواب في العقبى فاذكروا اسم الله عليها اي عند نحرها صواف
اي قياما على ثلث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك عن زياد بن
جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنته ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر ووقعت جنبها على الارض فكلوا منها امر اباحة واطعموا
القانع والمعتر قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي يسال
وعن ابن عباس القانع الذي لا يتعرض ولا يسال والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل
القانع هو الذي يسال والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس
بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كذلك اي مثل ما وصفنا من نحرها

قيا

قياما سخرناها لكم اي لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون اي انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها
ولا دماوها اي لن ترتفع الى الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن يرفع اليه الاعمال
الصالحة والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم اي ارشدكم
لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين
قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا اي يدفع غايلة المشركين
عن المومنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اي خوان في امانة الله كفور
لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحة
وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اي اذن الله
لهم بالجهاد ويقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو اهل مكة يوذون اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا يزالون يجيون من مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن الله
فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم
مشركوا مكة فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعوهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا
واعتدوا عليهم بالايذاء وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله بنصر المومنين ثم وصفهم فقال
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انما اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع اي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء وبيع وهي
معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابيين والبيع للنصارى وصلوات يعني كنايس اليهود
يسمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد
ومعنى الاية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شرع كل نبي مكان صلوتهم فهدم في زمن موسى
الكنايس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ولينصرن الله
من ينصره اي ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي اي على نصر من ينصر دينه عزيز اي لا يضام ولا يمنع
حماه قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من
البلاد اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله
الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ولله
عاقبة الامور اي اخر امور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل كل ملك سواه فتصير الامور اليه
بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك
قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين وكذب موسى
فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم
يكذبه قومه وهم بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب

كل قوم رسولهم قال وكذب موسى يعني مع وضوح آياته وعظم معجزاته فأمليت للكافرين اي
امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما فعلوا من
التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل وكأين من قرية
اهلكتها وقرئ اهلكناها على التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية اي ساقطة على عروشها
اي على سقوفها وبئر معطلة اي وكم من بئر معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي
رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى
قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين
وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان اربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح لهام
عليه السلام لما نجوا من العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان
حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا
دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة
بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي
يعلمون بها او آذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان عمى القلوب هو الضار في امر الدين لا عمى البصر لان البصر
الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث
ولن يخلف الله وعده اي انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس
يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل
عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور
التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة اخرجه ابو داود
بزيادة فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم
في الآخرة كالف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل والاستطالة كالف سنة فكيف
يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء اخذهم
لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول
ابن عباس وكأين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرار اهلها على الظلم
ثم اخذتها اي انزلت بها العذاب والي المصير يعني مصيرهم الى الآخرة فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر الله رسوله ان يديم التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت منذرا
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما انا نذير
مبين اردف ذلك بان امر بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة اي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر ايضا مع التوبة ورزق كريم اي لا ينقطع ابدا وقيل
هو الجنة والذين سعوا في آياتنا اي عملوا في ابطال آياتنا معاجزين اي مثبطين الناس عن الايمان

وقيل مواجهين اي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا
ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس
وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من
مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه
لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على
لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما
سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في
آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق مؤمن ولا كافر
الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء
ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت
قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا
قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاذ جعل لها محمد
نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت
لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا
وخاف من الله تعالى خوفا كثيرا فانزل الله هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من
كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت
قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة
اسلام فرجع اكثرهم الى عشائرهم بلغهم ان الذي كانوا تحدثوا به من اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد
منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة
آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا وابتدروا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي والنبي هو
الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى اي تشهى
واشتهى وحدث به نفسه ما لم يؤمر به القى الشيطان في امنيته اي في مراده وقال ابن عباس
اذا حدث القى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي الا تمنى ان يؤمن
قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
وقال اكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته في تلاوته وقال
حسان في عثمان حين قتل تمنى كتاب الله اول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر
فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه

انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا قال الله تعالى وما ينطق
عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي
صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء على هذا الاشكال اجوبة احدها توهين اصل هذه
القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل وانما رواها
المفسرون والمورخون وسقيم المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف
هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقايل يقول الجواب الرابع في
تحقيق تفسير الاية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله
الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو
في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى الكلام قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو
ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من سورة
كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطا في
العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر والله اعلم وقوله عز وجل
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم حكيم
قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما
يشاء للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق
وهم المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي في خلاف شديد وليعلم الذين اوتوا العلم اي
التوحيد والقران والتصديق بنسخ الله ما يلقي انه الحق من ربك اي الذي احكم الله من
ايات القران هو الحق من ربك فيؤمنوا به اي يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اي
تسكن اليه وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم اي الى طريق قويم وهو الاسلام
قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القران وقيل من الدين الذي هو صراط
مستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة اي فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم عذاب
يوم عقيم اي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيمة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم
للكفار خير كالريح العقيم لا تاتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه الملك
يومئذ يعني يوم القيمة لله وحده من غير منازع ولا مشارك يحكم بينهم اي يفصل بينهم ثم بين ذلك
الحكم فقال تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله
وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله تعالى
لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم
رزق السلطان الجند اي اعطاهم ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى

مرض

يعطي

211

يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله
لعليم اي بنياتهم حليم عنهم قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك الذي قصصنا عليك ومن عاقب بمثل
ما عوقب به اي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه اي ظلم
باخراجه من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى احوجهم الى مفارقة اوطانهم
نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم
ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت
المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله لعفو اي عن مساوي المؤمنين
غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل في معنى هذا
الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل
ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد من احدهما وينقص من
الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو
الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق وان ما يدعون من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي
ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي اي العالي على كل شيء اي العظيم في قدرته وسلطانه
قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اي بالنبات ان الله لطيف
اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير اي بما في قلوب العباد اذا تاخر المطر
عنهم له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله هو الغني الحميد يعني الغني عن
عباده الحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الدواب التي تركب في البر والفلك
تجري في البحر اي وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك لما جرت ويمسك
السماء ان تقع اي لكيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم اي انه انعم
بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذن رءوف
رحيم بكم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي انشاكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم اي عند
انقضاء اجالكم ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي لجحود
لنعم الله عز وجل قوله عز وجل لكل امة جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة هم ناسكوه
عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة
فلا ينازعنك في الامر اي في امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم
انت وادع الى ربك اي الى الايمان به والى دينه انك لعلى هدى مستقيم اي على دين واضح مستقيم
وان جادلوك اي خاصموك في امر الذبح وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب الله يحكم بينكم
يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكمه يوم القيمة يتردد
بين الجنة والنار جنة وثواب لمن قبل ومن نار وعقاب لمن رد وابى قوله عز وجل الم تعلم
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب

يعني المشركين

الكبير

واذا تتلى عليهم اياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير يكادون او ما تقصدونه من الشر يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب تلاوتهم عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو او يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها
البيضاوي

اي في اللوح المحفوظ ٥ ان ذلك اي علمه بجميع ذلك على الله ليسير وقيل ان كتبه الحوادث مع انها من الغيب
على الله ليسير ٥ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة ظاهرة من دليل سمعي ٥ وما
ليس لهم به علم اي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي ٥ وما للظالمين اي المشركين ٥
من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب ٥ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القرآن وصفه بذلك لان فيه
بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام ٥ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهة
يتبين ذلك في وجوههم ٥ يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل
يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمد واصحابه من شدة الغيظ ٥ قل لهم يا محمد افأنبئكم
بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون ٥ النار اي هي النار ٥ وعدها الله الذين
كفروا وبئس المصير قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه
مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال
صاحب الكشاف قد سميت الصفة او القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب
مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة ٥ فاستمعوا له
اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تعقل وتدبر لا ينفع ومعنى الآية جعل لي شبه وشبه
في الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي يعبد وذلك بين حالها وصفتها فقال تعالى
ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام ٥ لن يخلقوا ذبابا اي واحدا في صغره وضعفه
وقلته لانها لا تقدر على ذلك ٥ ولو اجتمعوا له اي لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام ولو اجتمعت
لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا ٥ وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران
فاذا جفت جاء الذباب فاستلبت منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين ايدي الاصنام
فيقع الذباب عليه وياكل منه ٥ ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب
ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب
الذباب اي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو
الصنم ٥ ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه
حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ٥ ان الله لقوي لا يقهر
عزيز لا يغلب قوله عز وجل الله يصطفي من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وغيرهم ٥ ومن الناس اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد
وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم اجمعين نزلت حين قال المشركون اانزل عليه الذكر
من بيننا فاخبر الله ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ٥ ان الله سميع اي لاقوالهم
بصير اي بافعالهم لا يخفى عليه خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم قال ابن عباس ما قدموا وما
خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين ايدي ملائكته
ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كاين بعد فنائهم ٥ والى الله ترجع الامور قوله تعالى يا ايها

الذين

يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود ٥ واعبدوا
ربكم اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة ٥ وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم
الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله والى الاحسان
الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول
وغير ذلك من اعمال البر ٥ لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة فصل في احكام سجود التلاوة
اختلف العلماء في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي
وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدرداء وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك
والشافعي واحمد واسحق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي الحج سجدتان
قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرا في السورة
الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب
قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن
المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع
فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب
الشافعي واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان
واسقط سجدة ص وقال ابو حنيفة في الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد
في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل
ليس فيه سجود يروى ذلك عن علي بن ابي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون
سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القرآن احدى عشرة
سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال انها في القرآن خمس عشرة ما روي عن عمرو بن العاص قال اقراني
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود
وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود
التلاوة سنة للقاري والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة هو واجب قوله عز وجل وجاهدوا
في الله حق جهاده اي جاهدوا في سبيل الله اعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه
قاله ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله
ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة
لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس
والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة
تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر
جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس ٥ هو اجتباكم اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته

وعبادته وطاعته فاي رتبه اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾
اي ضيق وشده وهو ان المومن لا يبتلى بشي من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبه
وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك فليس
في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل
معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم
وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر
والتيمم عند عدم الما واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك
من الرخص التي رخص الله على عباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن احد غيرهم
جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على
بني اسرايل من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ﴿ملة ابيكم ابرهيم﴾ الا فادخله
في قوله نبيكم صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها فكيف سماه ابا قوله ملة ابرهيم
قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فمعناه ان وجوب
احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله ﴿وازواجه امهاتهم﴾ وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لكم كالوالد وفي قوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قولان احدهما ان الكنايه
ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمه من قبل نزول القرآن القول الثاني
ان الكناية راجعة الى ابرهيم يعني ان ابرهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو
قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله فيه ﴿وفي هذا﴾ اي وفي
القرآن سماكم المسلمين ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يعني يوم القيمة ان قد بلغكم ﴿وتكونوا انتم شهدا
على الناس﴾ يعني لتشهدوا يوم القيمه على الامم ان رسلهم قد بلغتهم ﴿فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة
واعتصموا بالله﴾ اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم
من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا الله ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب
والسنه ﴿هو مولاكم﴾ اي وليكم وناصركم وحافظكم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ اي الناصر لكم والله اعلم

تفسير سورة المومنين وهي مكيه وهي مايه

وثمان عشرة آية والف وثمانمايه واربعون كلمه واربعة آلاف وثمانمايه وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الوحي يسمع عند وجهه عليه م
كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرا ﴿قد افلح المومنون﴾ العشر
ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع
يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر
علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل ﴿قد افلح المومنون﴾
قال ابن عباس قال سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنه وقيل الفلاح البقا

والبي

والنجاة ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قال ابن عباس مخبتون اذلا وقيل خايفون وقيل متواضعون
وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبه وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات
وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد ان
يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فغايه الخضوع والتذلل للمعبود
ولا يلتفت الخاطر الى شي سوى ذكر التعظيم وما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى
موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من على شماله عن عايشه
قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه
الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف وفي روايه اعرض عنه
اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السما خ عن انس بن مالك
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السما في صلاتهم فاشتد قوله
في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السما في الصلاة فلما نزل ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ رمقوا
بابصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة
فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع
في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراة والذكر
قوله تعالى ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي
وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم
والسب ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ اي للزكاة الواجبة فعبر عن التاديه بالفعل لانه فعل
وقيل الزكاة ها هنا هو العمل الصالح والاول اولى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ الفرج
اسم لسوءة الرجل والمراة وحفظه التعفف عن الحرام ﴿الا على ازواجهم﴾ يعني من ﴿او ما
ملكت ايمانهم﴾ يعني الاما والجواري والايه في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بزوج
مملوك لها ﴿فانهم غير ملومين﴾ يعني يحفظ فرجه الا من امراته او امته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام
فيهما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير الماتى وفي حال الحيض والنفاس
فانه محظور ولا يجوز ومن فعله فهو ملوم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ اي التمس وطلب سوى الازواج
والولايد وهن الجواري المملوكة ﴿فاولئك هم العادون﴾ اي الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام
وفيه دليل على ان الاستمنا باليد حرام وهو قول العلما سيل عطا عنه فقال مكروه سمعت
ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هولا وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا
يعبثون بمذاكيرهم قوله عز وجل ﴿والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون﴾ اي حافظون يحفظون

ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والأمانات تختلف فمنها ما يكون بين
العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله على العباد
فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والأسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا
والذين هم على صلواتهم يحافظون أي يداومون ويراعون أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها وسائر شروطها
فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم أولا بالخشوع
في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى أولئك يعني أهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل
أهل النار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في
الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث منزله وذلك قوله أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند
وقيل معنى الوراثة هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث الذين يرثون الفردوس
هو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة
كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم
الله فسلوه الفردوس الأعلى أخرجه الترمذي هم فيها خالدون أي لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل
ولقد خلقنا الإنسان يعني ولد آدم لأن الإنسان اسم جنس من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة
صفو الماء وقيل هو المني لأن النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق
منه آدم وقيل المراد من الإنسان هو آدم وقوله من سلالة أي سل من كل تربة ثم جعلناه نطفة يعني
الذي هو الإنسان جعلناه نطفة في قرار مكين أي حريز وهو الرحم مكين وهي لاستقرار النطفة فيه إلى وقت
الولادة ثم خلقنا النطفة علقة أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة مضغة أي جعلنا
الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وذلك أن اللحم يستر العظم
فجعله كالكسوة له وقيل بين كل خلق وخلق مدة أربعين يوما ثم أنشأناه خلقا آخر أي مباينا
للخلق الأول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا وكان أبكم
وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال
إن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى القعود والقيام إلى المشي إلى الفطام إلى
أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها فتبارك الله
أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين أي المصورين والمقدرين فان قلت
كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها
الإيجاد والإبداع ولا موجد ومبدع إلا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر
ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري معناه أنت تقدر الأمور وتقطعها وغيرك
لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو أن عيسى عليه السلام
خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فتبارك الله أحسن
الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون أي بعد ما ذكر من تمام الخلق لميتون أي عند انقضاء آجالكم
ثم إنكم يوم القيامة تبعثون أي للحساب والجزاء قوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق لأن بعضها

فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط وما كنا عن الخلق غافلين أي بل كنا
حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها
الشمس والقمر والكواكب وما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل معناه إنا خلقنا السماء
فوقهم لننزل عليهم الأرزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم
وأقوالهم وضمائرهم لا يخفى علينا خافية وأنزلنا من السماء ماء بقدر أي يعلم الله من حاجتهم إليه وقيل
بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة فأسكناه في الأرض يعني ما يبقى
في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه
في الأرض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الأرض من السماء وإنا على ذهاب به
لقادرون وصح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل
كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أنزل من
الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة
من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها
في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض
فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله
والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع
كل ذلك إلى السماء فذلك قوله وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض
فقد أهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث البغوي في تفسيره قال روى هذا الحديث الإمام
الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن
مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى فأنشأنا لكم به
أي بالماء جنات أي بساتين من نخيل وأعناب إنما أفردهما لكثرة منافعهما فإنهما يقومان
مقام الطعام والإدام والفواكه رطبا ويابسا لكم فيها أي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون
أي شتاء وصيفا وشجرة أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء أي من جبل
مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية
ومعناه الجبل الملتف بالأشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل
هو من السناء وهو الارتفاع وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها
عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل وقيل الجبل الذي نودي منه موسى بين
مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين تنبت بالدهن أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر
الدهن وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل أول شجرة نبتت بعد الطوفان
الزيتون وقيل إن شجرة الزيتون تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة قوله عز وجل وإن
لكم في الأنعام لعبرة أي آية تعتبرون بها نسقيكم مما في بطونها أي من ألبانها ووجه الاعتبار
فيه أن اللبن يخلص إلى الضرع من بين فرث ودم بإذن الله ليس فيه منهما شيء فيستحيل إلى الطهارة

والى طعم يوافق الشهي والطيب ويصير غذاء وقد تقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في تفسير سورة النحل
ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية كذلك تنتفعون بها بعد الذبح بالاكل
وعليها اي وعلى الانعام وهي الابل وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم معبود سواه افلا تتقون
اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم اي آدمي
مثلكم مشارك لكم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا
وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح
في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الى الموت فتستريحوا منه
قال رب انصرني بما كذبون اي اعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
اي بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه عمله ووحينا
قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها فاذا جاء امرنا اي عذابنا وفار
التنور قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت
الماء يفور من التنور فاسلك فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان
ذكرا وانثى واهلك اي وسائر من آمن بك الا من سبق عليه القول اي وجب عليه العذاب
منهم يعني الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو
ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن
معك على الفلك اي في السفينة فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا
مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة
واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال
من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من انزله ويكلأه في سائر احواله
ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ان في ذلك اي الذي ذكر من امر
نوح والسفينة واهلاك اعداء الله لآيات اي دلالات على قدرتنا وان كنا اي وما كنا الا مبتلين
اي الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم قوله تعالى
ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا
قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
اي هذه الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
اي بالمصير اليها واترفناهم اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم
يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون اي من مشربكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احياء هيهات
هيهات قال ابن عباس اي بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا
منهم للتفكر في بدء امرهم وقدرة الله على ابتدائهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا ان هي

الا حياتنا نموت ونحيا وقيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل نموت الآباء ونحيا
الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو يعنون رسولهم
الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرني
بما كذبون قال عما قليل ليصبحن اي ليصيرن نادمين اي على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة
بالحق يعني صيحة العذاب قيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك
فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا
يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا اي الزمناهم بعدا من الرحمة للقوم الظالمين قوله عز وجل
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين اي اقواما آخرين ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها
وما يستأخرون اي عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترى اي مترادفين يتبع بعضهم
بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم
بعضا اي بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا يتحدث
من بعدهم بامرهم وشأنهم فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا
وسلطان مبين اي حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما الى فرعون وملئه فاستكبروا اي تعظموا
عن الايمان وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا يعني فرعون وقومه
انؤمن لبشرين مثلنا يعنون موسى وهرون وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين اي بالغرق ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدي
به قومه قوله عز وجل وجعلنا ابن مريم وامه آية اي دلالة على قدرتنا لان خلقه من غير ذكر وانطقه
في المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما وامرهما آية لان عيسى ولد
من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة وآويناهما الى ربوة
اي الى مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت
المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب
الايواء انها فرت بابنها اليها وقوله ذات قرار اي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها
ومعين اي الماء الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد
بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد عيسى عليه السلام وقيل اراد جميع
الرسل واراد بالطيبات الحلالات واعملوا صالحا اي استقيموا على ما يوجبه الشرع
اني بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك
فبان يحذر الخلق اولى لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الله تعالى طيب ولا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين وقال يا ايها الذين
آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء
يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك
اخرجه مسلم قوله عز وجل وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة

بكونهم

واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام ۝ وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت
به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون ۝ فتقطعوا اي تفرقوا فصاروا فرقا يهود ونصارى
ومجوس وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم اي دينهم ۝ بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة
وقيل معنى زبرا اي كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب كل حزب
بما لديهم فرحون اي هم مسرورون معجبون بما عندهم من الدين ۝ فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في غمرتهم قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يموتوا ۝ ا
يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اي ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في الدنيا
نسارع لهم في الخيرات اي نعجل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم ۝ بل لا يشعرون
اي ان ذلك استدراج لهم ۝ ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
اي خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن
جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا ۝ والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي يصدقون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوات والصدقات
وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال البر ۝ وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله
وان اعمالهم لا تقبل منهم ۝ انهم الى ربهم راجعون اي انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله
بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة اهم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون الذين هم
ان لا يتقبل منهم ۝ اولئك يسارعون في الخيرات اي يبادرون الى الاعمال الصالحة ۝ وهم لها سابقون اي اليها
وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله عز وجل ولا نكلف
نفسا الا وسعها اي طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم
فليفطر وليقضه ۝ ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ ۝ ينطق بالحق اي يبين الصدق والمعنى قد اثبتت
على كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التي تكتبها الحفظة
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى بل قلوبهم في غمرة
اي غفلة وجهالة من هذا اي القرآن ۝ ولهم اعمال اي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكرة
عليهم ۝ من دون ذلك يعني من دون اعمال المؤمنين التي ذكر الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون ۝ هم يعني الكفار ۝ لها عاملون اي لتلك الاعمال الخبيثة عاملون اي لا بد لهم من ان
يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقوة ۝ حتى اذا اخذنا مترفيهم اي رؤساءهم
واغنياءهم ۝ بالعذاب قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف ۝ اذا هم يجارون اي يضجون ويستغيثون ويجزعون ۝ لا
تجاروا اليوم اي لا تضجوا ۝ انكم منا لا تنصرون اي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ۝ قد كانت اياتي
تتلى عليكم يعني القرآن ۝ فكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون القهقرى وتتاخرون عن الايمان

مستكبرين

مستكبرين به قال ابن عباس اي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور اي متعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون
نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا احد ولا نخاف احدا فيامنون فيه وسائر الناس
في الخوف وقيل مستكبرين به اي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول اظهر ۝ سامرا يعني انهم يسمرون
بالليل حول البيت وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا او شعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي
النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اي تهذون
وتقولون ما لا تعلمون ۝ افلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما
فيه من الايات الدالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ۝ ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين يعني
فانكروا اي يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا
وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض
عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ۝ ام يقولون به جنة اي جنون وليس هو كذلك ۝ بل جاءهم
بالحق اي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل ۝ واكثرهم للحق كارهون ۝
قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل
وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن اي لو نزل بما يحبون
وما يعتقدون ۝ لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي لفسد العالم ۝ بل اتيناهم بذكرهم
قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ۝ فهم عن ذكرهم يعني شرفهم معرضون ۝ ام تسالهم
اي على ما جئتهم به ۝ خرجا اي اجرا وجعلا ۝ فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه
خير ۝ وهو خير الرازقين تقدم تفسيره ۝ وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام
وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اي عن دين الحق ۝ لناكبون اي لعادلون عنه ومائلون
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب ۝ للجوا اي لتمادوا ۝ في طغيانهم يعمهون
اي لم ينزعوا عنه ۝ ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش
ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد
اكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم
فانزل الله تعالى هذه الآية ۝ فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما ذلوا لربهم ۝ وما
يتضرعون اي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم ۝ حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ۝ اذا هم فيه مبلسون اي ايسون
من كل خير قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة اي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا ۝ قليلا
ما تشكرون اي لم تشكروا هذه النعم ۝ وهو الذي ذراكم اي خلقكم ۝ واليه تحشرون اي تبعثون ۝ وهو
الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل

جعلها مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض افلا تعقلون اي ما ترون من صنعه
فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون وقيل معناه بل انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع
وضوح الادلة قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن اي هذا الوعد
وآباؤنا من قبل اي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي
اكاذيب الاولين قوله قل اي يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اي خالقها
ومالكها سيقولون لله اي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله فقل لهم اذا اقروا بذلك
افلا تذكرون اي فتعلمون ان من قدر على الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اي عبادة
غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملك كل شيء
وهو يجير اي يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء
من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء ان كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون لله قل فانى
تسحرون اي فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم
بالحق اي بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي
خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه
ولعلا بعضهم على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال سبحان الله عما يصفون اي من اثبات
الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي تعظم من ان يوصف بما لا يليق
به قوله عز وجل قل رب اما تريني ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب اي يا
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي لا تهلكني بهلاكهم وانا على ان نريك ما نعدهم اي من العذاب
لقادرون ادفع بالتي هي احسن اي بالخلة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر السيئة
يعني اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها بآية السيف نحن اعلم بما
يصفون اي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
اي بك امتنع واعتصم من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل
نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من اموري
وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر
وهمزه الموتة اخرجه ابو داود قد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونزيده ايضاحا
قوله نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله
ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة

والموتة اخرجه ابو داود قد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر
لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك
ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة والموتة الجنون لان المجنون
ينخسه الشيطان ثم اخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى
الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد به
الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب
مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسألة
الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال بحق الله ارجعون لعلي
اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت خلفت من التركة والمعنى اقول لا اله الا الله واعمل
بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته
ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما
تمناه الكافر اذا رأى العذاب كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع اليها انها يعني سؤال
الرجعة كلمة هو قائلها اي لا ينالها ومن ورائهم برزخ اي امامهم ومن بين ايديهم الى يوم
يبعثون معناه انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم
يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة قوله تعالى
فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال
يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤوس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد
هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على
والده وولده او زوجته او اخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون
بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون
في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ها هنا
ولا يتساءلون وقال في موضع آخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان
للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا
يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون قوله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون
تلفح وجوههم النار اي تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون اي عابسون وقيل
قد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوط على النار عن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط

رابيه ونسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا اي التي كتبت فلم نهتده وكنا قوما ضالين اي عن الهدى ربنا اخرجنا
منها اي من النار فان عدنا اي لما تكره فانا ظالمون قال اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها كما يقال
للكلب اذا طرد اخسا ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من
الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء
كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن
جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند
واخرج الترمذي بمعناه عن ابي الدرداء وقوله فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة اي سكتوا ولم
يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه
بعض واطبقت عليهم جهنم انه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين يقولون ربنا
آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي تسخرون منهم وتستهزئون بهم حتى
انسوكم ذكري اي انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وكنتم منهم تضحكون نزلت في كفار قريش
كانوا يستهزئون بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم
قال الله تعالى اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي على اذاكم واستهزائكم في الدنيا انهم هم الفائزون اي اني
جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال يعني الله قال للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا وفي
القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم
ما هم بصدده من العذاب فاسال العادين يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم ويحصونها
عليهم قال ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا قليلا سماه قليلا لان الواحد وان طال لبثه
في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لو انكم كنتم تعلمون اي قدر لبثكم في الدنيا
قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه
لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل
وانكم الينا لا ترجعون اي في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن حنش ان رجلا مصابا مر
به على ابن مسعود فرقاه في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة
فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون
فقال عز وجل فتعالى الله الملك الحق اي هو الثابت الملك الذي مع لا يشابه المملوكات لا اله الا هو رب
العرش الكريم اي الحسن وقيل الرفيع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات ومن يدع
مع الله الها آخر لا برهان له به اي لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الالهية غير الله

يلبث م

ولا حجة في دعوى الشرك فانما حسابه اي جزاؤه عند ربه اي هو يجازيه بعمله انه لا يفلح الكافرون
اي لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ا‌حـ‌ـر الجزء الثاني من لباب التاويل في معاني التنزيل للامام
العلامة المفتقر الى الله تعالى ابي محمد علي بن المرحوم
محمد بن ابرهيم البغدادي الصوفي المعروف
بالخازن لطف الله به امين